

الروضُ الأليفُ

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

١٤١٠ - ١٩٩٠ م

الروضُ الألف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوفي ٢١٨ هـ

الجزء الثاني

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

مكتبة العالم بحيرة

حي الشجر

٦٨٧٧٠١٤ ث

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ٨٦٤٢٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثاني من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -
سَيِّدَ ولدِ آدمَ ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن
كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُمها : بَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم بَرّة : أُم حَبِيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ بن كِلاب بن
مُرّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم أم حَبِيب : بَرّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب
ابن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشرفُ ولدِ آدم
حسباً ، وأفضلهم نسباً من قَبْلِ أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتقار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :
وكان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حدثنا به زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق المِطْلَبِي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائمٌ في الحجر ،
إذ أتته ، فَأَمِرَ بِحَفَرِ زَمَزَمَ ، وهى دَفَنُ بَيْنَ صَنْمَى قُرَيْشٍ : إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ ، عند

مَنْحَر قَرِيش . وكانت جُرْهم دَفَنْتْها حين ظَعَنُوا من مَكَّة ، وهى : بئر إِسماعيل
ابن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظَمِئُ وهو صغير ، فالتمت له
أُمُّه ماءً فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعو الله ، وتستغِيثه لإسماعيل ، ثم أتت
المرْوة فنمعت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهُمَزَ له بِمَقْبِهِ
فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أُمُّه أصواتَ السَّبَّاعِ نَخَفَتْها عليه ، فجاءت
تشتدُّ نحوه ، فوجدته يَفْحَصُ بيده عن الماء من تحت خَدِّه ويشرب ، فجعلته
حَسِيًّا [الحسى : الحفيرة الصغيرة] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جُرهم ، ودَفَنَها زمزم ، وخروجها
من مَكَّة ، وَمَنْ ولى أمر مَكَّة بعدها إلى أن حَفَرَ عَبْدُ المطلب زمزم ، ماحدثنا به
زِيَاد بن عبد الله البَكَّائى عن محمد بن إِسحاق المُطَّلِبيّ ، قال : لما توفى إِسماعيل
ابن إبراهيم ولى البيت بعده ابْنُهُ نابت بن إِسماعيل — ما شاء الله أن يَليه — ثم
ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجُرْهُمى :

(باب مولد النّبي صلى الله عليه وسلم)

ذكر نسب أُمِّه آمَنَةُ بنت وَهَب بن عَبْدِ مناف بن زُهرَةَ ، وأن زُهرَةَ
هو : ابن كلاب ، وفى المعارف لابن قتيبة : أن زُهرَةَ اسم امرأة عُرِفَ بها بنو
زُهرَةَ ، وهذا مُنْكَرٌ غير معروف ، وإِنما هو اسمُ جَدِّهم — كما قال ابن إِسحاق
والزُّهرَةُ فى اللغة : إِشراقٌ فى اللون ، أى لونٌ كان من بياضٍ أو غيره ، وزعم
بعضهم أن الأزْهرَ هو الأبيض خاصَّةً ، وأن الزهر اسمٌ للأبيض من الثَّوَارِ ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرّهم ، وجرّهم وقطّوراء يومئذ أهل مكة ، وها ابنا عمّ ، وكانا طعنا من اليمن ، فأقبلا سيّارة ، وعلى جرّهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السّميدع رجُلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلوا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجرٍ ، فأعجبهما فزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرّهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطّوراء ، أسفل مكة بأخياد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُرُ مَنْ دَخَلَ مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُرُ مَنْ دَخَلَ مكة من أسفلها ، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرّهم وقطّوراء بقِيَ بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الخوذان ، وهو أصفر :

تري زهرَ الخوذانِ حَوْلَ رياضه يُضِيءُ كَلَوْنُ الْأَنْحَمِيِّ الْمُوَرِّسِ (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعَيْنَاهُ تُرْهِران تحت المِغْفَرِ .

(١) الخوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت بريّة ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والاتحمي والاتحمية ، والمتشحمة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - بُودَم . وُوَرِّس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمر ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لا حتوانه على مادة حمره .

على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنونات ،
 وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض
 ابن عمرو من قُعَيْقَعَان في كَتِيبَتِه سائرا إلى السَّمِيدَع ، ومع كَتِيبَتِه عُدَّتُهَا من
 الرِّمَاح والدَّرَق والسُّيُوف والجِجَاب ، يُقَعِّعُ بِذَلِكَ معه ، فيقال : مَأْسَى قُعَيْقَعَان
 بقُعَيْقَعَان إِلَّا لَذَلِكَ . وخرج السَّمِيدَع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال :
 ما سَمَى أجياد : أجياداً إِلَّا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدَع منه . فَالْتَقَوْا
 بغاضِح ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل السَّمِيدَع ، وفُضِحت قطوراء . فيقال :
 ما سَمَى فاضِح فاضحاً إِلَّا لَذَلِكَ . ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح ، فساروا حتى
 نزلوا المَطَايِخ : شِعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض .
 فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا لَهُ تَحَرَ للناس فأطعمهم ، فأطَبَّح الناسُ
 وأَكَلُوا ، فيقال : ما سُمِّيت المَطَايِخ : المَطَايِخ إِلَّا لَذَلِكَ . وبعضُ أهل العلم يزعمُ
 أنها إِنَّمَا سُمِّيت المَطَايِخ ، لِمَا كَانَ تُبَعِّعُ نَحْرُهَا ، وأطعم ، وكانت منزلته ، فكان
 الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بَغْيٍ كَانَ بِمَكَّةَ فَيَا يزعمون .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوانهم من جُرْهُم ولاة البيت والحكام
 بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ وَلَدَ إسماعيل في ذلك لَخُثُولَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، وإِعْظَامَا لِحُرْمَةِ
 أَنْ يَكُونَ بِهَا بَغْيٌ أَوْ قِتَالٌ . فلما ضاقت مكة على وَلَدِ إسماعيل انتشروا
 في البلاد ، فلا يَنَاقِشُونَ قَوْمَا إِلَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَدِينَهُمْ قَوِّطُوهُمْ .

زمزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمّه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن
 جبريل - عليه السلام - هَمَزَ بعقبه في موضع زمزم ، فنبع الماء ، وكذلك زمزم

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بَغَوْا بِمَكَّةَ ، واستحلُّوا خِلَالَها مِنَ الحَرَمَةِ ، فظالموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدَى لها ، فرقَ أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة ، وغُبْشان من خُزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فآذَنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان ، فنَفَوْهم من مكة . وكانت مكة في الجاهليَّة لا تُقَرَّ فيها ظُلماً ولا بَغِياء ، ولا يَبْغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : النَّاسَةَ ، ولا يريدُها ملك يستحلُّ حُرْمَتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سُمِّيت ببَكَّة إلا أنها كانت تُبَكُّ أعناق الجبابرة إذا أُهْدِنوا فيها شيئاً .

قال ابن هشام : أخبرني أبو عُبَيْدة : أن بكَّة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يَتَبَاكُون فيها ، أي : يزدحون ، وأنشدني :

إذا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةٌ فَخَلَّه حَتَّى يَبُكَّ بَكَّةً

أي : فدَعَهُ حَتَّى يَبُكَّ إِبِلَهُ ، أي يُخَلِّئُها إلى الماء ، فتردحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

تسمى : هَمْزَةٌ جَبْرِيلُ بتقديم الميم على الزاي ، ويقال فيها أيضاً : هَزْمَةٌ جَبْرِيلُ ، لأنها هَزْمَةٌ (١) في الأرض ، وحكى في اسمها : زُمَازِمٌ وزَمَزَمَ . حكى ذلك عن المطرِز ، وتسمى أيضاً : طَعَامُ طُعْمٍ ، وشِفَاءُ سُقْمٍ . وقال الجُرْنِيُّ : سميت :

(١) في النهاية لابن الأثير : الهزمة : النقرة في الصدر ، وفي التفاحة إذا غمزتها يديك : وهزمت البئر إذا حفرتها .

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهميَّ بفزالي الكعبة وبجحر الركن ، فدفعهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزناً شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض في ذلك ، وليس بمُضاض إلا كبر :

وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلةٍ والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامرُ	كأن لم يكن بين الحُجُونِ إلى الصِّفا
يُجَلِّجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مني كَأَمَّا
صُرُوفُ اللَّيالي ، والجُدود العواثرُ	بلى نحن كُنَّا أهلها ، فأزالنا
نطوفُ بذاك البيت ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنَّا ولَاةَ البيت من بعد نابتِ
بعزٍّ ، فما يحظى لدينا المُكاثِرُ	ونحن وَلِينَا البيت من بعد نابتِ
فليس لحى غيرنا ثمَّ فَاخِرُ	ملكنا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمَلَكُنَا
فأبناؤه منَّا ، ونحن الأصاهرُ	ألم تُنْكَحُوا من خير شخص علمته
فإنَّ لها حالا ، وفيها التَّشاجرُ	فإنَّ تَنْتَنَ الدُّنْيَا علينا بِجَاهِهَا
كذلك - يا للنَّاس - تجري التَّادِرُ	فأخْرَجْنَا منها المَلِيكَ بِقُدْرَةِ
أذا العرش : لا يَبْعَدُ سُهَيْل وعامرُ	أقولُ إذا نام الخَلَى ، ولم أُنم
قبائلُ منها حَيَرٌ وَمُجَابِرُ	وبُدِّلَتْ منها أَوْجُها لا أَحَبُّها

زمزم ، يَزَمَزِمَةُ المَاءِ ، وهى صوته ، وقال السَّعُودِي : سُمِّيَتْ زمزم ؛ لأنَّ الفُرْسَ كانت تحج إليها في الزَّمن الأوَّل ، فزَمَزَمَتْ عليها . والزَّمَزَمَةُ : صوتٌ يُخْرِجه الفُرسُ من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمرو - رضى الله عنه - إلى عماله : أن انهو الفرسَ عن الزَّمَزَمَةِ ، وأنشد السَّعُودِي :

وصرنا أحاديثا وكُنَّا بَغْبِطَةً بذلك عَضَّتْنَا السَّنُونُ الْغَوَابِرُ
فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها الشاعرُ
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤْذِي حَامَهُ يظلُّ به أَمْنًا ، وفيه الْعَصَافِرُ
وفيه وَحُوشٌ - لَاتُرَامُ - أُنَيْسَةٌ إذا خَرَجْتَ مِنْهُ ، فليست تُغَادِرُ

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بَكْرًا وَغُبْشَانَ ،
وساكنى مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

يأبها النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كَمُ أَنْ تُصْبِحُوا ذاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَ
حُشُوا الْمَطْيَى ، وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا قَبْلَ الْمَاتِ ، وَقَضُّوا مَا تُقْضُونَ
كُنَّا أَنَاسًا كَمَا كُنْتُمْ ، فَغَيَّرْنَا دَهْرٌ ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا نَكُونُونَ

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :
أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ
بالبُيْنِ ، ولم يُسَمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الْفُرْسُ عَلَى زَمَزَمٍ وَذَلِكَ فِي سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ (١)

(١) الزمزمة أيضاً : تراطن الفرس على أكلهم ، وهم صُمُوت لا يستعملون اللسان
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودي . ونص قول المسعودي : « كانت أسلاف
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام
وتمسكاً بهديه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر من حج منهم : ساسان بن بابك . »

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زَمْزَمَ لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلاث يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تُرِكَت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شيء . وقال ابنُ هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وباشرتْ مَعْطَنَهَا المُدْهَمَثَما وَيَمَمَّتْ زَمْزُومَهَا المُزْمَرِما (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المُدْهَمَثُ : اللَّيْنُ ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أن سارة بنت عمِّ إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على البُرَاق (٢) واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر ، وسار بها

(١) في الاصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو للإبل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسماً : زمزم ، مكتومة ، مضمونة ، شباعة وبضم الشين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرَّوَاء : بفتح الراء والواو ، ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، حنيرة عبدالمطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفي اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يززم في صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر في المرويات الصحيحة ، ولم يرد في حديث يعتد به أن إبراهيم حل هاجر إلى هناك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا نرجسية لاهرائه .

حتى أنزلها بمكة في موضع البيت (١)، ثم ولى راجعاً عودده على بابه (٢)، وتبته هاجر (٣) وهي تقول: الله أمرك أن تدعى، وهذا الصبي في هذا البلد الموحش، وليس معنا أنيس؟! فقال: نعم، فقالت: إذا لا يضيعنا (٤)، فجعلت تأكل من القمّر، وتشرب من ماء القرية، حتى نفذ الماء، وعطش الصبي، وجعل ينشغ للموت (٥)، وجعلت هي تسمى من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا؛ ل ترى أحداً، حتى سمعت صوتاً عند الصبي، فقالت: قد أسمع، إن كان عندك غوث، ثم جاءت الصبي، فإذا الماء ينبع من تحت خده، فجعلت تغرف بيديها، وتجعل في القرية. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لسكنت عينا، أو قال: نهراً معيناً، وكلها الملك، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦)، وأنها موضع بيت الله الحرام، ثم ماتت

(١) في رواية البخاري: وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء.

(٢) كان راجعاً إلى الشام.

(٣) في رواية ابن جريج: فأدركته بكداء بفتح الكاف، أو كدى بضم الكاف والقصر.

(٤) في رواية: أنها نادته ثلاثاً، وأنه أجابها في الثالثة، وأنها قالت له: حسبي، أو: رضيت بالله،

(٥) يشقى ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع. وفي روايات: وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو يستلبط، أو يتلبط.

(٦) في رواية البخاري: فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله يبنى هذا الغلام، وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

هاجر، وإسماعيل — عليه السلام — ابنُ عشرين سنة، وقبرُهُما في الحِجْر، وثُمَّ قَبْرُ
إسماعيل — عليه السلام — وكان الحِجْرُ قبل بناء البيت زَرْبًا لِنُحْمِ إسماعيل
صلى الله عليه وسلم ^(١) ويقال : إن أول بلد ميرت منه أمُّ إسماعيل عليه
السلام، وابنها التمر : القرية التي كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة، والله أعلم

قطورا وجرهم والسميرع : فصل : وذكر نزول جرهم، وقطورا على أم
إسماعيل هاجر، وجرهم : هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أَرْفَخْشَد بن سام بن
نوح، ويقال : جرهم بن عابر، وقد قيل : إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة،
وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية .
وقيل : إن الله تعالى أنطقه بها إنطافا، وهو ابن أربع عشرة سنة ^(٢) .

(١) من زيادة أبي جهم .

(٢) لقحطان ولد اسمه : جرهم . أما جدُّهم الأكبر، أو الأول، فن العرب
البائدة . ولما ملك يعرب اليمى وأخاه جرهم بن قحطان الحجاز، وتداول ملكه
بنوه بعده إلى أن أنزل إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل . ويقول ابن قتيبة في
المعارف ص ١٠ : ومن ولد أَرْفَخْشَد : يقطن، وهو أبو جرهم بن يقطن، وجرهم هو ابن
عم يعرب، وكانت جرهم من سكن اليمن وتكلم بالعربية، ثم نزلوا مكة فكانوا بها،
وقطورا : بنو عم لهم، ويقول ابن عبد البر : « وسار جرهم بن قحطان بولده، فنزلوا
مكة، فهؤلاء ونسلهم يدعون العرب العاربة، وبنو إسماعيل يسمون العرب المستعربة
لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم » ص ١٤ القصد والامم . وفي نهاية الأرب
عن بني قحطان : « الذى عليه جمهور النسب أنهم بنو قحطان بن عامر بن شالخ » ،
وذكر عن عامر أنه أصل عرب اليمن، وإليه تنسب القحطانية، ثم يقول :
قال في العبر : « واسمه في التوراة : يقطن، فعرب بقحطان. وشذ بعضهم، فقال : إنه
ابن قحطان بن الهميسع بن أبي بن قيدار بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه =

وأما قَطُورًا ، فهو قَطُورًا بن كَرَّ كَر .

وأما السَّمِيدَعُ الذي ذكره ، فهو السَّمِيدَعُ بن هوثر — بناءً مثلثة — قيدها البكرى — بن لاي بن قَطُور ابن كَرَّ كَر بن غَمَلَق ، ويقال : إن الزَّبَاءَ المملَكة كانت من ذُرِّيَّته ، وهى بنت عمرو بن أذِينَة بن ظَرَب بن حَسَّان ، وبين حسان ، وبين السَّمِيدَعِ آبَاء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لَصْلَبه ، لِلبُعْدِ زمن الزبَاء من السَّمِيدَع ، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع ، وذكر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هَيَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

مِيَادٍ وقَعِيقَانِهِ : فصل : وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بنى إسماعيل إلى أن بقوا في الحرم ، وكان أول بنى في الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُمِ اقْطُورًا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جِيَاد الخليل ، كما ذكر لأن جِيَاد الخليل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جِيَد (٢) .

== السلام . قال أبو عبيد : وليس كذلك . قال في العبر : وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأن عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية ، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا في الأصل . وفي اللسان عن ابن برى : ويقال في النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هَيَّ بن بَيَّ . و بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء في الكلمتين ابن جرهم . وهى بن بَيَّ : كناية عن لا يعرف ، ولا يعرف أبوه ، وقيل : كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

(٢) العنق ، وجمعه أيضاً : جيود . وفي اللسان : أجياد : أرض بمكة ، وجبل =

وذكر أصحاب الأخبار أن مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التوأمة عن عبدالله بن عمرو بن العاص (١) ، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُتَيْبَعَان سُمي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحته جنده بهذا المكان ، فسمى : قُتَيْبَعَان بَقَعَةِ السِّلَاح فيه - والله أعلم .

جرهم تسرق مال الكعبة : فصل : وذكر استحلال جرهم لحُرْمَةِ الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان اختفر بئرا قريبة الفجر عند باب الكعبة ، كان يُلقَى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرّة بعد مرّة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فخبسه فيها ، ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كراس الجدوى ، سوداء العنق ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام ، وسند ذكر قصة رفعها عند بنين الكعبة إن شاء الله .

== قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جياذ بكسر الجيم ، وحذف الهمزة . قال : جياذ - بكسر الجيم - موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، فجميعه جياذ .

(١) لم يرد هذا في حديث صحيح . والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان : دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره إسرائيليّات ردها وهب بن منبه .

بين مبرهم وضرعة : فصل : فلما كان من بغي جرهم ما كان ، وافق تفرق سباً من أجل سيل العدم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريفة السكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزيقياء ^(١) وهي من حمير ، وبأمر عمران ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهناً أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جرهما أن يقيموا بها أياماً ، حتى يرسلوا الرثود ، ويرتادوا منزلاً حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتال وغلبة ، فخارتهم جرهم ، فكانت الدولة لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خزاعة وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لحيّ الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جرهم ، فسار قتلهم في البلاد ، وسلّط عليهم الذرّ والرعايف ^(٢) ، وأهلك بقيتهم السيل بإضم ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة ريثت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فمجبوا من طولها وعظم خلقتها ، حتى قال لها قائل : أجنبية أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جرهم ، وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم ، واستكثرت بعيراً من رجلين من جُهينة ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة « ابن حزم » : عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ص ٥٣ . وفي الاشتقاق « لابن دريد » : ولد حارثة عامراً وهو ماء السماء ، وولد عامر عممراً وفتح العين وسكون الميم ، وهو مزيقياء ، فعمره — إذن — هو مزيقياء لابن مزيقياء ٤٣٥ .

(٢) الذرّ : صغار النمل ، والرعايف : الدم .

البحير إلى أرض خَيبَر ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لهما ، سألاهما عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فوليا عنها ، وإذا الذرُّ قد تعلَّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُّبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجها ، وذهب الجُنَّهَيَّان إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهنمة بالحجاز وقُرب المدينة ، وإِنما هُم من قُضاة ، وقُضاة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنَوْنًا^(١) من أرض الحجاز ، فضَلَّتْ له إبلٌ ، فبغاهَا حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لُحَيٍّ : من وجد جُرهميًا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنَحَّر ، ويُتَوَزَّعُ لحمها ، فانصرف بالنساء خائفًا ذليلاً ، وأبعد في الأرض ، وهي غُربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غُربةٌ تقتدى بغُربة قَيْسَ بـ من زُهَيْرٍ والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني « بوزن فعسوعَل ، بفتح القاف والنون وسكوزالواو » من أودية السعرة ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حُلَيْي « بفتح فسكون » وتكتب بالياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : النزوح عن الوطن .

كَانَ لَمْ يَكُن بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّافَا . الشَّعْر ، وَفِيهِ :

وَنَبَسْكَى لَيْتَ لَيْسَ يُؤَذَى حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنًا ، وَفِيهِ الْعَصَافِرُ^(١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى : وتأمين فيه العصافير ، وتظل به أَمْنًا ، أى : ذات أَمْن ، ويجوز أن يكون أَمْنًا جمع آمِن مثل : رَكِبَ جمع : راكِب ، وفيه : وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِر : السامر : اسمُ الجماعة يتحدَثون بالليل ، وفي التنزيل : (سَامِرًا تَهْجُرُونَ) المؤمنون : ٦٧ وَالْحَجَّوْنَ^(٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة ، قال الْحَمِيدِيُّ : كان سُفْيَانُ ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تنادر :

وَلَمْ يَتَرَبَّعْ . واسطًا وجَنُوبَهُ إِلَى السَّرِّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ حَاضِر
وَأَبْدَلَنِي رَبِّي بِهَا دَارَ غُرْبَةٍ بِهَا الْجَوْعُ بَادٍ ، وَالْعَدُوُّ الْمُحَاصِرُ^(٣)

(١) في السيرة : يظل بدلًا من : تظل .

(٢) والحجون كما في المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفي ياقوت عن الأصمعي : أنه الجبل المشرف الذي بجذام مسجد البيعة على شعب الجزارين .
(٣) أما واسط : فقليل : لأن للعرب سبعة مواضع ، يقال لكل منها : واسط ، منها : واسط نجد في شعر خدّاش بن زهير ، وواسط الحجاز في شعر كثير ، وواسط الجزيرة في شعر الأخطل . وواسط النمامة في شعر الأعشى ، وواسط العراق : وهناك غير ذلك . وواسط أيضًا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جمره العقبة بين المأزمين . فضرب حتى ذهب ، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى : واسط المقيم . وقيل إنه الجبل الذي يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى .
والسر : بطن الوادي . ووادي الأراك : قرب مكة . وفي معجم البلدان ونهاية الأرب ج ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثًا ، وروايته هكذا : =

واسط وعامر ومبرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده
المساكين ، إذا ذهب إلى منى . وقوله فيه :

لَا يَبْعَدُ سُهَيْلٌ وَعَامِرٌ

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل
يَبْدُونَ لى عامر وطفيل^(١) . على رواية من رواه هكذا ، وجزم هذا هو
الذى تتحدث بها العرب فى أكاذيبها ، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جزمها
ابن لَمَلِكٍ أهبط من السماء لذنوب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط
هاروت وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جزمها ،
قال قائلهم :

لَاهُمَّ إِنْ جُرْمُهَا عِبَادُكَ النَّاسُ طُرْفٌ ، وَمُمْ تِلَادُكَ

[بهم قديما عَمِرَتِ بِلَادُكَ]^(٢)

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبذلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى ، والعدو المكاشر
وفى مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : « المحاصر » . وفيه بعد : « وكنا ولاية البيت »
هذا البيت :

وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة ولما تدر فيها علينا الدوائر

(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة فى الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض
يقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنمل ، فأفناهم ، فاجتمعت خراعة =

مكة وأسمائها : فصل : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل في بكة ما ذكره من أنها تبك الجبارة ، أى تكسرهم وتقدعهم ، وقيل : من التباك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المخ ، وتمككت الفصيل ما فى ضرع الناقة ، فكانها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتىها فى المواسم ، وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تمكك الماء من جبالها وأخشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول ، وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشريب أخذته أكة فخله حتى يبك بكة (١)

فالأكة : الشدة ، وإكأك الدهر : شدائده .

ليجلوا من بنى ، فاقتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالى الكعبة وحجر الركن يلمس التوبة ، وهو يقول : دلاهم إن جرهما الخ فلم تقبل - كما فى الطبرى - توبته ، فألقى غزالى الكعبة ، وحجر الركن فى زمزم ، كما جاء فى السيرة . ثم دفنها ، وخرج من بقى من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل أنقى ، فذهب بهم . (١) فى اللسان : مك - وزن رد - الفصيل ما فى ضرع أمه يمكته - وزن يرد - مكئا وامتك - بفتح التاء وتضعيف الكاف - وتمككه ، ومككه : امتص جميع مافيه . وشربه كله . . ومك العظم وامتكه وتمككه ، وتمككه امتص مافيه من المخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمى - كما ذكر ابن هشام ، وفى الروض : الشربت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبك . ومعنى الشريب - كما فى اللسان - الذى يسقى إبله مع إبله . يقول : فخله يورد لإبله الحوض . فبأك عليه أى : تودحم ، فيبقى لإبله سقية . وللاكة معان أخرى . منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة فى القيظ . انظر اللسان . وتعليق الأستاذ هارون على المادة فى معجم ابن فارس .

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَةُ ، وهو من نُسْتُ (١) الشيء إذا أذهبت ،
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَةُ أيضا بالباء ،
وهو من بُسْتُ الجبال بُسَاءً ، أي : فُتَّتْ وَثُرِيَّتْ ، كما يُثَرَّى السَّويقُ ، قال الرازي :

لَا تَحْمِزَ أَخْبِرًا وَبُسَابَسًا (٢)

يقول : لا تشغلا بالخبز ، وثرّيا الدقيق والتقماء (٣) . يقال : إن هذا البيت
للص أمجله الهرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخبزَ : شدة السَّوقِ ، والبَسُ : ألين منه ، وبعده :

(١) النَّسُّ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة
في الورد ، وهو السوق والزر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها
والناسَةُ من أسماء مكة لفلة مائها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغي بها .

(٢) وبعده في اللسان : «ولا تطيلا بمناخ حيساء» . والبس : اتخاذ البسيطة
وهو أن يلت السويق أو الدقيق أو الألفط المطحون بالسمن أو بالزيت ، ثم يؤكل
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز يخاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق للأستاذ هرون على معجم ابن فارس
ذكر أن الرجز للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهيلي البيت
بما فسر به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد
قيل عن بكه إنها اسم للبقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : لأنها المسجد والبيت
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للمحب الطبري .

ما ترك السيرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصلَّاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوْثى، وأما التى يخرج منها الدجال، فهى : كُوْثى رَبَّاءُ^(١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذى احتفر نهر كُوْثى، قاله الطبرى .

أُسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سِيرُوا إن قَصَرَ كُمْ أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسِيرُونَ^(٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألغيتُ فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات، وأسندهُ أبو الحارث محمد بن أحمد الجُعْفَى عن عبد الله بن عبد السلام البُصرى، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهى بئر طَسَمٍ وجَدِيس فى قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَعْعٌ، فقتلهم، فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

(١) صلاح : كقطاع وقد تصرف . وكُوْثى تكتب بالياء لا بالالف كما كان فى الروض، وفى المراسد عن كُوْثى : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة . نزل بنى عبد الدار خاصة، وكُوْثى بالعراق فى موضعين : كُوْثى الطريق، وكُوْثى رَبَّاءَ وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما طول من رماد، يقال : إنها رماد النار التى أوقدها نمرود لإحراقه .

(٢) هى فى الطبرى ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

يأيها الملك الذى بالملكِ ساعده زمانه
ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه
أقصر عليك مراقبا فالدهر مخذول أمانه
كم من أشمَّ مُعَصَّبٍ بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفص جناه
تجرى الجداول حوله للجند مُترعة جفانه
قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يعلق به يطحنه ، مُفترشا جرانه
والناس شتى فى الهوى كالمرءِ مُحْتَلِفِ بنانه
والصدق أفضل شيمه والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرِّفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ نَعْلَه ليس للدهر خَلَه
يَوْمُ بُؤْسَى ونُفْسَى واجتماع وقِلَه
حُبْنَا العيش والتكا تُرَّ جَهْلٍ وِضِلَه
بينما المرء ناعم فى قصورٍ مُظِلَه
فى ظلالٍ ونعمة ساحبا ذيل حُلَه
لا يرى الشمسَ مِلْفَضًا رَقٍ إِذْ زَلَّ زَلَه

لم يُقْلَمْهَا، وَبَدَلَتْ عِزَّةَ الرِّءْزِ ذِلَّةً
 آفَةُ الْعَيْشِ وَالنِّعَمِ كُرُورُ الْأَهْلَةِ
 وَصَلُ يَوْمٍ بِلَيْلَةٍ وَاعْتِرَاضُ بَعْلَةٍ
 وَالنَّسَابَا جَوَائِمُ كَالصُّقُورِ الْمُدَلَّةِ
 بِالذِّى تَكَرُّهُ النَّفْسُ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَةٌ

وفى الحجر الثالث مكتوبا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا
 حُثُوا الْمَطِيَّ، وَأَرْزَحُوا مِنْ أَرْمَتِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تَقْضُونَا
 كُنَّا أَنْسَاءً كَمَا كُنْتُمْ فَغَيَّرْنَا دَهْرُهُ فَانْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

وذكر أبو الوليد الأزرقي فى كتابه فى فضائل مكة زيادةً فى هذه
 الأبيات وهى :

قَدْ مَالَ دَهْرُهُ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا بِالْبَغْيِ فِينَا وَبَزَّ النَّاسَ نَاشُونَا
 إِنْ التَّفَكُّرُ لَا يُجْدِي بِصَاحِبِهِ عِنْدَ الْبَدِيهِةِ فِى عِلْمٍ لَهُ دُونَا
 قَضُوا أُمُورَ كُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ هَلَا أُمُورَ رُشْدٍ رَشْدْتُمْ ثُمَّ مَسْنُونَا
 وَاسْتَخْبِرُوا فِى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقُ عِنْدَهُ الْهَوْنَا
 كَمَا زَمَانَا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ بِمَسْكَنِ فِى حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبنى أمية مكتوبا :

يَأْيُهَا الْقَصْرُ الَّذِى كَانَتْ تَحْفُفُ بِهِ الْمَوَاكِبُ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن عُبَيْشَانَ من خُزَاعَةَ وَلِيَتْ الْبَيْتَ دُونَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْغُبَشَانِي ، وَقُرَيْشٌ إِذْ ذَاكَ حُلُولٌ وَصِرْمٌ ، وَبُيُوتَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي كِفَانَةَ ، فَوَلِيَتْ خُزَاعَةُ الْبَيْتَ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ حُلَيْلُ بْنُ حَبْشَةَ بْنِ سَلُولٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرٍو الْخُزَاعِيُّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّةٌ بَنُ سَلُولٍ .

أَيْنَ الْمَوَاقِبُ وَالْمَضَى أَرْبُ وَالنَّجَائِبُ وَالْجَنَائِبُ
أَيْنَ الْمَسَاكِرُ وَالذَّسَّ أَكْرُ وَالْمَقَانِبُ وَالْكَتَائِبُ
مَا بَالُكُمْ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَتَتْ عَنْكَ الذَّوَابُ
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَاهِيَا قَدْ عَادَ مِنْهُدَّ الْجَوَابُ

ووجد في الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يَا سَائِلِي عَمَّا مَضَى مِنْ دَهْرِنَا وَمِنْ الْعَجَائِبِ
وَالْقَصْرِ إِذْ أَوْدَى ، فَأَضْحَى بَعْدُ مِنْهُدَّ الْجَوَابِ
وَعَنِ الْجُنُودِ أُولَى الْعُقُودِ ، وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَحَارِبُ
وَبِهِمْ قَهْرُنَا عَنُودَ مَنْ بِالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
وَتَقُولُ : لِمَ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَتَتْ عَنْكَ الذَّوَابِ
هَيْبَاتٍ لَا يُنْجِي مِنَ الْوُتِ الْكَتَائِبُ وَالْمَقَانِبِ

تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق: ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حُبشية بنته حُبي . فرغب فيه حليل فزوجَه ، فولدت له عبدَ الدار . وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدًا . فلما انتشر ولدُ قصي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلّم رجلاً من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة ابن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل ، وزهرة يومئذ رجل ، وقصي فطيم ، فاحتلمهما إلى بلاده ، فحملت قصياً معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رزاحاً . فلما باغ قصي ، وصار رجلاً أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوهُ إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح بن ربيعة ، ومعه إخوته : حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجلهممة بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنصرة قصي . وخزاعة تزعم أن حليل بن حُبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال: أنت أولى

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قصى ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فإله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر بلى الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإماما ولي ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فندرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن أدد لوفاء نذر أمه :

إني جعلت رباً من بني ربيعة بمكة العلية
فباركن لي بها أليه واجعله لي من صالح البرية

وكان الغوث بن مر - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :
لاهم إني تابع تبعه إن كان إثم فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات التمتعّون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظلّ ذوو الحاجات
الذين يحبّون التمتعّ يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :
وبلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النّفر من منى ،
أخذت صوفةُ بجانيبِ العَقَبَةِ ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجزُ
أحدٌ من الناس حتى يمرّوا ، فإذا نفرت صوفةٌ ومضت ، خلى سبيل الناس ،
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم
بالقُعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد في آل صفوان
بن الحارث بن شِجْنة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شِجْنة عطارِد بن عَوْف بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذي يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ،
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام ، كَرِبُ بن
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مغراء السّعدى :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَاحِجُّوا مُعَرِّفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ : أَجِزُوا آلَ صَفْوَانَا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني ، واسمه : حُرثان بن عمرو ، وإنما سمي ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَقِيَ بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْجَ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَبِّزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كبراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة ، عميلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَّارَةَ
حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أئانٍ له ؛ فلذلك يقول :
سَالِمًا حِمَارَهُ .

قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا باللقاف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالفاء ، والقرعة باللقاف هي : نُحْبَةُ الشئ ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَيٍّ ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حُلَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُحمي ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزَاح أخيه يستنجد به عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَانَ من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بَرَقٍّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبي غُبْشَانَ (١) ذكره السمعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَرَ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

(١) بضم الغين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قصة أبي غبشان ، وفيه يقول :
ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة ، .

عن مكة ، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلوه ، واختموه على بعير قَرْزَحَ البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، قَرْزَحَ أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ، ولم يَرَوْه ، وقموا في كَرْبٍ عظيم ، وكانت امرأة من خُرَاعَةَ قد بُعِثَتْ به حين دُفِنَ ، فأعلنت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خُرَاعَةُ على ولاية البيت أن يتخللوا لهم عن ولاية البيت ، ويدُلُّوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخُرَاعَةَ إلى أن صَيَّرَهَا أَبُو عُذْشَانَ إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير .

ثَمَانَةُ قِصَى :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة ، وزاد غيره في شرح الخبر ، فقال : وكان قصي رضيما حين احتملته أمه مع بغلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما يَفْعَةً أو حَزَوْرًا^(١) سابه رجلٌ من قُضَاعَةَ ، فعَيَّرَهُ بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا مُلَصِّقٌ ، فدخل على أمه ، وقد وَجَمَ لذلك ، فقالت له : يا بُنَيَّ صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خيرٌ من رهطه ، وآباؤك أشرفٌ من آبائه ، وإنما أنت قُرَشِيٌّ ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيرانُ بيت الله الحرام ، فدخل في سيارة حتى أتى مكة ، وقد ذكرنا أن اسمه : زيد ، وإنما

(١) الغلام القوي .

كان قصياً أى بعيداً عن بلده فسمى : قُصِيًّا (١).

الغوث بن مر وصوفته :

فصل : وذكر قصة الغوث بن مُرّ ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أَنَّ وَلَايَةَ الْغَوْثِ بْنِ مُرٍّ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ مُلُوكِ كِنْدَةَ (٣).

وقوله : إِنْ كَانَ إِثْمًا فَعَلَى قُضَاعَةٍ . إِنَّمَا خَصَّ قُضَاعَةَ بِهَذَا ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الْأَشْهَرَ الْحُرْمَ ، كَمَا كَانَتْ خَشَعَمَ وَطِيٌّ ، تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ النِّسَاءُ تَقُولُ إِذَا حَرَّمَتْ صَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ - يَقُولُ قَائِلُهُمْ : قَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الدَّمَاءُ إِلَّا دَمَاءَ الْمُحِلِّينَ .

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : دُ سَمِيَ قُصِيًّا لِأَنَّهُ قُصِيَّ قَوْمِهِ ، أَيْ : تَقْصَاهُمْ بِالشَّامِ ، فَتَقْلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ . وَقَالَ الرَّسَّاطِيُّ : دُ ثُمَّ إِنْ زِيدَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِبْعَةِ شَرِّ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ ، وَغَيْرُهَا بِالْغَرْبَةِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ أَبَا غَيْرِ رِبْعَةٍ ، فَرَجَعَ قُصِيٌّ إِلَى أُمِّهِ ، وَشَكَاهَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَنِي أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَأَبَا ، أَنْتَ ابْنُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ ، وَقَوْمُكَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَأَجْمَعْ قُصِيٌّ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : أَقِمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَتَخْرُجَ فِي حَاجِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ خَرَجَ مَعَ حَاجِ قُضَاعَةٍ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَحُجَّ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، مِائَتَيْ رَجُلٍ وَمَا بَعْدَهَا حَاجِ ١٦ نَهَايَةَ الْأَرْبِ .

(٢) فِي السِّيَرَةِ : دُ مِنْ بَعْدِ عُرْفَةَ ، وَفِي نَسْخِ أُخْرَى : دُ مِنْ عُرْفَةَ .

(٣) فِي الْقَامُوسِ : وَكِنْدَةُ - بِالْكَسْرِ - وَيُقَالُ : كِنْدِيٌّ ، لِقَبِّ ثَوْرٍ بَنِي عَسْفِيرٍ أَبُو حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ ، لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ النِّعْمَةَ ، وَلَحِقَ بِأَخْوَالِهِ ، وَالْكَنْدُ : الْقَطْعُ .

فصل : وأما تسمية الغوثِ وولده صُوفَة ، فاختلاف في سبب ذلك .
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر
صُوفَة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مفرء السعدي ، وهو :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرِّفَهُم

البيت . وبعده :

نَجَّدَ بِنَاهُ لَنَا قَدَمًا أَوَانِلُنَا وَأُورِثُوهُ طِوَالَ الدَّهْرِ أَحْزَانَا (١)

ومفرء : تأنث أمفر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمفر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصُوفَة وصُوفَانُ
يقال لكل من وَلِيَ من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خِدمة
البيت ، أو بشيء من أمرِ المناسك يُقال لهم : صُوفَة وصُوفَان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مفرء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مفرء ، وله ترجمة في الإصابة
قال : ويسكن أبا المفرء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي ﷺ ،
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى ثِنَانًا إِذَا مَا جَاءَ بِدَاهِمٍ وَبَدُوهُمْ إِنْ أَنَا كَانَتْ ثِنِينَانَا

والثني والثنينان ، وكهدى وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأملالي ج ٢ ط ٢ وفي
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بن صفوان بن شجينة بن
عُطارد بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،
وفي المزهر ص ٤٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بني جعدة .

لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سُمي الغوثُ بن مُرٍّ : صُوفه ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدته ، فنذرت : لئن عاش لَتَعْلَقَنَّ برأسه صُوفه ، وَلَتَجْعَلَنَّهُ رَبيطًا للكمبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الرِّبِيطُ وحدث إبراهيم بن المُنذِر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقالُ بن شَبَّة قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسْوةً - فقالت : لله على . لئن ولدتُ غلامًا لأُعَبِّدَنَّهُ للبيتِ ، فولدت الغوث ، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ ، فمُرت به - وقد سقطَ وذَوَى واستَرَخَى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفه ، فسُمي صوفة (١) .

(١) في القاموس عن صوفة أيضا : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشبهوا كنشبة الصوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صفوانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يمحور القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضا وردت الشرطة الأولى : ولا يريمون في التمر يف موقفهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث - - نقلا عن الكلبي - يوجد في القاموس الذي ذكره للربيط عدة معان ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادما للبيت الحرام حتى بلغ ، فزعمته ، فلقب : الربيط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة « أد » من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضا : « وكان أحدهم يقوم فيقول : أجزى صوفة ، فإذا أجازت قال : أجزى خشف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وعرف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضا في اللسان بنفس رواية القاموس « ولا يريمون إلخ » وقول أبي عبيدة عن صوفة موجود في اللسان : وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزبير مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الغوث ابن مُرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زَيْدِ مَنَاة بن تميم بن مُرّ ، وكان سعداً أُنْعِد بالغوث بن مُرّ من غيره من العرب ^(١) ، وزيدُ مَنَاة بن تميم يقال فيه : مَنَاة وَمَنَاة بالهمز ^(٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مَفْعَلَة من ناء يَنْو ، ويجوز أن يكون : فَعَالَة من الْمَنِيئَة ، وهى : المدبغة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أُمّى] : أَعْطَيْنِى نَفْساً أَوْ نَفْسَيْنِ أَمْعَسُ بِهِ مَنِئِثَتِي ، فَإِنِى أَفِدَةٌ . النَّفْسُ : قِطْعَةٌ مِنَ الدِّبَاغِ ، وَالْمَنِئِثَةُ : الْجِلْدُ فِي الدِّبَاغِ ، وَأَفِدَةٌ : مُقَابَرَةٌ لاسْتِمَامِ مَا تَرِيدُ صِلَاحَهُ وَتَمَامَهُ مِنْ ذَلِكَ الدِّبَاغِ ^(٣) وَأَنْشُدْ أَبُو حَنِيفَةَ :

(١) القُعدد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحبر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الحاشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اختبرته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيدُ مناة بن تميم بن مر يمدو بقصر . قال هو بر الحارثى

أَلا هَلْ أَقَى التَّيْمَمِ بْنِ عَبِيدِ مَنَاةٍ عَلَى الشَّيْءِ فِيمَا بَيْنَنَا ابْنِ تَيْمَمٍ
وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : لإحدى بنى بكر ابن عبيد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الأصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أَمْعَسُ بِهِ ، بدلاً من : أَمْعَسُ بِهَا ، كما فى الروض . وفسر نفساً أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت قضيبي أراك بات في المسك منقما

وأشدد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيثة باكرت مداك لها من زعفران وإثمد (١)

استقار المزولفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزلفة كانت في عدوان
فالمزلفة : مُفْتَلَةٌ من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزْلَفْنَا نَمِّمَ

= قدر دبة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء : يَأْفِدُ أَفْدًا فهو أفده :
دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنيثة عند الفارسي : مَفْعَلَةٌ بكسر
العين من اللحم النقي ، ومنأ تأبى ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنيثة :
الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو : أفيق ، ثم : أديم . وأمس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان :
منأ الجلد بمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فميلة ، وفي تهذيب لإصلاح
المنطق للتبريزي : هو آفدة أى : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكى
فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . المعيبة . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة
لتي تشتكى فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم
ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيبه للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لحيد بن ثور وقيله :

فأقسم لولا أن حُددبا تنابعت على ، ولم أبرح بدّين مطردا
لواحت مكسالا كأن ثيابها تحن غزالا بالخيلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حددبا ، وهي السنون الجديدة - واحدتها : حديداء -
تنابعت عليه ، واستدان وطالبه الفرما ، وطرده لواحت مكسالا ، وهي المرأة
الثقيلة الازداف ، الناعمة الجسم ، أى : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر =

الآخرين) وقيل : بل الأزْدِلَافُ : هو الاقتراب ، والزُّلْمَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت
مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُونَ فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام
لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض ^(١) لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حَوَاءَ ، وَزْدَلِفُ إليه ، حتى تعارفا
بَعْرِقَةً ، واجتمعا بِالْمُزْدَلِفَةِ فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة ^(٢) .

ذو الإصْبَعِ وآل ظَرْبٍ :

وأما ذو الإصْبَعِ ^(٣) الذي ذكره فهو : حُرْثَانُ بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثَانُ
ابن الحارث بن مُحَرَّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرَةَ بن ثعلبة بن ظَرْبٍ ، وَظَرْبٌ هو :
والدعاصر بن الظَرْبِ الذي كَانَ حَكَمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته في
الْخُنْفَى ، وفيه يقول الشاعر [الْمُتَمَلِّسُ] :

== غزالا . والاعيد : المنثى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هي
الطيب والمداك ، وهو الحجر الذي يسحق عليه الطيب . والأثمد : الكحل . أى
باكرت هي الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب لإصلاح المنطق .

(١) الرأى الراجح أن جنة آدم كانت في الأرض .

(٢) لم يرد هذا في حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته في الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه في الأغاني :
حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن
عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
ابن نزار ، وفي الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه في أمالي المرتضى
بمختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة
وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة
ابن ظرب الخ .

الذى الحلم قبل اليوم ما تُقَرَعُ الْعَصَا وما عُلِّمَ الإنسان إلا لِيَعْلَمَ^(١)

وكان قد خَرَفَ ، حتى تَفَلَّتَ ذَهْنُهُ ، فكانت العصا تُقَرَعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وَعَمَرَ ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ ، وسُمِيَ ذا الإصْبَعِ ؛ لِأَن حَيَّةَ نَهَشَتْهُ فِي أُصْبُعِهِ .

وَجَدُّهُمْ ظَرْبُ : هو عمرو بن عِيَّاذِ بن يَشْكُرَ بن بكر بن عَدْوَان ، واسم عَدْوَان تَيْمٌ ، وأمه : جَدِيلَةُ بنت أَدِّ بن طابِخَةَ ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعمِئَةِ ألفٍ ، ثم هلكوا ببغى بعضهم على بعض ، وكان ثَقِيفٌ

(١) بيت الشعر الذى الحلم الخ، هو للمتلس ، وكان ابن الطرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت فى الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أماره أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا . فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصَمَة الدومى الذى قضى بين العرب ثلثمائة سنة ، والأصبع : مثانة الحمزة ، ومع كل حركة ثلث الآباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكم العرب فى الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والافرع بن حابس ، وربيعه بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة تميم ، وعامر بن الطرب ، وغيلان بن سلبة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعه ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكميات العرب : صحر بن بنت لقمان وهند بنت الحسن ، وجعة بنت حابس وابنة عامر بن الطرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قَسِيٌّ بنُ مُنَبِّهٍ صَهِراً لَعَامِرِ بنِ الظَّرْبِ ، كانت تحتَه زَيْنَب بنت عامر ،
وهي أم أم أكثر ثَقِيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلي بنت الظرب هي :
أم دَوْس بن عَدْنان ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلكَت
عَدْوَان ، وأُخْرِجَت بقيتهم ثَقِيف من الطائف ، صارت الطائف بأسرها لثَقِيف
إلى اليوم .

وقوله : حَيَّة الأرض : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مَهِيماً
يُذْعَر منه ، كما قال حسان :

يَا مُحْكَم بن طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُّ أَبِيكُمْ حِيةِ الْوَادِي

يعني بحية الوادي : خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فصل : وقوله : عَذِيرَ الْحَيِّ من عَدْوَان ^(١) . نصب عذيراً على الفعل المترك
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أي : مَنْ يَعْذُرُه ، فيكون العذيرُ بمعنى :
العاذر ، ويكون أيضاً بمعنى : العُدْر مصدرًا كالحديث ونحوه .

أبو سبابة :

وذكر أبا سَيَّارة ، وهو عُمَيْلَةُ بن الأَعْزَلِ في قول ابن إسحاق ، وقال غيره :
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيدة التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتاً في ترجمة ذي
الإصبع ، والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته ، وقال عن بيت ذي
الإصبع الأول : « أراد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يضيعون ثأراً » .

له أتان عَوْرَاء، خِطَامُهَا لَيْفٌ، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها
يعنى الراجز في قوله : حتى يُجَيِّزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لَاهُمْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
فَقِ أبا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذْ يُحَسَّدُ

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذى يقول : أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وهو الذى يقول :

لَاهُمْ إِنِّى تَابِعٌ تَبَاعَهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا أُلغيت
الألف واللام من الله كان الباقي : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك .
يريدون : لله أبوك ، وقالوا : لهنك أصلها : لله إنك ، غذف الألف واللام ، فقال :
لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لهنك ، وقالوا : لهننا . أصلها : لاه إنا
غذف مدة لاه ، وترك همزة نا . ويرى الفراء أن لهنك أصلها : لأنك ، فأبدل
الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن
جنى في الخصائص عن اللام في قوالهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة
وصدرها ، لا آخرها وعجزها : ثم قال : ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة
قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء ليحول
لفظ إن ، فزول أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا : لَسْـَـنْسْكَ قائم بفتح فكسر
فتضعيف ، أى : لسنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا
رأى سيئويه في الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك
الخصائص . ص ٣١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثَبِيرٌ : جبال بظاهر مكة ، والاثيرة أربعة : ثَبِيرٌ عَيْشَى ، وثَبِيرٌ الْأَعْرَج ،
وهما : حراء وثَبِيرٌ . وثَبِيرٌ الْإَثِيرَةُ ، وثَبِيرٌ مَنَى ، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل : =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَقِّضْ بين رِعاثنا ، وحَبِّبْ بين نساتنا ،
واجعل المَالَ في سُمَحائنا : وهو أول من جعل الدِّيَّة مائة من الإِبِل ، فيما ذكر
أبو اليقظَان ، حكاه عنه حَمَزَةُ بن الحسن الأصبهاني .

وقوله : وعن مواليه بنى فَزَارَةَ . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدَوَان
وعَدَوَانُ وفَزَارَةُ : من قَيْس عَيْلَانَ ، وقوله : مُسْتَقْبِلُ القِبلة يدعُو جَارَهُ . أى :
يدعُو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه ، أى : مجيرا .

== ادخل ياثير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا
يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، والإفاضة
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح الكافية
ج ٢ ص ٣٣٢ . واعلم أن من العرب من يقول : لَتَهَنَّاكَ . بفتح اللام وكسر
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَتَرَجُلُ صدق . قال : لَهَنَّا لَمَقْفَضِي عِلِينَا التهاجر .
وقال : لهني لأشقى الناس إن كنت غارما . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :
ألا يا سنا برهق على قلئل الحى لَهَنَكَ من بَرَقَ عَلَى كريم

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيويوه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن
كياياك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجامعة اللام إياها
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي
أدهم الكلاني : دَلَه ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :
لله أبوك . ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله . في سُهَيْل إِذَ ما الله بارك في الرجال
، وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك ==

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان المدونى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأنوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلَة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعانيها إذا سرحت فيقول : صَبَّحَتِ وَاللَّهِ يَاسُخَيْل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَّيْتُ وَاللَّهِ يَاسُخَيْل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقه ، وقلة قراره على فراشه قالت : مالك لا بألك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعَيْنى ، أمرئيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال : وَيْحَكَ ! اخْتَصِمِ إِلَىِّ فى ميراث خُنْثَى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟

== وفيما قال تكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إناك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأنه يقال : لهنك لقائم بلا تعجب .

فوالله ما أدرى ما أصنع ، وما يتوجّه لى فيه وجه ؟ : قال : فقالت سُبْحان الله ! لا أَبالَكَ ! أتَبِيعُ القضاءَ الْمَبالَ ، أَقْعِدُهُ ، فإن بال من حيث يبُولُ الرجلُ فهو رجل ، وإن بال من حيث نبُولُ المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسَى سُخَيْلٌ بعدها ، أو صَبَّحَى ، فَرَجَبَهَا والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قریش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فأتاهم قُصَيُّ بن كلاب بمن معه من قومه من قریش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لَنَحْنُ أُولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقْتَتَلَ الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قُصَيٍّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سَيَحُولُ بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتَقَوْا ، فافتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح ، وإلى أن يُحْكَمُوا بينهم رجلاً من العرب ، فحَكَّمُوا يَعْمَرُ بنَ عَوْفٍ بنَ كَعْبٍ بنَ عامر بن

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ أَنَّ قُصَيًّا أُولَى بِالسَّكْبَةِ ، وَأَمْرٌ
مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصَيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنَى بَكْرٌ : مَوْضُوعٌ
يَشْدُخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةُ وَبَنُو بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ
وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّبْيَةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنَّ يُحْلَى بَيْنَ قُصَيٍّ وَبَيْنَ السَّكْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسُمِّيَ يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشَّدَاخُ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاءِ
وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشَّدَاخُ .

قال ابن إسحاق : فَوَلَّى قُصَيُّ الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّكَوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ
مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ
صَفْوَانَ وَعَدَوَانَ وَالنِّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ
الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَيٌّ أُولَى بِنِي كَعْبٍ بْنِ أُوَيٍّْ أَصَابَ
مُلْسًا أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّقَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ،
وَالنَّدْوَةُ ، وَاللَّوَاءُ ، فَحَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلِّهَا . وَقَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ
كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَبِزَعْمِ النَّاسِ أَنَّ
قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرِ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَيٌّ بِيَدِهِ وَأَعْوَانِهِ ، فَسَمَّيْتُهُ
قُرَيْشًا : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَتَيَمَّنْتُ بِأَمْرِهِ ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ،
وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ نَزْلِ بِهِمْ ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً
لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

إذا بلغت أن تدَّرع من قریش إلا فی داره ، یُشَقُّ علیها فیها درعها ثم تدَّرعہ ،
ثم ینطلقن بها إلى أهلها . فكان أمره فی قومه من قریش فی حیاته ، ومن بعد
موته ، کالدَّین المتَّبِع لا یُعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها
إلى مسجد الکعبة ، ففیها كانت قریش تقضى أمورَها : قال ابن هشام :
وقال الشاعر :

قُصِيَّ لَعَمْرِي ، كَانَ يُدْعَى مُجَمَّمًا به جَمَعَ الله القبائلَ من فِهرِ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب
ابن خبابٍ صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب ،
وهو خليفة ، حديث قُصِيَّ بن كلاب ، وما جمَعَ من أمر قومه ، وإخراجه خُرَاعةً
وبني بكر من مكَّة ، وولايته البيتَ وأمر مكة ، فلم يردِّ ذلك عليه ولم ينكره .

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ قُصِيٌّ من حربِه ، انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة
إلى بلاده بمنَّ معه من قومه ، وقال رِزَاحُ في إجابته قُصِيًّا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولُ	فَقَالَ الرَّسُولُ : أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ	وَنَطْرَحَ عَنَّا الْأُمُولَ الثَّقِيلَا
نَسِيرُهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ	وَنَكْمِي النَّهَارَ ؛ لِنَلَّا نَزُولَا
فَهُنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بَنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذِينَ	وَمِنْ كُلِّ حَىٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَالِكِ حَلَبَةٍ مَا لَيْلَةٌ	تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَيِّبَا رَسِيلَا

فَلَمَّا مَوَزَنَ عَلَى عَشَجَرٍ وَأَسْهَلَنَ مِنْ مُسْتَفَاحٍ سَبِيلَا
وَجَاوَزَنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَانٍ وَجَاوَزَنَ بِالْعَرَجِ حَيَا حُلُولَا
مَهْرَنَ عَلَى الْخَيْلِ مَا دُقْنَهُ وَعَالَجَنَ مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَدَّتْني مِنَ الْعُودِ أَفْلَاءَهَا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقِيَ الصَّهِيلَا
فَأَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْحَنَا الرِّجَالَ قَبِيلًا فَبِيلَا
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السِّیُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولَا
نُخَبِّزُهُمْ بِصِلَابِ الذُّسُو رِ خَبِزَ التَّقْوَى الْعَزِيزِ الذَّلِيلَا
قَتَلْنَا خُرَاعَةً فِي دَارَهَا وَبَكَرًا قَتَلْنَا وَجِيلًا فَبِيلَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ كَمَا لَا يَحْمِلُونَ أَرْضًا سُهُولَا
فَأَصْبَحَ سَبِيهُمُ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الْغَلِيلَا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم القُضَاعِيّ
في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَعَالَى مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجَنَابِ
إِلَى غَوْرَى سِهَامَةٍ ، فَالتَقِينَا مِنْ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْفَى ، فَخَاوَا مِنْزِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلَى إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطَّرَابِ

وقال قُصَيِّ بن كِلَاب :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزِلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

إلى البطحاء قد علمت معدةً ومروها رَضِيت بها رَضِيت
فلستُ لغالب إن لم تأثُل بها أولاد قينذر ، والنبيتُ
رِزَاحُ ناصِري ، وبه أَسامي فلستُ أخافُ ضيما ما حَييتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نشره الله ونشر حُنا ، فهما قبيلة
عُدرة اليوم . وقد كان بين رِزَاح بن ربيعة ، حين قدِم بلاده ، وبين نَهْد بن
زَيْد وحوثة بن أسلم ، وهما بطنان من قُضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا
بالمين ، وأجلوا من بلاد قُضاعة ، فهم اليوم بالمين ، فقال قصي بن كلاب ، وكان
يجب قُضاعة ونمائها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رِزَاح من الرَّحِم ، ولبلأهم
عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رِزَاح :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحاً فَإِنِّي قَدْ كَلَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ
كَلَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
وَحَوْثُكَةَ بْنَ أَسْلَمَ إِنَّ قَوْمًا عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جَناب الكلبي .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قصي ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكروه ،
وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى
وعبد . قال قصي لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لألحقنك بالقوم ، وإن
كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم السكبة ، حتى تكون أنت تنفتحها
له ، ولا يعقد أقرش لواء لحريها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من
سقيتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قرش

أمرأ من أمورهما إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تنقض قريش أمراً من أمورهما إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

من فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خُرْجاً تُخرج قريش في كلِّ موسم من أموالها إلى قُصَيِّ ابنِ كِلَابٍ، فيصنع به طعاماً للحاجِّ، فيأكله مَنْ لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قُصَيّاً فرَّضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يامُعَشَرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهلُ الحرم، وإن الحاجَّ ضَيْفُ اللهِ وزوّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحجِّ، حتى يَصُدُّرُوا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون لذلك كلَّ عام من أموالهم خُرْجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحجُّ .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبي إسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد ابن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم، قال :

سمعتُه يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له : نُبَيْهَةُ بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصَيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصَيٌّ لا يُخَالَفُ، ولا يُرَدُّ عليه شيء صنَّعه .

الحكم بالأمارات :

فصل : وذكر عامر بن الظرب وحكمه في الخنثى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قبيصه بدمٍ كذبٍ) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدَّمَّى لم يكن فيه خرقٌ ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : (إن كان قبيصه قدَّ من قُبُلٍ [فَصَدَقَتْ ، وهو من الكاذبين] . يوسف : ٢٦) الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : « إن جاءت به أوزق جعدًا أجمًا ليا فهو للذي رُميت به ^(١) » فلا استدلال بالأمارات أصلٌ يَنبَنِي عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والخُكْمُ في الخُنْثَى أن يُعْتَبَر المَبَالُ ، ويُعْتَبَر بالحَيْض ، فإن أَشْكَلَ من كُلِّ وَجْهِ ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سَهْمُ امرأةٍ ونصف ، وفي الدِّيَّة كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولا ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس، البينة، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحمد ، والجعد : القصير الشعر ، والأورق : الأسمر مع بياض . والجمالي : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، فجاءت بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . »

السراخ :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُزَاعَةَ^(١) وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بنِي دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبٍ ، وأبوه : يَزِيدُ ، وحَدِيقَةُ بن دَأْبٍ ، ودَأْبٌ هو : ابن كُرْز بن أَخْمَر من بني يَعْمَر بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُزَاعَةَ ، أى : أبطلها ، وأصل الشَّدَخ : السكسر والْفَضْحُ ، ومنه الْفُرَّةُ الشادخة ، شُبِّهَتْ بِالضَّرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخُ ، كما يقال : الْمَنَازِرَةُ فِي الْمُنْذِرِ وبنوه ، والأشْعَرُونَ في بنى الْأَشْعَر من سبأ^(٢) وهو بابٌ يكثر ويطول . وأمَّ يَعْمَرُ الشَّدَاخُ اسمها : السُّوْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتى ذكر جُرَّة بالسكسر^(٣) ذكره ابن ماكولا . ومن بنى الشَّدَاخ : بَلْعَاءُ بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَر

(١) في الاشتقاق : إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدميَّ ، والشَّدَخ : وطوؤك الشيء حتى تفضخه ، والفرس الشادخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضخ : السكسر ، ويذكر السهيلي عيسى بن يزيد بن دَأْب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دَأْب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جُرَّة بالسكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جُرَّة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة، اسمه: حُمَيْصَةُ، ولَقَّبَ :
بلعاء^(١) لقوله:

أنا ابنُ قَيْسٍ سَبْعًا وابنُ سَبْعٍ أَبَارَ من قَيْسٍ قَبِيلًا فالْتَمَعَ
كأنما كانوا طعامًا فابْتُلِعَ
(ولاية قصي البيت)

ذكر فيه أمرُ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكة، وأنشد :
قُصَيُّ لَعَمْرِي كان يُدْعَى مُجَمَّعًا^(٢) . البيت وبعده :
هُمُوا مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَا غَوَاةَ بَنِي بَكْرٍ
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جُمَح .

وذكر أن قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا^(٣) ، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر
الحرم للبنيان . وقال الواقدي : الْأَصَحُّ في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا
البنيان قالوا لِقُصَيٍّ : كيف نصنع في شجرِ الْحَرَمِ ، فحذَّروهم قَطْعَهَا وَخَوْفَهُم

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بثر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا
كان نهمًا ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :
وفارس في غمار الموت منغمس إذا تَأَلَّى على مكروهه صدقا
غمار الموت : شدائده ، تَأَلَّى : حلف ، وفي اللسان : حَمَضَةُ اسم حي بلعاء
وقد كان بلعاء رئيسا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني، ومات في تلك الأيام
(٢) في الطبري ٢٥٦ ج ٢ ، أبوكم قصي كان يدعى بمجما .
(٣) دورا .

العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فلول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابتنى دُوراً بقميقيعان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضى الله - أنه قطع دوحه كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فتقطعها عمر - رضى الله عنه - وودأها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغنى في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالعاما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أفتى فيها بعقبة^(١) رقية .

(١) وفي الشقيرى للحجب الطبرى : « عن عطاء أنه كان يقول في المحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة » ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك . والسنى : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن ينجى الكمامة من الحرم ولا بأس بالشعشع (نبات يفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والكمامة جمع مفردة : كم ، والكمم : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخارى ومسلم أن الحرم لا يعصد شوكه ، أى : لا يقطع .

دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدَى والنادى والمُنْتَدَى ، وهو مجلس القوم الذي يَنْدُون حَوْلَهُ ، أى : يَذْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ ، ثم يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، والتَّنْذِيَةُ في الخيل . أن تُصْرَفَ عن اَوْرَدَ إلى المرعى قَرِيبًا ، ثم تعاد إلى الشُّرْبِ ، وهو المُنْتَدَى^(١) ، وهذه الدارُ تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام ابن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك ، وقال : أَيْبَتَ مَكْرُمَةَ آبَائِكَ وشرَفَهُمْ ، فقال حكيم : ذهبت المكارمُ إِلَّا التَّقْوَى . والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بِزِقِّ خمر ، وقد بعته بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها في سبيلِ الله ، فأثينا المَغْبُونُ ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدارُ قُطْنِي في أسماء رجال الموطأ له .

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رِزَاح ، وفيه : وَنَكَمِي النَّهَارَ أَى : نَكَمُنُ وَنَسْتَرُ ، وَالْكَمِي مِنَ الْفَرَسَانِ ، الذى نَكَمَمِي بِالْحَدِيدِ . وقيل : الذى يَكَمِي شَجَاعَتَهُ ، أَى : يَسْتَرُهَا ، حتى يَظْهَرَهَا عند الوغى . وفيه : مَرَرْنَا بِقَسَجَرٍ ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : وَرِقَانِ اسم جبل ، ووقع في نسخة سفيان : وَرِقَانِ بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكري : وَرِقَانِ بكسر الراء ، وأنشد لِلْأَخْوَصِ :

(١) والمُنْتَدَى أيضاً من أسماء النادى الذى هو يجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والمُنَادَى : مكان ورد الإبل .

وكيف تُرَجَّى الوصل منها وأصبحت ذُرَى وَرْقَانٍ^(١) ذُرْنَهَا وَحَفِير

ويخفف ، فيقال : وَرْقَان . قال جميل :

يَا خَلِيلِيَّ إِنَّ بَدَنَةَ بَانَتْ يَوْمَ وَرْقَانَ بِالْفَوَادِ سَبِيًّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أوشالاً^(٢) وعُيوناً عذاباً ،
وسُكَّانَهُ : بنو أَوْس بن مُزَيْنَةَ .

وذكر أيضاً الحديث ، وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ضَرْسُ
الْكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ »^(٣) . وفي حديث آخر أنه
عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنَةَ ينزلان
جبالاً من جبال العرب ، يقال له : وَرْقَان^(٤) كل هذا من قول البكري في كتاب
مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ .

فصل : وذكر أشمذين بكسر الهمزة ، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص :
الْأَشْمَذَانِ : جبالان [بين المدينة وخيبر] ، ويقال : اسم قبيليتين ، ثم قال في

(١) ورقان - بالفتح ثم الكسر - ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين
العرج والرويشة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .

(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة .

(٤) الذي في الحاكم : « آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة
ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشاً ، حتى إذا بلغا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَسرا على
وجوههما ، ومثل هذه الإحاديث لا يعتد بها .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من أشمذين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذين^(١) بكسر الذال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شَمَذَتِ الناقةُ بذَنبها أى : رفعت ، ويقال للنحل : شَمَذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مَرَرَن على الحِلي^(٢) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرَن على الحِلِّ والأخرى : مَرَرَن على الحِلَى ، فأما الحِلُّ : فجمع حِلَة ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ^(٣) . ذكره ابنُ دُرَيْدٍ في الجُمَهْرَةِ . وأما الحِلَى ، فيقال : إنه ثمر الثَّمَلِثَانِ^(٤) وهو نَبْتٌ .

(١) في المراصد : أشمذين - بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الشنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر في شرحه للسيرة هذا الرأي لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الراء ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الخيل . السيب : المشى السريع في رفق كالنسياب الحية . الرسيل : المشى الذي فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد من نواحي الطائف . العوذ : جمع عائد : الناقة أو الفرس التي لهما أولاد . والآفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور : =

وقوله فيها : نَخَبَزُهُمْ . أى : نسوقهم سوقاً شديداً ، وقد تقدم قول
الراجز . لا تَخْبِزْ أَخْبِزْاً وَبَساً بَساً .

وذكر شعر رِزاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجفاب . بكسر
الجيم ، وهو موضعٌ من بلاد قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عُلَى ، ومُ بنو كِنانة ، وإنما سماوا بني عُلَى ؛ لأنَّ عبد مناة
ابن كِنانة كان ربيباً لعُلَى بن مسعود بن مازن من الأزد جدَّ سَطِيح
الكاهن ، ف قيل لبني كِنانة : بنو عُلَى ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بَكْر
ابن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خُرَاعَةَ .

شعر قصي والعذرتاه :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصمين بنى لؤى . الأبيات . وليس
فيها ما يشكل .

== نداء أول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النور : النور : جمع
نسر ، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن الحافر . وصلاب النور كناية عن الخيل
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المقالة ، وهى ارتفاع الدابة فى
سيرها وبجاوزتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانبط ،
ومنه : غورتاهمة ، وكل ما وصف به تهامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمى
واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تبت العشب ، الضراب : يقال :
ضرب الفحل ضرباً : أتى الناقة . والطراب : الإبل التى اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،
ابن ربيعة ، فهما حيّا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة : عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خبير بن طبيان ،
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن
ثعلبة بن الهوزى بن عمرو بن الأحب بن حن [وفى قضاة أيضا عذرة بن
عدى ، وفى الأزد : عذرة بن عداد] .

موتة وأسلم :

وذكر حوتكة بن أسلم وبني نهد بن زيد وإجلاء رزاح لهم ^(١)

(١) نسب جميل فى جهرة أنساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر
ابن الحارث بن الحبير [فى الروض ابن خبير فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغاني مع الجهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغاني
« ابن طبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لآبيه ، يقال له :
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن
سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجهرة : بئنة بنت حبا
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لآبها صحبة
ص ٢٠ جهرة . وفى الأغاني : بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَكُهُ هُو : عُمُ نَهْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمَ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِ هَذَا ، وَأَسْلَمُ بْنُ تَدُولِ ابْنِ تَيْمِ اللَّاتِ (١) . بن رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبٍ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَابِنِ (٢) . بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فَأَسْلَمَ بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

==الأحب بن حن بن ربيعة . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة، وكذلك في جهرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب: عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزدي: عذرة بن عداد، وفي الجهرة لابن حزم ضبط أَسْلَمَ بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِ: سُوْدُ بْنُ أَسْلَمَ . فولد سُوْدُ بْنُ أَسْلَمَ لَيْثٌ وَحَوْتَكُهُ بفتح الحاء وإسكان الواو . بطن بمصر مع بني خميس بن جينة ، وإياس بن سُوْدَ ، وهم في بني لؤى بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجري عن الحاف أنه لما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسر مثل: العاص في اسم العاص بن أمية ، والعاص بن وائل السهمي . ومثل اليمان في أب حذيفة اليمان ، ومثل الداع في قوله سبحانه: «أجيب دعوة الداع إذا دعان» ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة ، وص ١٥٥ جهرة . ونقلت ما ذكرت عن ابن الشجري من تعليق للأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هوذى أنه هُوَذَةُ .

(١) في الجهرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجهرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بني كلب بن وبرة: «وبنو أَسْلَمَ بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة» .

(٢) في الجهرة : أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَافِقِ ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أَسْلَمَ بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع: سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى: سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهى الدلو العظيمة .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف المطيين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاخْتَطُّوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قَطَعَ لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاثما والمطلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة والالواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، ففترقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرون أن لا يُنزع منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أَسَنَ بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زُهرة ابن كلاب ، وبنو تميم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جحج بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهير ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعمد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحر صوفة .

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأخلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا وحلفوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسموا المطيبين .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا وحلفوا عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف .

ثم سوند بين القبائل ، ولز بعضها بعض ، فعبيت بنو عبد مناف لبنى سهم ، وعبيت بنو أسد لبنى عبد الدار وعبيت زهرة لبني جحج ، وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم ، وعبيت بنو الحارث بن فهير لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لتفن كل قبيلة من أسند إليها .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتماجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما كان مِنْ حَنْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد الغزي ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يمدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أذعني به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذى العزوة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه لسايطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لأخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله كئن دعا به لأخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللبني عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرقادة والسماية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مِعْلَلاً ذا وَلَدٍ ، وكان هاشم

مُوسِرًا فَكَانَ - فَيَا يَزْعُمُونَ - إِذَا حَضَرَ الْحُجُّ ، قَامَ فِي قَرِيشٍ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، إِنَّكُمْ حِيرَانُ اللَّهِ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَإِنَّهُ يَأْتِيكُمْ فِي هَذَا الْمَوْسَمِ زُورًا لِلَّهِ وَحُجَّاجٌ بَيْتِهِ ، وَهُمْ ضَيْفُ اللَّهِ ، وَأَحَقُّ الضَّيْفِ بِالْكَرَامَةِ : ضَيْفُهُ ، فَاجْمَعُوا لَهُمْ مَا تَصْنَعُونَ لَهُمْ بِهِ طَعَامًا أَيَّامَهُمْ هَذِهِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِقَامَةِ بِهَا ؛ فَإِنَّهُ - وَاللَّهِ - لَوْ كَانَ مَالِي يَسَعُ لَذَلِكَ مَا كَلَّفْتُكُمْ وَهُ ». فَيَخْرُجُونَ لِذَلِكَ خَرْجًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، كُلِّ امْرَأَةٍ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ ، فَيُصْنَعُ بِهِ لِلْحُجَّاجِ طَعَامٌ ، حَتَّى يَصُدُّوا مِنْهَا .

وَكَانَ هَاشِمٌ - فَيَا يَزْعُمُونَ - أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقَرِيشَ : رِحْلَتِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الثَّرِيدَ لِلْحُجَّاجِ بِمَكَّةَ ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ : عَمْرًا ، فَنَامَتْ هَاشِمًا إِلَّا بِهَشَمِهِ الْخَبَزِ بِمَكَّةَ لِقَوْمِهِ ، فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ قَرِيشٍ أَوْ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ :

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنِنِينَ عِجَافٍ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كَلَاهِمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ ، وَرِحْلَةُ الْإِيلَافِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ

قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْنِنِينَ عِجَافٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ هَلَكَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بَغْزَةً مِنْ أَرْضِ الشَّامِ تَاجِرًا ، فَوَلَّى السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ مِنْ بَعْدِهِ الْمُطَّلَبُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَكَانَ أَصْفَرَ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ وَفَضْلٍ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تُسَمِّيهِ : الْفَيْضَ لِسِمَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ .

وَكَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ ، فَتَزَوَّجَ سَكْمَى بِنْتَ عَمْرٍو أَحَدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَحْيَحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ بْنِ الْحَرِيشِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : الْحَرِيشُ بْنُ جَحْجَجٍ بْنِ كُثَيْفَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرٍو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةَ ، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصِيفاً ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ لِيَقْبِضَهُ ، فَيُلْحِقَهُ ببلده وقومه فقالت له سَلَمَى : لستُ بِمُرْسَلته معك ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معي ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غَرِيب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلِي كثيراً من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شَيْبَةُ لعمِّه المطلب - فيما يزعمون - لستُ بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذِنَتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَه معه على بعيره ، فقالت قُرَيْش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فيها سَمَى : شَيْبَةُ عبدَ المَطَّلَب . فقال المَطَّلَب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك المَطَّلَب برَدَمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْنَكِيه :
قد ظمئ الحَجِيجُ بعد المَطَّلَبِ بعد الجِفانِ والشَّرَابِ المُنْتَعِبِ
ليت قُرَيْشاً بعده على نَصَبِ

وقال مَطْرُود بن كَعْب الخَزَاعِي ، يبكي المَطَّلَبَ وبنى عبد مناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نَوْفَل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلْكا :

يا لَيْلَةَ هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَاتِ الْقَسِيَّاتِ

وَمَا أَقَاسِي مِنْ هُمُومٍ ، وَمَا عَاجَلْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ
ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَمْرِ وَالْأَرْدِيَةِ الصُّمْرِ الْقَشِيبَاتِ
أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
مَيِّتٍ بَرْدَمَانَ وَمَيِّتٍ بَسْلَمَانَ وَمَيِّتٍ بَيْنَ غَزَاتِ
وَمَيِّتٍ أُسْكِنَ لِحْدًا لَدَى الْمَحْجُوبِ شَرْقَ الْبَنِيَّاتِ
أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنْفٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

عن حلف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصِيَّ جَعَلَ
إليهم ، وذكر في ذلك حِلْفَ الْمَطِيِّينَ ، وسماهم ، وذكر أن امرأة من نساء
عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفَنَهُ مِنْ طَيْبٍ ، فَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ،
وَلَمْ يُسَمِّ الْمَرْأَةَ ، وَقَدْ سَمَاهَا الزَّيْبُرُ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ ، فَقَالَ : هِيَ أُمُّ حَكِيمِ
الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَوَأَّمُهُ أَبِيهِ .
قَالَ : وَكَانَ الْمَطِيِّيُّونَ يُسَمُّونَ : الدَّافَةَ جَمْعَ دَائِفٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ
دَافُوا الطَّيْبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري
في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر :
« من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب » ، ويذكر أن بني سهم بن عمرو نَحَرَتْ جُزُورًا ،
وقالوا : « من كان منا فليدخل يده في هذه الجُزُور » ، فأدخل من أدخل فسميت =

السناد والبرقواء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتكفي كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند من السناد ، وهي مقابلة في الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حَرْفِ الرَّوِيِّ حَرْفُ مَدَّوْلَيْنِ ، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الرَّوِيِّ حرفُ لَيْنِ ، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله في بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا^(١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين في المد ، كما يتقابل القَبِيلَتَانِ ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الأحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده في الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدي كلها بأيديها ، فسموا : لعقة الدم ، وانظر أيضا ص ١٦٦ المحبر لابن حبيب . وص ٤ شرح السيرة للخشني . وداف الشيء دَوْفاً ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك في الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ومجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره في الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كَأَن غَضُونَهُنَّ مِمَّنْ وَغَدِرَ » وفي رواية : مَمَّنْ وَغَدِرَ بدلًا من غَضُونِ ، ويروى : إِذَا عَرَيْنَا بدلًا من جَرَيْنَا ، والغدر : جمع غدير . تصفحها الرياح : تضربها . يشبه غَضُونُ الدرع مَمَّنْ وَغَدِرَ إِذَا ضَرَبَتْهَا الرِّيحُ فِي جَرِيهَا ، والطرائق التي ترى في الدروع بالتي تراها في الماء إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ « عن الزوزني ، في شرح المعلقات .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةَ من المِصرَاعِ الأولِ ، كما تَنْقُصُ قُوَّةَ من قُوَى الحَبْلِ (١) ،
وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المِصرَاعِ الأولِ حرفٌ من الوَتَدِ كقوله :

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وكقول الآخر :

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْفَرْثُ يُعْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أُرْتَّتْ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخصلة الواحدة من قوى الحبل . وجبل مقوى : هو أن تزخى قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أقبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيباني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي . والأخفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ، لأحصى ، وفككت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جنى أن الإقواء وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت لحجل بن نضلة . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السلى مشروبا

والسلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو في الماشية : السلى ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جعبل . أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأصمعيُّ يُسمِّي هذا الإقواء : المُقْعَد ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال
عديُّ بن الرِّقَاع [العاملي] في السَّناد :
وقصيدة قد بُتَّ أجمعُ بيَّتِها حتى أثَّفت مَيلِها وسِنَادَها (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقده قريشُ بينها على نُصرة كلِّ مظلوم بمكة
قال : ويُسمَّى حِلْفَ الْفُضُول ، ولم يذكر سبب هذه التسمية ، وذكرها ابنُ
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشا إلى مثل هذا الحلف جُرهمُ في الزمن الأول ،
فتحالف منهم ثلاثة هم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بنُ فُضالة ، والثاني :
الفضلُ بنُ وداعة ، والثالث : فُضَيْلُ بن الحارث . هذا قول القُتَيْبِيِّ . وقال الزبير :
الفُضَيْلُ بنُ سُراة ، والفضلُ بنُ وداعة ، والفضلُ بنُ قُضاعة ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك ساء الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه
زحاف قيل له : مقْعَد ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جني في الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة
ما جاز للعرب أولاً ؟ » ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقبس
مشورنا على مشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقبس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه
والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا ، وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :
أقوم بدلا من أثقف ، وبعده :

نظر المُثَقَّف في كهوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها ، ١٦ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .

قريش الآخر فعل هؤلاء الجزهيميين سُمي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضل ، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن^(١) ، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر ، قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول^(٢) على أهلها ، وألا يعزَّ ظالمٌ مظلوماً . ورواه في مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي ، فقد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول ، وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار^(٣) كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول

(١) أخذ بهذا الرأي ابن الأثير في النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير في البداية : الفضل بن الحارث لافضل ، والفضل بن شراعة لافضل .

(٢) أي تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظله أحداً إلا أخذوه له منه . وفي حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية ، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان في الجاهلية ، وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ، فسميت فجراً .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلفٍ
سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تكلم به ودعا إليه : الزبير بن
عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه
العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدَرٍ بمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقّه ، فاستعدى عليه
الزُّبيدِيُّ الأَحلاف : عبد الدار ومَخْرُومًا وُجَّحَ وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب ،
فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوهُ ، أي : انهروه ، فلما رأى
الزُّبيدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس ، وقرِيش في أُنْدِيتهم
حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرِ لِمَظْلُومٍ بِبُضَاعَتِهِ بِيْطَنَ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ (٢) يَا لِلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحِجَرِ (٣)
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَثُوبِ الْفَاجِرِ الْفُدَرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت
هاشمٌ وزُهرةٌ وتيمٌ بن مرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا
في ذى القعدة في شهرٍ حرام قِياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : لئلا يكوننَّ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي بوجل من مذحج .

(٢) في تجريد الأغاني : « حرمة » .

(٣) في التجريد : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التجريد بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أَقَامَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِدَمْتِهِمْ أَمْ ذَاهَبَتْ فِي ضَلَالٍ مَالٍ مُضْتَمِرٍ

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِراهُ
وَبَيْرٌ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّائِي في العاش ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْخَلْفَ : خَلْفَ
الْفُضُول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلِ من الأُمَر ، ثم مَشَوْا إلى العاصي
ابن وائل ، فانتزعوا منه سِلَعةَ الزُّبَيْدِي ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير
رضي الله عنه :

خَلَفْتُ لِنَعْقِدَنَّ خِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ
نُسَمِّيهِ : الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالَى الْبَيْتِ أَنَا أُبَاةَ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا ، وَتَعَاقدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَائَقُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِفِيهِمْ سَالِمٌ
وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَنَمٍ قَدِمَ مَكَّةَ
مُعْتَمِرًا ، أو حَاجًّا ، ومعه بنتٌ له يقال لها : الْقَتُول من أَوْضَا نساء العالمين ،
فاغتصبها منه نُبَيْةُ بْنُ الْحَجَّاج^(١) وغيَّبها عنه ، فقال الْخَنَمِيُّ : من يُعْدِنِي عَلَى

(١) هو نُبَيْةُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ هَصِيصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِ بْنِ غَالِبٍ . كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ
وَذَوِي النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَكَانَا يَمْنُ نَصَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الْعَدَاوَةُ ، وَقَتْلًا مَعَ يَوْمِ
بَدْرٍ مُشْرَكِينَ ، انظر التجرید ص ١٨١٠ ونسب قُرَيْشٍ ص ٤٠٤ . وقصته مع
القتول في الإغاني .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :
يَا حَلْفَ الْفُضُولِ ، فَإِذَا هُمْ يُعْتَمِقُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَقَدْ انْتَضَوْا أَسْيَافَهُمْ
يَقُولُونَ : جَاءَكَ الْعَوْتُ ، فَمَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنْ نُبِّهْتُ ظِلْمِي فِي ابْنَتِي ، وَانْتَزَعَهَا
مِنِّي قَبْرًا ، فَسَارُوا مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى بَابِ الدَّارِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ :
أَخْرِجِ الْجَارِيَةَ وَنَحْنُكَ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ نَحْنُ ، وَمَا تَعَاقَدْنَا عَلَيْهِ !! فَقَالَ : أَفْعَلُ ،
وَلَكِنْ مَتَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : لَا : وَاللَّهِ ، وَلَا سُخْبَ لِقِحَّةٍ (١) ،
فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَاحَ صَحْبِي وَلَمْ أُحَيِّ الْقُتُولَا لَمْ أُودِّعْهُمْ وَدَاعَا جَمِيلَا
إِذَا أَجَدَّ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا قَدْ أَرَانِي ، وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أُنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الزَّكْبُ هُنْتُمْ عَلَى إِلَّا أَقُولَا

فِي آيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ ذَكَرَهَا الزَّيْبِرُ ، وَذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ فِيهَا أَيْضًا :

حَلَّتْ تِهَامَةً حِلَّةً مِنْ بَيْتِهَا وَوِطَائِهَا
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلًا مِنْ سَهَابِهَا وَحَرَائِهَا
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَآتُ فَكَيْفَ بِنَائِهَا (٢)

(١) فِي الْأَصْلِ : وَلَا شَجْتَ . وَهُوَ خَطَأٌ ، وَأَصْلُ الشَّخْبِ : مَا خَرَجَ مِنَ
الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ وَيَضُمُّ وَبِالْفَتْحِ : الدَّمُ . وَالْقِحَّةُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا : النَّاقَةُ الْقَرِيبَةُ
الْعَهْدِ بِالنَّجَاحِ ، أَوْ الْغَزِيرَةُ اللَّبَنُ .

(٢) مِنَ الْقَصِيدَةِ فِي التَّجْرِيدِ ص ١٨١٠ .

حَيِّ الدَّوْبِيرَةَ إِذْ نَآتُ مَسْمَا عَلَى عَمْدِ وَائِهَا

الحلف وابن جردان :

فصل : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت »^(١) وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو : ابن جدعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة - رضی الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جدعان كان يُطعمُ الطعام ، وَيَقْرِي الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائنا ومنها :

أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بنائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدواتها
لدنوت من أيباتها ولطفت حول خبائها
ولجئتها أمشى بلا هاد إلى ظلماتها
فشربت فضلة ريقها ولبت في أحشائها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدواتها ، ولبت في البيت الأخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بنائها ، وهنا : فكيف بنائها . وقد تكرر في الروض جدعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ ،

(١) حديث حضور النبي مع عمومته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٣ ، ولا يعتمد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كَفْتُ أُسْتَظِلُّ بِقَالَ جَفَنَةَ عبد الله بن جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَى ، بمعنى : في الهاجرة ، وُسُمِّيتِ الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء : أن عُمَيَّا رجُلًا من عَدَوَانَ ، وقيل : من إِيَادٍ ، وكان فقيہ العرب في الجاهلية ، فقدم في قومٍ مُعْتَمِرًا أو حَاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم في نَحْرِ الظَّهيرة : من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت ، كان له أَجْرُ عُمَرَيْنِ ، فَصَكُّوا الإِبِلَ صَكَّةً شَدِيدَةً حتى أتوا مكة من الغد في مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَّ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةَ عُمَى وَمَا يَبْنِغِينَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

في أبياتٍ ، وعُمَى : تصغير أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيتِ الظَّهيرةُ صَكَّةَ عُمَى به . وقال البكري في شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العماليق أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَى ، والذي قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهيلي هو في اللسان : والبيت فيه هكذا .

وَصَكَّ بِهَا عَيْنَ الظَّهِيرَةِ غَائِرًا عُمَى وَلَمْ يَنْعَلْنَ إِلَّا ظِلَالَهَا

وقد ضبطت ياء يَنْعَلْنَ بالفتح في مادة صك ، وبالصم في مادة عُمَى ، وعُمَى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء في الشعر ، والجفنة : القصعة ، في اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يَصَكُّ بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صَكَّةَ أعمى أيضا . ولقيته صَكَّةَ عُمَى ، أو أعمى ، أى في أشد الهاجرة حرا . وابن منظور ينقل عن السهيلي كثيرا في اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِي الظُّبِيُّ : يتَحَيَّرُ بصرُهُ في الظَّهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَةَ : وكانت جَفَنَتَهُ يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، فغرق أي : مات . وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدَّحَه قد أتى بني الدَّيَّان من بني الحُرث بن كعب ، فرأى طعامَ بني عبد المَدَّانِ منهم لُبَّابَ الْبَرِّ والشَّهَدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدعانَ يُطعمُ التَّمَرَ والسَّوِيْقَ ويسقَى اللَّبَنَ ، فقال أُمِيَّةُ :

ولقد رأيتُ الفاعِلين وفعلهمُ فرأيتُ أكرمهم بني الدَّيَّانِ
الْبُرْيَدِيكَ بالشَّهادِ طعامهم لا ما يُعَلِّلُنَا بَنُو جُدعانِ (١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالودج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأماي للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلائقا فضل الأنام بهن عبد مدان

وكذلك في سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأماي : ولقد رأيت القائلين وفعلهم ، وفي السمط : « الباذلين » . ويقص أُمِيَّةُ أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأتى بالفالودج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الأبيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأماي والنوادر لآفي على القالى . وأُمِيَّةُ ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مثير الغرام ، أن ابن جُدعان وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالودج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شجره عبد الله بن جُدعان ، فأرسل ألفى بعير إلى الشام ، تحمل إليه
البرّ والشَّهَدَ والسَّمْنَ ، وجعل منادياً ينادى على الكعبة : أَلَا هَلُّوْا إِلَى جَنَّةِ
عبد الله بن جُدعان ، فقال أُمّية عند ذلك :

له دَاجٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَآخِرُ فَوْقَ كَنْعَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّيْئَتِكَ بِالشَّهَادِ (١)

وكان ابن جُدعان في بدء أمره صُغُلُوْكَاً تَرَبَّ اليدين ، وكان مع ذلك
شَرِيْراً فَاتِكَا ، لا يزال يَجْنِي الجُنَايَات ، فَيَعْقِل عنه أبوه وقومه ، حتى أَبْغَضَتْهُ
عَشِيرَتُهُ ، ونَفَاهُ أبوه وحلف : أَلَا يُوْوِيهِ أَبَدًا لِمَا أَثْقَلَهُ بِهِ مِنَ الْغُرْمِ ، وحمله من

== ابغوفى غلاما يصنعه ، فأتوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصنعه للحجاج
ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠ ، القرى للحب الطبرى . وفي ذيل
الأمالى للقالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشتمل القوم في الطلب : بادروا فيه ، وتفراقوا ، والمشمل : الناقة
النشيطة ، والرجل الخفيف الطريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة في ديوانه
ص ١٩ وقبله :

وأبيض من بنى تيم بن كعب وهم كالمشرفيات الأفراد
ومنها جزء في نسب قريش ص ٢٩٢ ، وفي ص ١٤٢ من الاشتقاق لابن دريد:
وكان ابن جدعان يشرب الخمر ويقول :

شربت الخمر حتى قال قولى أَلَسْتُ عَنْ السَّقَاةِ بِمُسْتَفِيْقٍ
وحتى ما أوسد في مبيت أبيت به سوى الترب السحيق
ثم حرمها على نفسه . والردح : جمع رداح بفتح : الجفنة العظيمة : والشيزى
أو الشيز : خشب أسود تصنع منه الجفان ، أو هو الأبنوس ، أو خشب الجوز .

الدِّيَّاتِ ، فخرج في شِعَابِ مَكَّةَ حَاتِرًا بَائِرًا ، يَتَمَنَّى الْمَوْتَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَرَأَى شَقْمًا فِي جَبَلٍ ، فَظَنَّ فِيهِ حَيَّةً ، فَتَعَرَّضَ لِلشَّقِّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يَقْتُلُهُ فَيَسْتَرْجِعَ ، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَدَخَلَ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ تُعْبَانٌ عَظِيمٌ لَهُ عَيْنَانِ تَقْدَانِ كَالسَّرَاجِينِ ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ التُّعْبَانُ ، فَأَفْرَجَ لَهُ ، فَانْسَابَ عَنْهُ مُسْتَدِيرًا بِدَارَةٍ عِنْدَهَا بَيْتٌ ، نَفِطَا خُطْوَةً أُخْرَى ، فَصَفَرَ بِهِ التُّعْبَانُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ كَالسَّهْمِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ ، فَانْسَابَ عَنْهُ قُدُمًا لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ مَصْنُوعٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتَتَانِ ، فَسَكَّرَهُ ، وَأَخَذَ عَيْنَيْهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ، فَإِذَا جُثَّتْ عَلَى سُرُرٍ طَوَالٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهُمْ طُولًا وَعَظْمًا ، وَعِنْدَ رِءُوسِهِمْ لَوْحٌ مِنْ فِضَّةٍ فِيهِ تَارِيخُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ رِجَالٌ مِنْ مُلُوكِ جُرُومٍ ، وَآخِرُهُمْ مَوْتًا : الْحَرِثُ بْنُ مُضَاضٍ صَاحِبُ الْغُرْبَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَإِذَا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ لَا يُمَسُّ مِنْهَا شَيْءٌ ، إِلَّا انْتَثَرَ كَالْهَبَاءِ مِنْ طَوْلِ الزَّمَنِ ، وَشِعْرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ فِيهِ عِظَاتٌ ، آخِرُ بَيْتٍ مِنْهُ :

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعَ رَدٍّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَى فِي الْحِلَابِ
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ اللَّوْحُ مِنْ رُحَايِمَ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنَا نُفَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ
ابْنِ خَشْرَمَ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ جُرُومَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ هُودِ نَبِيِّ اللَّهِ ، عَشْتُ خَمْسِمِائَةَ
عَامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الْأَرْضِ بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ وَالْمَلِكِ ،
فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَنْجِيْنِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ النَّزْوَةِ وَالْمَجْدِ قَالِصُ الْأَنْوَابِ
وَسَرَّيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ بَقْنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْنَسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى بسهامٍ من المنيايا عِيَاب
فانقضت شرّقى ، وأقصر جهلى واستراحت عواذلى من عِتَابى
ودفعت السّفاهة بالحلم لما نزل الشّيبُ فى محلّ الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براعى ردّ فى الضّرع ما قرى فى الحلاب^(١)

وإذا فى وسط البيت كَونٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤ والذهب والفضة
والزّبرجدِ ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغلق بابَه بالحجارة
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يَسْتَرْضِيهِ ويستعطفه ، ووصل عشيرته
كلّهم ، فسادّهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطعم الناسَ ، ويفعل المعروفَ .
ذَكَرَ حديثَ كنز ابن جُدعان موصولاً بحديث الحرث بن مُضاض : ابنُ هشام
فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضاً فى كتاب رِئى العاطش ، وأنس الواحش
لأحمد بن عمار^(٢) .

وابن جُدعان ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُفَرِّجاً بها ، وذلك

(١) القائل من الثياب : المشمّر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى
فى الأصل : بنات ، والمنيايا : جمع منية : الموت . وصيَاب : جمع صائب ، كصاحب
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاهة بفتح السين : خفة الحلم
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفيه ، والحلاب : الإناث يحلب فيه .
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وريت : يعنى : رأيت ،
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تخل بنظام الوزن .

(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال
لأنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمراً ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشر بها أبداً ، ولما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشد لطمتك ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن أبي مُلَيْكَةَ الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُفَيْلَة ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نُفَيْلَة كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُم ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لآخذنَّ سيفي ، ثم لأدْعُونَّ بحلف النُضُولِ إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيصُ أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيماً ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يا فلان عند التعزُّب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المُرَّيسِيعِ (١) رجلاً يقول : يا لئسهما جرين ! وقال آخر : يا لأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها مُنْتَنَة وقال - صلى الله عليه وسلم - من ادَّعى بدَّعوى الجاهلية ، فأَعْضَوْه بَيْنَ أَيْبِهِ ولا تَكْنُؤُوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يا عامر ! نجاء النابغة الجعدي بِبَصْبَةِ له ،

(١) مصغر مرسوع : بئر وماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق ، وتزوى بالغبين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .
(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أيبك ، ولا تكنوا عنه بالهن ، وقد وضعت نقطا بعدا عضض ، وسيلح القارىء الاسم المقصود . والحديث : رواه أحد والنسائي =
(٦ م — الروض الأثف ج ٢)

فضر به أبو موسى الأشعري — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله ويا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حلفِ الفضولِ ، والأصلُ في تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأُجبت^(١) يريد : لو قال قائل من المظلومين : يا حلفِ الفضولِ لأُجبتُ ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصرةِ المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلا قوَّةً ، وقولُهُ عليه السلام : « وما كان من حلفٍ في الجاهليَّةِ ، فلن يزيده الإسلامُ إلا شدَّةً » ليس معناه : أن يقول الحليف : يا فلانٍ لفلانته ، فيجيبوه ، بل الشدَّة التي عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلامُ إلا ما كان من حلفِ الفضول كما قدمنا ، فحكمه باق ، والدعوةُ به جائزةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الأوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهم من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلي على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمة جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الدِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَرِدْهُ
الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حبَّسه في المسجد : إنما حبستك بِمَجْرِيَةِ
حُلْفَةٍ نَكَ .

عن أولاد عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ،
وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجَ (١) ، ولا عَقِبَ له ، ذكره البرقي والزبير ،
وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابنه عبدَ قُصَيٍّ ، وقال : سمَّيته بنفسى
وسميت الآخرَ بدارِ السَّكْعَةِ ، يعنى : عبدَ الدار ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ
عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزبير أيضاً : كان اسمُ عبدِ الدار
عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلاً . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا
سنة نفر وست نسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه
انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبى همهمة بن عبد العزى .
(٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : د وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن .
قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا ، الفرقان : ٦٠ ، وفي
كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالكاتب ، فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله
ما أدري ما هى ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء
من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم
الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لِهُشْمِهِ الثَّرِيدَ لقومه، والمعروف في اللغة أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيدٌ وَثَرُوْدٌ، فلم يُسَمَّ: ثَارِدًا، وسمى هَاشِمًا، وكان القياسُ — كما لا يُسمَّى الثَّرِيدُ هَاشِمًا، بل يقالُ فيه: — ثَرِيدٌ وَثَرُوْدٌ — أن يُقال في اسمِ الفاعل أيضًا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ بقریش، فيَرُدُّونه بأموالهم، ويُعينونه، ثم جاءت أزمةٌ شديدةٌ فكرِهَ أن يُكلِّفَ قریشا أمرَ الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمع كَعْمَكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسم فهُشِمَ ذلك الكَعْمَكُ كَلَّهُ هَاشِمًا، ودَقَّقَهُ دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريدِ، فبذلك سُمِّيَ هاشما، لأن الكَعْمَكَ اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهشَمُ هَاشِمًا، فبذلك مَدَحَ، حتى قال شاعرُهم فيه، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَقَّاتُ فَاُمُحُّ خَالِصُهُ اِمْبَدٌ مَنَافِ
الْخَالِطِينَ فَقِيرُهُمْ بَغْنِيَهُمْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّاشِينَ وَابْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ وَالْقَائِلِينَ: هَلُمُّ لِلْأَضْيَافِ
عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافٍ (٢)

(١) الرفادة: شيء كان تترافد به قریش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزيبيا.

(٢) نسبها اللسان والمرضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٤٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزبير، ولها في أمالي القلي قصة تزعم أن رسول الله هو =

.

= وأبا بكر كانا عند بنى شيبة ، فربهما رجل ، وهو يقول :
 يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
 هبيلتلك أملك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار
 وتزعم القصة أن الرسول دس ، نظر إلى أبي بكر ، ثم قال : أهكذا قال الشاعر :
 قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
 وهى قصة مصنوعة . والآيات التى وردت فى أمالى المرتضى بعد البيت السابق :
 هبيلتلك أمثلك لو نزلت عليهم ضمنوك من مجوع ومن إقرا ف
 الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
 والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجال مكة مسنتون عجاف
 وفى هذا البيت إقواء ، لأن القافية مكسورة ، ولكنها فيه مرفوعة . وقد
 وردت له رواية أخرى كما فى الروض ، وبعد هذا فى أمالى المرتضى :

والملفـضلون إذا المحول تـزادفت والقائلون : هـلـم للأضياف
 والخالطون غنهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافى
 وفى أمالى القالى : منعوك من عدم ومن إقرا ف ، وهو فى اللسان كما فى
 أمالى المرتضى . وفى اللسان أيضا :

والمنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف
 والمطعمون إذا الرياح تناوحت حتى تغيب الشمس فى الرءـجاف
 وفى الصحاح رويت الشطرة الأولى من هذا البيت : والمطعمون اللحم كل عـشـية
 وفى غيره : ويكللون جفانهم بسد يفهم . ثم نسب المرتضى إلى ابن الزبيرى :
 عمرو الملا هشم الثريد اقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
 وهو الذى سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأضياف
 وفى الروض : فالخ خالصه ، بالخاء ، والرواية الصحيحة فالخ ، بالخاء أما =

وكان سبب مدح ابن الزُّبَيْرِ بهذه الأبيات ، وهو سَهْمِيٌّ^(١) البني
عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس - أنه كان قد هَجَا قصيا
بشعرٍ كتبه في أستار الكعبة ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصها ، وخالصة بالتاء . والمح أو المحة : صفة البيض . وقال
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بري : من قال : خالصة بالتاء ،
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسفتون : أصابهم سنة مجدبة . وفي سمط
الآلى للبكرى : « والعرب تقول هو بيضة البلد » يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالممدوح يراد به : البيضة التي يحتمسها الظلم ، وذكر النعام ،
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء ، المذرة
التي لاحاط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهي تربكة الظلم . قال الرماني : إذا كانت
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي
أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم ، ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم علي والنبي محمد القائلان : هلم للأضياف

واعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكرى : « وهذا بيت يحدث ذكر أبو نصر
أن جده صالحاً أباً غالباً لحقه به ، وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تلميذ
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سمط الآلى للبكرى ،
بتعليق المحقق الميمنى ، وص ٢٤١ ج ١ الأمالي للقالي ، والتنبيه للبكرى ، ص ١٧٨
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلها الأضياف . وفيه
أيضا : عمرو الغلا ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : العلا ص ٧٥ ، وهناك رواية :
« عمرو الذى ، كما في الطبرى .

(١) لأنه ابن الزُّبَيْرِ بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

أَلِهَى قُصَيًّا عَنْ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرُ وَمِشِيَّةٌ مِثْلُ مَا تَمْشِي الشَّقَاوِيرُ^(١)

فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ بَنِي سَهْمٍ ، فَاسْلُودُوا إِلَيْهِمْ ، فَضَرْبُوهُ وَخَلَقُوا شَعْرَهُ ،
وَرَبَطُوهُ إِلَى صَخْرَةٍ بِالْحُجُونِ^(٢) ، فَاسْتَفَاثَ قَوْمَهُ فَلَمْ يُغِيثُوهُ ، فَجَعَلَ يَمْدَحُ قُصَيًّا
وَيَسْتَرْضِيهِمْ ، فَأُطْلِقَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْهُمْ ، وَأَكْرَمُوهُ فَدَحَّاهُمْ بِهَذَا الشَّعْرِ ،
وَبِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ .

عبد المطلب وابن ذى يزن :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له
عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن

(١) وجدت في اللسان : شقر بضم الشاء وفنحها ، مع فتح القاف : الديك
ويقال : إن الناس أصبحوا يوما بمكة ، وعلى باب الندرة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترثى السفاسير
وأكلها اللحم بحثا لا خليط له وقولها : رحلت غير ، أنت غير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، وأجمع على ذلك
رأيهم ، فشوا إلى بني سهم - وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو .
بعضها بعضا - فقالوا لبني سهم . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله :
فربطوه إلى صخرة بالحجون . انظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ٤ أمالي المرتضى
تعليق الشنقيط ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاهير معان عدة ففى : جمع سفسير بكسر السين
الأولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقه ، أو الإبل
ليصلح من شأنها ، والعبرى والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسفسار ، وهذه هى
المقصودة هنا .

(٢) فى الأصل : المحجول وهو خطأ .

أو ابْنُهُ مَعْدِي كَرْبُ بْنُ سَيْفٍ مَلِكِ الْيَمَنِ ^(١) لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ حِينَ وَقَدَ عَلَيْهِ رَكْبٌ
 مِنْ قُرَيْشٍ : مَرْحَبًا بِابْنِ أَخْتِنَا ، لِأَنَّ سَلَمَى مِنَ الْخَزَرَجِ ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ
 سِبَا ، وَسَيْفٌ مِنْ جَمِيرِ بْنِ سِبَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلاً ،
 وَمَلِكًا سَبِيحًا ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا ^(٢) . ثُمَّ بَشَرَهُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 وَأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : مِثْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ سِرٌّ وَبَرٌّ ، ثُمَّ أَجْزَلَ
 الْمَلِكُ حَيَاءً ، وَفَضَّلَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَانْصَرَفَ مَغْنُوطًا عَلَى مَا أَعْطَاهُ الْمَلِكُ ،
 فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّمَا بَشَّرَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أَعْطَانِي . فِي خَيْرٍ فِيهِ طَوْلٌ .
 نَسَبُ أَهْمَجَةٍ :

وَذَكَرَ نَسَبَ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ بْنِ الْحَرِيرِيِّ بْنِ جَحْجَجِي ^(٤) ،

(١) فِي الطَّبَرِيِّ عَنْ سَيْفَانَ بْنِ مَعْدٍ يَكْرُبُ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفُ
 بْنِ ذِي يَزَنَ . ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢) نَسَبُ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ هَذَا إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ خَطَأٌ صَوِّبَهُ
 الْبُكْرِيُّ فِي التَّنْبِيهِ ص ١١٤ . فَهُوَ - كَمَا ذَكَرَ السَّهْلِيُّ - قَوْلُ سَيْفٍ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ
 وَسَبَّحِلْ : بِكَسْرِ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، أَوْ سَبَّحِلْ مِثْلُ : سَفَرَجَلْ ، وَسَبَّحِلْ بِفَتْحِ السَّيْنِ
 وَإِسْكَانِ الْحَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْبَاءِ : الضَّخْمُ . وَرَوَى مَلِكًا رَجُلًا - بِكَسْرِ الرَّاءِ
 وَفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْحَاءِ ، وَهِيَ مِثْلُ : سَبَّحِلْ فِي الْمَعْنَى . وَالرَّجُلَةُ : الْعَظِيمَةُ الْجَيِّدَةُ
 الْخَلْقِ - بِفَتْحِ الْحَاءِ - فِي طَوْلٍ . وَيُرِيدُ هُنَا : مَلِكًا عَظِيمًا . وَبَعْدَ « جَزَلًا » قَوْلُ
 سَيْفٍ : « قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكُمْ ، وَعَرَفْنَا قُرَابَتَكُمْ ، فَلَكُمْ الْكِرَامَةَ مَا أَقْتَمُ ،
 وَالْحَبَاءَ إِذَا رَجَعْتُمْ » ، انْظُرْ ج ٢ ص ٢١٨ الْأَمَالِي ط ٢ وَالتَّنْبِيهِ لِلْبُكْرِيِّ ص ١١٤ .

(٣) هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَقَامُ النَّبِيِّ «ص» الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ
 هُوَ «ص» وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

(٤) فِي الرُّوَضِ : جَمْعِي ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ كُتُبِ النِّسَبِ .

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسِّين المُمَهَلَة - وقال الدَّارُ قُطْنِي عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيس بالسِّين غير مُعْجَمَة إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر - رحمه الله - صوابَ هذا الاسم يعنى فى نسب أُحِيحَة بن الجُلاح بن الحَرِيش بالشِّين المعجمة على لفظ الحَرِيش ابن كَعْب البَطْنِ الذى فى عامر بن صَمْعَصَمَة (١)

فصل : وأنشد لمطرود بن كعب :

يَالَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِيْلَات من الْقَسْوَة ، أى : لالينَ عندهن ، ولارَافَة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسِيُّ ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم الْقَسِيُّ : إنه أعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وقيل : هو من الْقَسَاوَة لأنَّ الدرهم الطَّيِّبُ أَلْبَنُ من الزائفِ (٢) ، والزائفُ أَضْلَبُ منه . ونصب ليلةً على التمييز كذلك ، قال سِيبَوَيْهٌ فى قول الصَّلْتَانِ (٣) الْعَبْدِيُّ .

- (١) فى الاشتقاق : الحَرِيش بالشِّين بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعَصَمَة .
(٢) فى اللسان : عام قسٍ - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسٍ مثال شقٍ : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسٍ : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسٍ : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بلينة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصَّلْتَان : لقب ، وأصل الصَّلْتَان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو المضاء فى الأمور ، وهو : قثم بن خيثمة - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

أيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله

==عبدة : نُفَيْمَ بْنَ نُخَيْشَيْمٍ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ
ابن أُنْصَسَى بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردتها المبرد في كتابه الاعتنان ،
والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء ، وتتمه البيت :

جرير ، ولكن فى كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلْتَانِىُّ الذى قد علمت متى ما يحكم فهو بالحق صادق
وفى الأمالى : وفيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالى
ومن القصيدة :

أرى الخططفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله جرير . ولكن فى كليب تواضع
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، فغضب من المنزلة التى
أنزله إياها فهجاه . والبيت المذكور فى اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢
خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلم الشاهد فيه
على مذهب الخليل وسيديويه : نصب شاعرا بإختار فعل على معنى الاختصاص
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبينه على الضم على ما يجرى
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،
فيقولون : يا رجلا لم أر مثله ، وكذا يا طيبتك من ليلة ، وكذا شاعرا ، وفى ==

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيَّتَ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يعملون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ ^(١) من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٍ في غَزَّةٍ ، ويقولون في بغداد : بَغَادِينَ ، كما قال بعضُ المُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينَ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :
حكمهم للبعضِ بِحُكْمِ الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرَقَتْ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لابد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتقدير الخليل ويونس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفي الروض وميت بغزات ، ولكن في السيرة
ميت بين غزات . .

القناة من الدم ، وذهبت بعض أصابعه^(١) ، وتواضعت سور المدينة . وقد تركبت على هذا الأصل مسألة من الفقه : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكل هذا الرغيف ، فأكل بعضه ، فقد حنث ، فحكموا للبعض بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المغيرات وأبناءها من خير أحياء وأموات^(٢)
فالمغيرات : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِر ،
والأشعرُونَ في بنى أشعر بن أدد ، كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير :
آثرَ عليَّ الحميداتِ والثَوَيْتَاتِ والأَسَامَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى ثَوَيْت ،
وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى^(٣) .

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
وأصل الصدر مذكر ، وأنت هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة
قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لانهم يوثنون الاسم
المضاف إلى المؤنث ، ونص تعبير سيويوه في الكتاب : « وربما قالوا في
بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنت البعض ، لأنه أضافه إلى
مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم
يحسن ، ثم استشهد بيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله
قول جرير « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيويوه ،

إذا بعض السنين تعرفتنا كفى الاتسام فقد أبي اليتيم

(٢) في الروض : « وأبنائها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي
وثويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأسامه بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : المَغِيرَة ، وكان أوَّلَ بنى عبد مناف هُلُكا :
هاشمٌ ، بَغَزَة من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من
أرض اليمن ، ثم نَوْفلاً بِسَلْمان من ناحية العراق .

فَقِيلَ لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنْتَ ، ولو كان أخْلَ مما
قلتَ كان أحسنَ ، فقال : أنظِرْنى لِيالى ، فكثَّ أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمعَ وانهمري	وابكى على السَّرِّ من كَعبِ المَغِيراتِ
يا عين ، واسحِجِّفِرى بالدمع واحتفلى	وابكى خبيثةَ نفسى فى المَلِماتِ
وابكى على كلِّ فياضٍ أخى ثِقَةٍ	ضَخَمَ الدَّسِيَّةَ وهابِ الجَزِيلاتِ
مَحْضِ الصَّرِيَّةِ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ النَّحِيزَةِ ، ناءِ بالعَظِماتِ
صَعَبِ البَدِيهةِ لا نِكْسَ ولا وَكَلِّ	ماضى العَزِيمةِ ، مِتْلافِ الكَرِيَماتِ
صَقَرٍ تَوَسَّطَ من كَعبٍ إذا نُسِبوا	بُجْبُوحَةَ المَجْدِ والشَّمِّ الرَفِيعاتِ
ثم اندبى الفيضَ والفياضَ مُطَلِّبا	واسْتَخْرَطى بعدَ قِيضاتٍ بِجَمَّاتِ

وفيه « شرقى البَيْنِيَّاتِ » يعنى : البَيْنِيَّةُ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما
تقدم فى غَزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن
يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف
ياء النسب .

أَمْسَى بَرْدَمَانٌ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِبًا يَا نَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتٍ
وَابْكِي - لَكَ الْوَيْلُ - إِمَّا كُنْتُ بَاكِيَةً لِعَبْدٍ شَمْسٌ بِشَرْقِ الْبَنِيَّاتِ
وَهَاشِمٌ فِي ضَرْيحٍ وَسَطَ بِلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتِ
وَنُوفَلٍ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمَوْمَاةٍ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمْ عِجْمًا وَلَا عَرَبًا إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أَذْمُ الْمَطِيَّاتِ
أَمْسَتْ دِيَارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ
أَفْنَاهُمُ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سِيوفُهُمْ أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْأَمْنِيَّاتِ
أَصْبَحْتُ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوَامِ بَعْدَهُمْ بَسَطَ الْوُجُوهَ وَإِلْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يَا عَيْنُ فَاكِئِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ يَبْكِيهِ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ
يَبْكِي أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ يُعْوِلْنَهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتِ
يَبْكِي شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ أَبِي الْهَضِيمَةِ ، فَرَاغَ الْجَلِيلَاتِ
يَبْكِي عَمْرًا وَالْعُلَامَ إِذَا حَانَ مَصْرَعُهُ سَمَحَ السَّجِيَّةِ ، بِسَامِ الْأَعْشِيَّاتِ
يَبْكِيهِ مُسْتَكِينَاتٌ عَلَى حَزَنٍ يَا طَوْلَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنٍ وَعَوَّلَاتِ
يَبْكِي لَمَّا جَلاهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ خُضِرَ الْخُدُودُ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ
مُحْتَزِمَاتٌ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا جَرَّ الزَّمَانُ مِنْ أَحْدَاثِ الْمُصِيبَاتِ
أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ أَبْكِي ، وَتَبْكِي مَعِيَ شَجْوَى بُنْيَانِي
مَا فِي الْقُرُومِ لِمِ عَذَلٍ وَلَا خَطَرٍ وَلَا لِمَنْ تَرَكُوا شَرْوَى بَقِيَّاتِ
أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءِ ، وَأَنْفُسُهُمْ خَيْرُ النَّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمِيرٍ سَابِحِ أَرْنِ وَمِنْ طِمِيرَةٍ نَهَبِ فِي طِمِيرَاتِ

ومن سُيوف من الهندي مخلصَة ومن رِماح كاشطان الرِّكيات
ومن توابع ممَّا يفضِّلون بها عند المسائل من بَذل العطيَّات
فلوحسبت وأحصى الحاسبون ممي لم أقضِ أفعالم تلك الهنيَّات
همُّ المذلُّون إمَّا مَعشَر فَخَرُوا عند الفخَّار بأنسابِ نقيَّات
زَيْنُ البيوت التي خَلوا مساكنها فأصبحت منهم وخشا خليَّات
أقولُ والعينُ لا ترقا مدامعها : لا يُبعد الله أصحاب الرِّيات

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خِراش الهذلي :

عَجَفَ أضيافي جميلُ بنُ معمر بذي فَجَرِ تَأوى إليه الأرامِلُ

قال ابن إسحاق : أبو الشُّعث الشَّجِيَّات : هاشم بن عبد مناف .

قال : ثم ولي عبدُ المطلب بن هاشم السَّقَايَةَ والرَّفَادَةَ بعد عمِّه المطلب ،
فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبله لقومهم من أسرم ،
وشَرَّف في قومه شرفاً لم يَبْلُغه أحدٌ من آبائه ، وأحبَّه قومه وعظم
خَطَره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أتى ، فأمر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّل ما ابتدئ به عبدُ المطلب من حفرها ،
كما حدثني يَرِيد بن أبي حبيب المصري عن مَرْزَد بن عبد الله اليزني عن

عبد الله بن زُرَيْرَ الغانقي : أنه سَمِعَ عَلَى بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
يُحَدِّثُ حَدِيثَ زَمَزَمَ حِينَ أَمَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِحَفْرِهَا ، قَالَ :

قَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : إِنِّي لَنَأْمُ فِي الْحَجَرِ إِذَا أَنَانِي آتٍ فَقَالَ : أَحْفِرْ طِيبَةَ .
قَالَ : قُلْتُ : وَمَا طِيبَةُ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى
مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : أَحْفِرْ بَرَّةَ . قَالَ : قُلْتُ : وَمَا بَرَّةُ ؟ قَالَ :
ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :
أَحْفِرِ الْمُضْنُونَ قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الْمُضْنُونَ ؟ قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي . فَلَمَّا كَانَ
الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : أَحْفِرْ زَمَزَمَ . قَالَ :
قُلْتُ : وَمَا زَمَزَمَ ؟ قَالَ لَا تَنْزِفْ أَبَدًا وَلَا تُدَمِّمْ ، تَسْقِي الْحَجَّيَجَ الْأَعْظَمَ ،
وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْدَمِ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ ، عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ شَأْنُهَا ، وَدُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّهُ
قَدْ صُدِّقَ ، عَدَا بِمَعُولِهِ وَمَعَهُ ابْنَةُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ
غَيْرُهُ فَحَفَرَ فِيهَا . فَلَمَّا بَدَأَ الْعَبْدَ الْمَطْلَبِ الطَّيِّ ، كَبَّرَ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ
أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، إِنَّمَا بُرُّ أَيْدِنَا إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنْ
لَنَا فِيهَا حَقٌّ فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، إِنْ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِمْتُ
بِهِ دُونَكُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِنْ بَيْنِكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصَقْنَا ، فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى
نُخَاصِمَكَ فِيهَا ، قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَن شِئْتُمْ أَحَاكُمْكُمْ إِلَيْهِ ، قَالُوا :
كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدٍ هُذَيْمٌ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ

قريش نفر . قال : والأرضُ إذ ذاك مَفَاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، ففى ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظموا حتى أيقنوا بالهدى ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إننا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرائيك ، فرأنا بما شئت ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة . فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرة ثم واروه . حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً ، قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب فى الأرض ، ولا نبتغى لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاءوا ، فشربوا واستسقوا . ثم قالوا : قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لانخاصمك فى زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخالوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعتُ من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرّوى غير الكدر يسقى حجيج الله فى كل مبرّ
ليس يخاف منه شيء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلّموا أنى قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيّن لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجَعِكَ الذى رأيت فيه مارأيت ، فإن يك حقاً من الله يُبيّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مَضْجَعِهِ ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبائك الأعظم ، لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّمَ ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، يَنذِرُ فيها ناذراً لِمَنْعِم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذى قبله ، من حديث على بن حفر زمزم من قوله : « لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّمَ » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هى ؟ قيل له

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبدالمطلب ومعه ابنة الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنَين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهما . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنَينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضينّ لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطيّ ، فكبرّ وعرف أنه قد صدق فلما تبادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرمُهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قذميّة وأدراعا فقالت له قريش يا عبدَ المطلب ، لنا معك في هذا شركٌ وحقّ ، قال : لا ، ولكن هلّم إلى أمرٍ نصفِ بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قذحين ، ولى قذحين ، ولكم قذحين ، فمن خرج له قذحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قذحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قذحين أصفرين للكعبة ، وقذحين أسودين لعبد المطلب ، وقذحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان بنُ حَرْب يوم أحدٍ حين قال : أغلِ هُبَل أى : أظهر دينك — وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحبُ القِداح ، فخرج الأصفران على الغزاليّين

للكمة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتحلف
قِدْحاً قُرَيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكمة ، وضرب في الباب
الغزاليين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِيَّتِه الكمة — فيما يزعمون —
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئَاراً بمكة ،
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَوِيُّ ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند
البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

وحفر هاشم بن عبد مناف بَذَر ، وهي البئر التي عند المُسْتَنْذَر ، خَطَمُ
الْخَنْدَمَةِ على فم شِعْبِ أَبِي طَالِب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنها
بلاغاً للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفت مكانها جُرأبا ومَلَكوما وبَذَر والغَمرا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجَلَة ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِي بن نَوْفَل بن
عَبْدِ مَنْفٍ التي يَسْقُونَ عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِمِ ابتاعها من
أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغفروا
بها عن تلك الآبار .

وحِفر أُمَيَّةُ بنُ عبد شمس الحِفرَ لنفسه ، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى :
سُقَيَّة ، وهى بئر بَنى أسد . وحفرت بنو عبد الدار : أُمُّ أَحْرَاد . وحفرت بنو
جُمَح : السُّنْبَلَة ، وهى بئر خَلَف بن وَهَب . وحفرت بنو سَهْم : العَمْر ، وهى
بئر بنى سَهْم ، وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مُرَّة بن كَعْب ،
وكِلاب بن مُرَّة ، وكُبراء قريش الأوائل منها يَشْرَبون ، وهى رُم ، ورُم :
بئر مُرَّة بن كَعْب بن لؤى . وخُم ، وخُم . بئر بنى كِلاب بن مُرَّة ، والحِفر .
قال حُذَيْفَة بن غانم أخو بنى عَدى بن كَعْب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حُذَيْفَة :

وقدِنا غنيْنَا قبل ذلك حِقْبَةً ولا نَسْتَقى إلَّا بِحُجْمٍ أو الحِفرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله

فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فعَمَّتْ زمزم على البِئَرِ التى كانت قبلها يَسْقَى عليها الحاج
وانصرف الناسُ إليها لِمَسْكَنِها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من
المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو
عبد مناف على قُرَيش كلِّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبى عمرو
ابن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عَبْد مناف ، وهو يَفْخَر على قريش بما وُلُوا عليهم
من السَّقَاية والرِّقَادَة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وِزْمَ مَزَمَ حين ظَهَرَتْ لهم ،
وإنما كان بنو عَبْد مناف أهل بيت واحد ، شَرَفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ ،
وَفَضْلُ بعضهم لبعض فَضْلٌ .

وَرثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا نِتْنَا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا
أَكْمَ نَسَقِ الْحَجِيجِ وَنَفَحَرُ الدَّلَافَةَ الرُّفْدَا
وَمُنَلْنِي عِنْدَ تَعْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا
فَإِنْ نَهَلِكْ ، فَلَمْ نُمَلِّكْ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا
وَزَمَزَمَ فِي أُرُومَتِنَا وَنَفَقَا عَيْنَ مَنْ جَسَدَ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب
ابن لؤي .

وساقى الحجاج ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذي فخر

قال ابن هشام : يعني عبد المطلب بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهمم مُخْتَلَق : أى
عظيم الخلق : جلد التحيزة ناء بالعظيمات . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُء إذا نهض (١) فالهمزة فيه لام
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التي
بعد الهمزة هي : عين الفعل في جاء يحيى .

(١) ناء بالحل نهض به مثقلا ، وناء به الحل إذا أنقله .

وفيه الشُّعَثُ الشَّجِيَّاتُ . فشدد ياء الشَّجِيَّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا :
ياء الشَّجِيَّ مخففة ، وياه الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي
في قوله :

أياويح الشَّجِيَّ من الخَلِيٍّ وَوَيْحِ الدَّمْعِ من إحدى بِلَى

واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك :
ابن الجُرِّ مُقَانِيَّةٌ يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيُّ حيث يقول ١٩ :

وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلِيٍّ فَإِنَّهُ وَصِبُ الْفَوَادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومٌ

قال المؤلف : ويبت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّوَلِيُّ ،
لأنه جاهلي مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من
التوليد ، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه في معنى : حَزَنٌ
وحزين ، وقد قيل : من شدد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول (١) .

(١) رجل شج أى : حزين وامرأة شجية - بكسر الجيم وفتح الياء من دون
تضعيف - وفي مثل للعرب : ويل للشجي من الخلى ، دون تشديد ياء إحداهما ،
وقد تشدد ياء الشجي ، والأول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد
ياء الخلى وخفف ياء الشجي . قال : وقد شدد في الشعر :

فام الخَلِيَّونَ عن ليل الشَّجِينَا

فإن جعلنا الشجيَّ فعِيلاً من شجاء الحزن ، فهو : مشجوتٌ وشجِيٌّ بالتشديد
لاغير ، وحكى ابن بري أن الصواب هو التشديد في ياء الشجي ، وأما الشجي
بالتخفيف فهو الذى أصابه الشجى ، وهو التخصيص ، وأما الحزين فهو الشجيُّ =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبيّنه حُسرًا مثل البليّات .
البليّة : الناقة التي كانت تُنقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

= بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجى بتخفيف الياء ، لكان ينبغي أن يقال : ويل الشجى من المسنخ ؛ لأن الإساءة ضد الشجاء ، كما أن الفرح ضد الحزن ثم قال ابن برى : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة السماع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ، فهو : «شجو وشجى» ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل من شجى يشجى - بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع - فهو شج . وقال أبو زيد : الشجى : المشغول ، والخلّى : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور والخلّى ممدود . وفي الهذيب عن الشجى : أنه الذى شجى بعظم غصّ به حلقه ، يقال : شجى يشجى شجى ، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد مخرجاً منه . . قال الأزهري : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجى فله مخرج من جهة العربية تسوخ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوه . فعيلاً من شجاه يشجوه ، والوجه الثانى : أن العرب تمد فعلاً ياء . فتقول : فلان قن لكذا وقين ، وسمنج وسمنج ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بأعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل ماساه ونامه . والأصل أناه . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلّى . ومعناه : ويل للبهوم من الفارغ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجى من الخلّى بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشرطة الثانية من البيت : ويل الشجى ، وردت مرة فى اللسان : «نصب الفؤاد لشجوه مغموم» ، وأخرى : «بحرته مغموم» ، وانظر ص ٣٧٣ أدب السكاتب وقول السهيلي : «وبيت مطرود أقوى» يعنى البيت الذى يشرحه : «يا عين فابكى أبا الشعث الشجيات» والجرمقانى — بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرامقة ، وم أنباط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العمم «عن اللسان» .

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحْشَرُ راكباً عليها ، ومن لم يفعل معه هذا
حُشِرَ راجلاً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ،
ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعْجَلُ فَيَنْقَمَ
وقال الشاعر في البلية :

وَالْبَلَايا رُمُوسُهَا فِي الْوَلَايا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرَّ الْخُلُودِ (١)
والولاياء هي البراذع ، وكانوا يَنْقُبُونَ الْبَرْدَ ذَعَةً ، فيجعلونها في عُنُقِ الْبَلِيَّةِ ،
وهي مَعْقُولَةٌ ، حتى تموت ، وأوصى رجلُ ابْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بهذا :

لَا تَنْزُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَذَّوْا يَخْرِثُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبُ
في أبيات ذكرها الخطابي .

وقوله : قِيَامًا كَالْحَيَّاتِ . أى : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظُّبَاءِ الَّتِي
حَيْثُ الْمَاءُ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، لِحُمِيَّةٍ بِمَعْنَى : تَحْمِيَّةٍ ، لَكِنِهَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ

(١) البيت في اللسان وأوله : كَالْبَلَايَا ، وَقَدْ نَسَبَ الْلسَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ ، وَهُوَ
حَرَمَلَةُ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ الطَّاقِي شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لِإِسْلَامِيٍّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا
وَزَعَمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا ، وَفِي اسْمِهِ خِلَافٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

عُطِّلَ الْمَرْءُ بِالرَّجَاءِ وَيَضْحَى غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبَ الْعُودِ
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَنْصَبُ عُودًا تَجْعَلُهُ غَرَضًا ، فَيَصِيدُ بِهِ بَعْضُ السَّهَامِ ، أَوْ يَقَعُ قَرِيبًا
مِنْهُ ، أَوْ تَشْعَبُ مِنْهُ شَيْئًا . فَضَرْبُ ذَلِكَ مَثَلًا .

مجرى الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحِيَّةِ والطَّرِيْدَةِ^(١) وفي معنى الحَمِي قول رؤبة :
قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي^(٢) يريد الحمام المَحْمِيَّ ، أى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوْنَةٍ : الأظهرُ فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما
ضوعفت فاؤم وعينه ، وحمله على هذا الأصل أولى لكثرتة فى الكلام ، وإن
كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية ،
إلا أن يَمْنَعَ من ذلك اشتقاقٌ ، ولا اشتقاق هُنا ، أو يَمْنَعَ من ذلك دخوله
فيما قلَّ من الكلام نحو : قَلِقَ وَسَلِسَ . قال أبو على فى المَزْمَرِ : حَمَلَهُ عَلَى
باب : قَرَقَرَوْبَرَبَرِ أولى من حملة على باب : قَلِقَ وَسَلِسَ ، يريد : إنك إن جعلتَ
الميمَ زائدةً كانت فاء الفعل — وهى الراء — مضاعفةً دون عينِ الفعل ، وهى

-
- (١) قال سيبويه : لا يجىء هذا الضرب على مفعل — بفتح الميم وكسر العين
— إلا وفيه الهاء ، لأنه إن جاء على مفعل بغيرها اعتل ، فعدلوا إلى الاخف .
(٢) ومنه قبله :

ورب هذا البلد المحرم
والقاطنات البيت غير الريم
قواطينا مكة من ورق الحمي

واللسان مادة قطن ، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه فى باب : « اعلم أنه
يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما
ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ؛ كما أنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما
قد حذف ، أو استعمل محذوفا ، كما قال العجاج . أقول : وقواطين منونة منصوبة
فى كتاب سيبويه ، وفى اللسان . وروى سيبويه هذه الشطرة مرة أخرى هكذا
« أوألفا مكة من ورق الحمي ، انظر ص ٨ ، ٥٦ من كتاب سيبويه ط بولاق .

الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَزْمَرٍ أصليّة ، كان ^(١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في المَزْمَرِ : مر ، وهو القياس المُسْتَدْبُ ، والطَّرِيقُ المَهْمِيْعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمل ^(٢) .

(١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولاً فهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولاً نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جنى بقوله : ولا فصل بين الميم والهمزة إذا وقعتا أولاً ، فتى وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جنى . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة للمساء ، وهى جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيضاً ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جنى في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلان لا غير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالمتصلان نحو : الحفف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام وسالس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثانى والرابع . فالمثلان أيضاً . أصلان ، وذلك نحو : فرفج وقرقل ونبات الرحلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثانى والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشعلع والطويل . فالمثلان أيضاً أصلان . وكل ذلك أصل رباعى ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثانى والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضاً من بنات الأربعة مثل : قريق ودكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثانى ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيزفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضاً إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعهما =

وقوله : طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ الْفَجَرُ : الجودُ ، شُبَّهَ بِانْفِجَارِ الْمَاءِ . وَيُرْوَى
ذَا فَنَعٍ ، وَ الْفَنَعُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ :
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعٍ وَأَكْتُمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ (١)
وقوله : بَسَامُ الْعَشِيَّاتِ : يَعْنِي : أَنَّهُ يَضْحَكُ لِلْأَضْيَافِ ، وَيَبْسِمُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ
كَمَا قَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي :

= مثلاً غير ملتقيين ، فهما أيضا أصلان . نحو : شفشليق ، العجوز المسترخية ،
ص ٥٦ وما بعدها ، الخصائص ط ٢ ج ٢ ، وانظر شرح الشافية ج ١ ص ٥٩ ، وما بعدها
ويقول ابن جني في الخصائص أيضا وهو يتكلم عن الأصلين الثلاثي والرباعي
المتداخلين ، كقولهم سلس وسلسل ، وقلق وقلقل ، وذهب أبو إسحاق في نحو قلقل
وصلصل وجرجر وقرقر إلى أنه فعل ، وأن الكلمة لذلك ثلاثية ، حتى كأن أبا إسحاق
لم يسمع في هذه اللغة الفاشية المنتشرة : بزغد وزغذب وسبط وسبطر ، ثم يقول :
« إن تكرير الفاء لم يأت به ثبت إلا في مرمريس . وحكى غير صاحب الكتاب :
مرمريت ، وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلا من السين ، كما أبدلت منها في ست ،
ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الخصائص ويقول في ص ١٢ من المنصف أيضا : « الفاء لم تكرر
في كلام العرب إلا في حرف واحد ، وهو : مرمريس ، وهي الداهية والشدة ،
فتكررت الفاء والعين ، ولا نظير لهذه الكلمة » .

(١) والفنع أيضا : الكرم والجود والفضل الكثير ، ونشر الثناء الحسن
ونفحة المسك . . وقد روى أن معاوية — رضى الله عنه — قال لابن أبي محجن
الثقفي : أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه تروى عظامي بعد موتي عروقه
ولا تدفني في الفلاة ، فإنني أخاف إذا ماتت ألا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : أبي الذي يقول : وذكر البيت . وقد روى عجزه
مكذبا : وقد أكر وراء المحجر الفرق .

أُضاحك ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخَصِّبُ^(١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقِرَى وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، عليه السلام ، فَجَرَّهَا لَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ بِعَقِبِهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ إِبَّاهَا بِالْعَقَبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِمَارَةً
إِلَى أَنَّهَا لِعَقْبِهِ وَرِائِهِ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُمَّتُهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أَخَذَتْ جُرْمُهُمْ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَحَقُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَغَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَاكْتُمْتُمْ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرْمَهُمْ مِنْ مَكَّةَ
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عَمْدُ الْحَرْثُ بْنُ مَضَاضٍ الْأَصْفَرُ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ
مِنْ مَالِ الْكَعْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَا الْآنَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٍ قَلْعِيَّةٍ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكُ
الْفُرسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلَ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : وهذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده
لا شريك له ، وخُلِعَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَهِيَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَيْ جَعَلَهَا دَائِمَةً
فِي ذَرِيَّتِهِ ، يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مِنْ هُدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَرِيَةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ : يَعْنِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَا يُزَالُ فِي ذَرِيَّتِهِ مَنْ يَقُولُهَا ، وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَلَى أَنَّ هُنَاكَ رَوَايَةً :
أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ .

(٣) نسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرسِ كانت تحجها إلى عهدِ ساسانَ ، أو سابورَ ، فلما علم ابن مِضاضٍ أنه مُخْرَجٌ منها ، جاء تحت جُنْحِ اللَّيْلِ حتى دَفَنَ ذلكَ في زَمَزَمَ ، وَعَقَى عليها ، ولم تَزَلْ دَارِسَةً عافيا أثرها ، حتى آن مولدُ المَبَارِكِ الذي كان يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَتَفَجَّرُ مِنْ بَنَانِهِ بِنَايِعُ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْخَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فلما آن ظُهورُهُ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا انْدَقْنَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجَنَّهُرَ (٢) ، فَكَانَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أُجْدَبَتِ الْبِلَدُ ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًّا لُقْرِيشَ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللهُ - وَسُقِّيَتِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غِيُوْثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، وَالْمَرْءُ بَعْدَ الْمَرْءِ ، وَتَارَةً بِدَعَائِهِ ، وَتَارَةً مِنْ بَنَانِهِ ، وَتَارَةً بِالْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعُ عُمَرُ بِعَمِّهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

- (١) ولكن هذا الاستسقاء ليس من هدى الإسلام .
 (٢) اجترأ البئر : نقاها ، أو نزحها أو بلغ الماء .
 (٣) قصة موضوعة وليس الاستسقاء الديني الحق من هذا الزعم .
 (٤) ليس من حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن نكذب له ، أو نكذب عليه ، وعظمة الرسول العظيم ليست في حاجة إلى كذب يساندها ، لأنها قامت على الصدق الجليل الجميل . وصورة الاستسقاء النبوي نهتدى إليها من هذا الحديث :
 « جاء أعرابي يوم الجمعة . فقال : يا رسول الله ، هلكت الماشية ، وهلك العيال ، وهلك الناس ، فرفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديه يدعو ، ورفع الناس أيديهم معه يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا ومختر من البخارى ، وحديث استسقاء عمر بالعباس : « عن أنس - رضى الله عنه - أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل =

وأقسم عليه به وبنييه^(١)، فلم يبرح، حتى قاصوا المازرَ، واعتلقوا الحذاء،

==إليك بنينا، فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك. فاسقنا، فيسقون) البخارى
ويقال: إنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر، ويقول العلامة السلفى السهوانى
الهندي تعليقا على هذا في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان: والمراد
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضى الله عنه: هو
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع، وهى أن يخرج من
يستسقى به إلى المصلى، فيستسقى، ويستقبل القبلة داعيا، ويحول رداءه، ويصلى
ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التى وردت في الصحاح، والدليل عليه قول
عمر رضى الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم، فتسقيننا،
وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي لم يكن
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم، ويستقبل القبلة ويحول رداءه، ويصلى ركعتين
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، وأقول: لو كان التوسل بذات الحى
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —
بدلا من توسله بالعباس. ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في
استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد موصى، ليست من كسب أحد.

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح. وقد وردت أحاديث الاستسقاء
في البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد وغيرها،
وكلها تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وليس في شيء منها ما ذكره
السهيل، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن
حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقال أبو داود: هذا حديث غريب لإسناده
جيد وهذه هى: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ==

وخاصوا النذران ، وسمعت الرقاق المقبلة إلى المدينة في ذلك اليوم صائحا بصيح في السحاب : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص (١) ، كل هذا ببركة المبتعث بالرحمتين ، والداعي إلى الحياتين الموعود بهما على يديه في الدارين - صلى الله عليه وسلم - صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ، ولا تريم ، إنه منعم كريم .

أسماء زمزم :

فصل : فأرى عبد المطلب في منامه : أن احفر طيبة ، فسميت طيبة ، لأنها للطيبن والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له : احفر برة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت الأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفر المضمونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضمونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين ، فلا يتصلع منها منافق ، وروى الدارقطني ما يقوى ذلك مسنداً عن النبي - صلى الله عليه وسلم : من شرب من زمزم فليصلع ، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتصلعوا (٢) منها ،

= الله ما يريد ، اللهم أنت الله ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ،

(١) أساطير مرددة لا تعرفها السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه عمر رضي الله عنه .

(٢) تصلع : امتلا شبعاً ورياً ، والتصلع أيضاً : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه على أن مثل هذه الأحاديث لم يروها أصحاب الصحيح . وقد روى هذا الحديث : الدارقطني وابن ماجه .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة رواية أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخْفِرِ الْمُضْنُونَةَ ضَنْتَ بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :

وَدُلَّ عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ : بُنْقَرَةُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ ، وأنها بين الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، وعند قرية النَّمْلِ ، ويروى أنه لما قام لِيَخْفِرَهَا رأى مَارُسِمَ مِنْ قرية النمل وَنُقْرَةَ الْغُرَابِ ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالدَّمِ ، فبينما هو كذلك نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَازِرِهَا ، فلم يُذَرِكها ؛ حتى دخلت المسجد الحرام ، فنَحَرَهَا في الموضع الذي رُسم لعبد المطلب ، فسال هناك الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حيث رُسم له .

ولم تَخْصَ هذه العلامات الثلاث (١) بأن تكون دليلا عليها إلا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وفائدةُ مُشَاكَلَةِ في علم التعبير ، والتَّوَسُّمُ الصَّادِقُ لمعنى زَمْزَمَ وَمَائِهَا . أما الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعَامَ طُعِمَ ، وَشِفَاءُ سَقَمٍ (٢) ، وَهِيَ لِمَا شَرِبَتْ لَهُ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق لحسب .

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية : دَأَى يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا شَرِبَ مَاءَهَا ، كَيْ شَبِعَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي زَمْزَمَ : دَلِمْنَا لَطْعَامَ طُعِمَ وَشِفَاءُ سَقَمٍ ، وَنَسَبَ هَذَا فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ إِلَى وَهْبِ بْنِ مَنبِهِ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ .

(٣) روى الإمام أحمد : دَمَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ مِنْهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُؤَمَّلِ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ . وَلِنَفْظِهِ : دَمَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ ، وَرَوَاهُ سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَلَكِنْ سُؤَيْدًا ضَعِيفٌ . وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ مَرْفُوعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ . هَذَا وَقَدْ وَرَدَتْ تَسْمِيَةُ زَمْزَمَ بِهَرَّةٍ ، وَالْمُضْنُونَةُ فِي حَدِيثٍ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَحَسْبُكَ بِهِ ١١

(٤) حَدِيثُ تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمين حتى تكسرت عكته ، [وما وجد على كبده سخفة (١) جوع] فهي إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى في اللبن : (من بين قرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه الشفيا المباركة بين القرث والدم ، وكانت تلك من دلالتها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغراب الأعجم ، قال القتيبي : الأعجم من الغرابان الذى فى جناحيه بياض ، وحمل على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعجم الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يدان ؟ . وإنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربع ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغرابان عزيز ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغرابان محال لا يتصور . وفى مسند ابن أبى شيبه من طريق أبى أمامة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما ينعنى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعجم قيل : يا رسول الله ، وما الغراب الأعجم ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء (٢) .

(١) جمع عكنة : الطلى الذى فى البطن من السمن ، ويجمع على أعماكن أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغرابان ، لأن أكثر الغرابان : السود البقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للبرأة البيضاء : الحمراء

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَدَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةٍ
الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَعْوَلِهِ فِي أُسَاسِ الكعبة يَهْدِمُهَا فِي آخِرِ الزَّمانِ ، فكان
نَقْرُ الغرابِ فِي ذَلِكَ المَكانِ يُؤْذَنُ بِما يَفْعَلُهُ الفاسقُ الْأَسْوَدُ فِي آخِرِ الزَّمانِ
بِقِبْلَةِ الرَّحْمَنِ ، وَسُقْيَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَما يُرْفَعُ الْقُرْآنُ ، وَتُحْيَا عِبَادَةُ
الْأَوْتانِ ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ رَسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لِيُخْرِجَنَّ الكعبةُ
ذَوِ السَّوْيَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ» (١) «وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضاً مِنْ صِفَتِهِ : أَنَّهُ [أَسْوَدٌ] أَفْجَحٌ ،
[يَقْلَعُهَا حَجْراً حَجْراً] وَهَذَا أَيْضاً يَنْظُرُ إِلَى كَوْنِ الْغَرَابِ أَغْنَمَ ؛ إِذِ الْفَجْحُ : تَبَاعُدُ
فِي الرِّجَالَيْنِ ، كما أَنَّ الْغَنَمَ اخْتِلَافٌ فِيهِمَا ، وَالْاِخْتِلَافُ : تَبَاعُدٌ وَقَدْ عُرِفَ بِذِي
السَّوْيَقَتَيْنِ ، كما نُعِتَ الْغَرَابُ بِصِفَةٍ فِي سَاقِيهِ ، فَتَأَمَّلْهُ ، وَهَذَا مِنْ حَقِيٍّ عِلْمِ التَّأْوِيلِ ،
لأنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا ، وَإِنْ شِئْتَ : كَانَ مِنْ بَابِ الزَّجْرِ وَالتَّوْشِمِ الصَّادِقِ (٢)
وَالاعتبار والتفكير في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ،
وَهُوَ مَنْ هُوَ عِلْماً وَوَرَعاً حِينَ حَدَّثَ بِحَدِيثِ الْبُئْرِ فِي الْبُسْتَانِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَعَدَ عَلَى قَفِّهَا (٣) ، وَذَلَّى رَجْلَيْهِ فِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَفَعَلَ مِثْلَ

(١) الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَفِي أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ : «اتْرَكُوا الْحَبْشَةَ
مَا تَرَكَوكم ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الكعبةِ إِلَّا ذَوِ السَّوْيَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ ، وَالسَّوْيَقَتَانِ
مِثْنِي سَوِيْقَةٌ : تَصْغِيرُ لِسَاقٍ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ . وَقَدْ صَغُرَ السَّاقُ ، لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى سَوْقِ
الْحَبْشَةِ الدَّفْعُ وَالْمَحْرُوشَةُ ، وَقَدْ أَبْعَدَ السَّهِيلُ وَأَغْرَبَ فِي تَأْوِيلَاتِهِ .

(٢) الزَّجْرُ : أَصْلُهُ هُوَ التَّيْمِنُ وَالتَّشْوِمُ بِالطَّيْرِ ، وَالتَّفْوُلُ بِطَيْرِانِهَا كَالسَّامِخِ
وَالْبَارِحِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّكَنَةِ وَالْعِيَاةِ . وَالتَّوْشِمُ : أَوَّلُ الْبَطْنَةِ ، أَوِ الزَّكَاةِ : الْاِعْتِبَارُ
(٣) قَفُّ الْبُئْرِ : هُوَ الدَّكَّةُ الَّتِي تَجْعَلُ حَوْلَهَا .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذ منهم ناحية ؛ وقعدَ حَجْرَةً (١) . قال سعيدُ بن المسيَّبِ : فأولتُ ذلك قبورهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان - رضى الله عنه - والله سبحانه يقول : (إن في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمينَ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ والفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النملِ ، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضاً ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُها الحُجَّيجُ والعمَّارُ من كل جانب ، فيحملون إليها البُرَّ والشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرعُ ، كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) . إلى قوله : (وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريبها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الخَوْضِ : إذا جمَعْتُهُ ، والرُّوْيَا تُعَبِّرُ عَلَى اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل - والله أعلم .

من صفات زمزم :

وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زمزم : لا تنزف أبداً ، ولا تُدَمِّمُ (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاي - ماء البرنزفا : إذا نزحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لَأَنَّهُ لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنَ إِلَى الْيَوْمِ قَطْ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَتَزَحَّتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجَدُوا مَاءَهَا يَثُورُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْيُنَ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءً : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارِقُطِيُّ .

وقوله : وَلَا تُدْثَمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَإِسْهُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذْمُهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الدِّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذَبَ الْمِيَاهِ ، وَلَتَضَلَّعَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذْمُهَا ، وَيَسْمِيهَا : أُمَ جِعْلَانَ (١) ، وَاحْتَفَرَ بَرًّا خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَعَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَلَّةَ حَيَاءٍ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهُ قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تُدْثَمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : يَثُرُ ذَمَّةُ أَيْ : قَلِيلَةُ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذْثَمَتِ الْبُيْرُ إِذَا وَجَدَتْهَا ذَمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَنَزَفْتُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، وَعَنْ ابْنِ سَيِّدَةَ : نَزَفَ الْبُيْرُ يَنْزِفًا وَأَنْزَفَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَلَامُهُمَا نَزَحًا : وَأَنْزَفْتُ هِيَ نَزَحَتْ ، وَذَهَبَ مَاؤُهَا .

(١) جَعَلَ الْمَاءَ بِفَتْحٍ فَكَسَرَ جَعَلًا ، أَيْ : كَثُرَ فِيهِ الْجَعْلَانُ : جَمْعُ جَعَلٍ وَهُوَ دَابَّةٌ سُودَاءُ مِنَ دَوَابِّ الْأَرْضِ قِيلَ : هُوَ أَبُو جَعْرَانَ . وَلَعَلَّهَا فَرِيَّةٌ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْهَوَانِ ، الَّذِي يَرْغَمُهُمْ عَلَى الرِّضَا بِهَذَا الَّذِي نَسَبَ إِلَى خَالِدٍ .

وجدته كاذباً^(١)، وفي التنزيل: «فإنهم لا يكذبونك»^(٢) [ولكن الظالمين
بآيات الله يمحذون] الأنعام . ٣٣ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله
حتى مررنا ببئر ذمّة: وأنشد.

مُخَيِّسَةٌ خَزْرًا كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاتِحُ^(٣)

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تُدَمِّمُ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : «أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب
وكذبتة — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب .»

(٢) الذى فى المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهلبى يعنى القراءة الثانية ، وهى
مشهورة أيضاً ، وهى : «لا يكذبونك» بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهى
قراءة نافع والكسائى من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرثيمة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —
يصف إبلا غارت عيونها من السكلال . وروايته فى اللسان : «على حيريات ،
بدلاً من «مُخَيِّسَةٌ خَزْرًا» والإبل المخيسة هى التى لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر
أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها ، أو النظر
كأنه فى أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، وحول فى إحدى العينين . وركايا
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البئر — كما
فى القاموس ، ومواتح : المتح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء
«حبل» الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . ومواتح : جمع ماتح وهو
المستقى . والماتح الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . أنكرتها : أقلت ماها ، والذمة :
البئر القليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانت آبار
قليلة الماء . وفى الروض : أنكرتها ، ورواها اللسان فى مادة ذمم «أنكرتها ،
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه فى مادة فتح ذكرها : أنكرتها .»

والله أعلم - وحديث البرّ الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد قال : حدثنا الحرث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النضر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن عن يونس عن البراء قال : كنّا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير فأتينا على ركيّ ذمّة^(١) . يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أناسدسهم مائة^(٢) ، فأدّيت إلينا الدلو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم على الركيّ . فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت . إنائي . هل أجد شيئاً أجعله في حنقي ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعديت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشيّة الفرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهر^(٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البرّ .

(٢) الميع - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البرّ فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ورجل مأيح ، وقوم مائة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه دس ، أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نينا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

اشتقاق مفازة :

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش إلى الكاهنة ، وذكر المَفَاوِزَ التي عطشوا فيها . المَفَاوِزُ : جمع مَفَازَةٍ ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى عن الأصمعي أنها سُمِّيَتْ مَفَازَةً على جهة التناول لراكبها بالفوز والنجاة ، ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : سألت أبا المسكرم : لم سميت الفلاة مفازة ؟ فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مَهْلِكَةٌ لأنه يقال : فاز الرجل ، وفَوَّزَ وقَادَ وفَطَسَ : إذا هلك . وذكر في غير رواية على بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير السكدر يقال : مالا رَوَى بالسكسر والقصر ، ورواه بالفتح والمند^(١) وفيه :

= وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين .. وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده ، أو يتفل فيه ، أو يأمر بوضع شيء فيه كسهم من كنانته . فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ، وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. وأما من رواها من أهل القرن الثاني فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طريقه لإفراد ، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦ وانظر مجمع الزوائد للهيتمي . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لعيسى عن المائدة : « إني منزلها عليكم » ، والله الذي من بذلك قادر على أن يمن بهذا . وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبي أو ولي ، ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روى كوفي ، وروى مثل : إلى ، ورواه مثل سماء : كثير ، ورو .

الجمع واسم الجمع :

يسقى حَجِيج الله في كل مَبْرَ. الحجِيج: جمع حاج . وفي الجوع على وزن فَعِيل كثير كَالْعَبِيد والْبَقِير والمَعِيز والأَبِيل !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجوع، وهذا يختلف واحده فحجِيج واحده: حاج، وعبيد واحده: عبيد، وبقير^(١) واحده: بقرة [ومعيز: واحدة: ماعز] إلى غير ذلك، فحُازَ أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يُصَغَّرُ على لفظه، كما تصغر أسماء الجوع، فلا يقال في العبيد: عبيد ، ولا في النخيل:

(١) في اللسان : البقير اسم للجمع ، أما الأَبِيل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالهمزة من الحشيش والخطب، والإبيل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرها: القطعة من الطير والخنيل . وقيل هي مفرد أبابيل ، وربما كانت إبلا ، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع ، قاموس ، ويقول الجوهري إن أسماء الجوع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين ، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء ، فقلت عن إبيل : أبيلة ، وعن غنم : غنيمة ، وقد فرق شارح السكاكية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تلخص في ثلاثة أوجه ، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة ، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد ، إما ظاهرا ، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد ، وأسد ونمر ونمر ، وإما بالحروف كرجال : جمع رجل وكتب جمع كتاب ، والمغايرة المقدرة كهبان وفلك ، ومن المغايرة الظاهرة : الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني : أن للجمع واحدا من لفظه ، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه ، بل له واحد من معناه ، فواحد الإبل : بعير أو ناقة ، وواحد الغنم : شاة . والثالث : أن الجمع يرد إلى واحد في النسب مطلقا ، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع ، فلا يرد ، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه ، وإما أن يكون له واحد ، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافعية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققين للشافعية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحده ، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُيَيْدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبيد، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) وقال: (وَمَارِبُكَ بِظِلَامٍ لِّلْعَبِيدِ) فصلت: ٤٦ وحين ذكر الخطابين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق: ١٠ وقال: (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ) القمر: ٢٠ فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق.

شروع :

وقوله: في كل مَبَرٍّ هو مَفْعَلٌ مِنَ الْمَبَرِّ، يريد: في مناسك الحج ومواقع الطاعة وقوله: مثل نعام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَتِ الغنم: إذا انتفعت بحملتها، ولم يُقَسِّمَ أى: لم يُتَوَزَّعْ، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ. أى: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى، ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لَا تَنْزِفُ، وَلَا تُذَمِّ عَاقِبَةَ شَرْبِهَا، وهذا تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الغزالين^(١) حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حليت به الكعبة، وقد قدمنا ذكر الغزالين، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفنهما من جرهم، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: نُبُعٌ، وأنه أول من اتخذ لها غَلَمًا إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة .

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضاً لزُمزم يسقى منه ، فكان يُحَرَّبُ له بالليل حسداً له ، فلما غَمَّه ذلك قيل له في النوم : قل : لا أحلها لمغتسل ، وهي لشاربِ حِلٍّ وبلٍّ ^(١) وقد كُفِّيتهم ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمكروه رُمي بداء في جسده ، حتى انتهوا عنه . ذكره الزهري في سيرة .

بئر قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئرا بمكة . ذكروا أن قصياً كان يسقى الحَجَّاجَ في حياضٍ من أدم ، وكان ينقلُ الماءَ إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ، ثم احتفر قُصَيُّ العَجُولَ في دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب ، وهي أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلغة حمير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعراً قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعهود
اجعله رب لي فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفي السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح » زدت كلمة « القداح » بعد جملة « أعطوا » من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لزُمزم حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغتسل ؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

اِحْتَفَرْتُ (١) بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا اسْتَقَوْا مِنْهَا ارْتَجَزُوا ، فَقَالُوا :
تُرَوِّى عَلَى الْعَجُولِ ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ . إِنْ قُصِيًّا قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقَ
[بِشَبَعِ الْحَجِجِ وَرَى مُغْتَبِقِ] (٢)

فَلَمْ تَزَلِ الْعَجُولُ قَائِمَةً حَيَاةَ قُصَيٍّ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، حَتَّى أَكْبَرَ عَبْدُ مَنْأَفِ
ابْنَ قُصَيٍّ ، فَسَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُعَيْلٍ ، فَمَطَّلُوا الْعَجُولُ ، وَانْدَفَنَتْ ،
وَاحْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بَثْرًا ، وَاحْتَفَرُ قُصَيٌّ سَجَلَةً ، وَقَالَ حِينَ حَفَرَهَا :
أَنَا قُصَيٌّ ، وَحَفَرْتُ سَجَلَةً تُرَوِّى الْحَجِجَ زُغْلَةً فَرُغْلَةً (٣)
وَقِيلَ : بَلْ حَفَرَهَا هَاشِمٌ ، وَوَهَبَهَا أَسَدُ بْنُ هَاشِمٍ لَعَدِيٍّ بْنِ نُوْفَلٍ ،
وَفَى ذَلِكَ تَقُولُ خَالِدَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعَدِيٍّ سَجَلَةً تُرَوِّى الْحَجِجَ زُغْلَةً فَرُغْلَةً
وَأَمَّا أَحْرَادُ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَأَحْرَادٌ : جَمْعٌ : حِرْدٌ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّنَامِ ،
فَكَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِهَذَا ، لِأَنَّهَا تُنْبِتُ الشَّحْمَ ، أَوْ تُسَمِّنُ الْإِبِلَ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا
وَالْحِرْدُ : الْقَطَا (٤) الْوَارِدَةُ لِلْمَاءِ ، فَكَأَنَّهَا تَرُدُّهَا الْقَطَا وَالطَّيْرُ ، فَيَكُونُ

(١) وَفَى الْمُرَادُ : أَنَّ الْعَجُولَ أَوَّلُ بَثْرٍ حَفَرَتْ بِمَكَّةَ ، وَقِيلَ : حَفَرَهَا عَبْدُ شَمْسٍ قَبْلَ
خَمٍ ، وَقِيلَ إِنْ أَصْلُهَا كَانَتْ رَكِيَّةً فِي دَارِ أُمِّ هَانِيٍّ ، ثُمَّ وَسَعَهَا قُصَيٌّ ، أَوْ سَمَاهَا كَذَلِكَ
(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ مَعْجَمِ الْبَكْرِى . وَمُغْتَبِقٌ : أَصْلُ الْغُبُوقِ — كَصَبُورٍ —
مَائِشَرٍ بِالشَّيْءِ . وَغَبَقَهُ : سَقَاهُ ذَلِكَ ، فَاعْتَبِقَ هُوَ ، وَالْمُغْتَبِقُ — بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ
الْبَاءِ — مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

(٣) الزُّغْلَةُ : الْجُرْعَةُ .

(٤) قَطَا حِرْدٌ : سَرَاعٌ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ عَنْ هَذَا : لَمْ يَكُنْ خَطَا . وَذَكَرَ أَنَّ الْقَطَا =

أَحْرَادُ جَمْعٌ : حُرْدٌ بِالضَمِّ عَلَى هَذَا . وَقَالَتْ أُمِّيَّةُ بِنْتُ عُحَيْلَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ امْرَأَةُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ حِينَ حَفَرَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ أُمَّ أَحْرَادٍ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْبَحْرَ أُمَّ أَحْرَادٍ لَيْسَتْ كَبَذَّرِ الْبُرُورِ ^(١) الْجُمَادِ

فَأَجَابَتْهَا ضَرَّتُهَا : صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أُمُّ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَحْنُ حَفَرْنَا بَذَّرَ ^(٢) نَسَقِ الْحَجِيجِ الْأَكْبَرِ
مِنْ مُقْبَلٍ وَمُذِيرٍ وَأُمُّ أَحْرَادٍ شَرَّ ^(٣)

وَأَمَّا جُرَابٌ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى : جَرِيبٌ ^(٤) نَحْوُ : كِبَارٍ وَكَبِيرٍ ،

= الحَرْدَى الْقَصَارُ الْأَرْجُلُ ، وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ بِذَلِكَ . وَفِي الْمَرَاوِدِ عَنْ أُمِّ أَحْرَادٍ
أَنَّهُ جَمْعُ حَرِيدٍ ، وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ عَنْ مَحَلَّةِ الْقَوْمِ .

(١) هَكَذَا ، وَهِيَ غَيْرُ مَنَاسِبَةٍ لِّلْمَعْنَى ، فَلَعَلَّهَا : الْبُشُورُ بِضَمِّ الْبَاءِ وَالْثَاءِ : جَمْعُ بَشَرٍ
بِفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الثَّاءِ ، وَفِي اللِّسَانِ : أَنَّهَا الْكِرَارُ — بِكَسْرِ الْمَكَاثِفِ — جَمْعُ كَرٍ
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجْمَعُ فِيهَا الْمَاءُ الْآجِنُ ، لِيَصْفُو ، وَيُقَالُ لِلْبَخِيلِ : جَمَادٍ كَقَطَامٍ ذِمَالِهِ .

(٢) فِي غَيْرِ الرُّوسِ : بَشَرٌ بِفَتْحِ فَسُكُونِ ، وَالبَشَرُ أَرْضٌ حَجَارَتُهَا كَحِجَارَةِ الْحَرَّةِ
لَا أَنَّهَا بَيْضٌ ، وَالْمَاءُ الْبَشَرُ فِي الْغَدِيرِ إِذَا ذَهَبَ ، وَبَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ قَلِيلٌ

(٣) الْبَيْتُ : «سَقَى اللَّهُ أَمْوَاهَا» لِكَثِيرِ عِزَّةِ كَمَا فِي اللِّسَانِ ، وَكُلُّهَا آبَارٌ بِمَكَّةَ ، وَقَالَ
ابْنُ بَرِيٍّ : هَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءُ مِيَاهٍ ؛ بِدَلِيلِ إِبْدَالِهَا مِنْ قَوْلِهِ أَمْوَاهَا ، وَدَعَا بِالسَّقْيَا
لِلْأَمْوَاهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَهْلَهَا النَّازِلِينَ بِهَا .

(٤) الْجَرِيبُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَرْضِ : مَقْدَارٌ مَعْلُومٌ ، وَالْجَرِيبُ : مِكْيَالٌ قَدَرُ
أَرْبَعَةِ أَفْزَعَةٍ ، وَالْجَرِيبُ : قَدَرٌ مَا يَزْرَعُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : لَا أَحْسَبُهُ
عَرَبِيًّا ، وَالْجَمْعُ : أَجْرِبَةٌ وَجَرَبَانٌ . وَقِيلَ : الْجَرِيبُ الْمَزْرَعَةُ ، وَالْجَرِيبَةُ : الْوَادِي وَجَمْعُهُ
أَجْرِبَةٌ . وَلَمْ أَجِدْ فِي اللِّسَانِ جُرَابًا لِّلْجَرِيبِ . وَلَا فِي الْقَامُوسِ .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : المزرعة .
وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمَكُول من : مَكَلْتُ
البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمَكَلَّة : ماء ^(١) الرِّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر
عَمِيقَة ، ومَعِيقَة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :
مَمَكُول ومَمَكُوم ، والمَمَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوباً ^(٢) .

وأما بَذَر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا
من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَمٌ وخَضَمٌ وبَذَرٌ ،
وهى أسماء أعلام ، وشَلَمٌ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف
إلا البَقَم ، ولعل ^(٣) أصله أن يكون أعجميا ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراسد : أنها اسم
المفعول من لكمة ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمة
البئر . الجمة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :
المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الاضداد
وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ؛ ولها معنى الدفع
والضرب باليد مجوعة .

(٣) خضم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : لأنها عبرانية ، وزاد
من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح — اسم بالين ، أو واد من
أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراسد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء
« بإسكانها » انظر المراسد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كثم
بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =

وأما خُمّ وهى بئر مرة ، فهى من حَمَمْتُ البيت إذا كنستهُ ، ويقال :
فلان تحموم القلب أى : نقيته ، فكانها سُميت بذلك لنقاها .

وأما غدير خُمّ الذى عند الجحفة ، فسُميت بغِيضة^(١) عنده ، يقال
لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بئر بنى كلاب بن مرة ، فمن رَمَمْتُ الشيء
إذا جمَعْتَهُ وأصلحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهل ثَمَّة ورَمَّة^(٢) ، ومنه : الرُّمَّان
فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُعلَان ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُعَالٌ ،
فيجعل فيه الثَّنونَ أصليّة ، ويقول : إن سَمَّيتَ به رجلا صرَفْتَهُ . ومن قول
عبدِ شمس بن قُصَيٍّ :

=سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد
نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبئر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعل

ص ٦٣ ج ٢ المزهري للسيوطي .

(١) الاجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فینبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمة .
يقال ، ماله ثم ولارم . قالهم : قاش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت :
كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال
أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو
إصلاح الشيء وإحكامه ، وهو - أى اثم والرم - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم
مصدران . والمعنى على قول أبي عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ،
وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء
من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ بِهَا قَدْ تَمَّ
وَأَمَّا سُقْيَةُ بَثْرُ بْنُ أَسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْحَوِيزُ بْنُ أَسَدٍ :
مَاءٌ سُقْيَةُ كَمَاءِ الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَأْوُهَا بِطَرْقِ أَجْنٍ (٢)
وَأَمَّا سُنْبُلَةٌ : بَثْرُ بْنُ جَمَجْ ، وَهِيَ بَثْرُ بْنُ خَلْفِ بْنِ وَهَبٍ - فَقَالَ فِيهَا
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةً صَوَّبَ سَحَابٌ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَةً
نَمْ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ نَصَبُ مَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر :

وَأَمَّا الْغَمْرُ : بَثْرُ بْنُ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْغَمْرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٍ أَيَّمَا تَحْجِيجِ
ذَكَرَ أَكْثَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
فَصَلِّ : وَذَكَرَ شِعْرَ مُسَافِرٍ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :
ذَكْوَانٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٣٢ عَلَى هَامِشِ
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .

(٢) الطَّرِيقُ : الْمَاءُ الَّذِي خَوَّضَتْهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتْ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرٌ بِنَ أَبِي عَمَّةٍ رَوِ ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ
بُورِكَ الْمَيِّتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضْحُ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ (١)

في شعرٍ يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةِ بِنْتِ الْخَضِرِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحْرُ الدَّلَاقَةِ الرُّفْدُ (٢)

الرُّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرَّفْد ، وهي التي تملأ إناءً من عند الحلب .

وقوله :

وَنُلْقَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّاداً رُفْدًا

هو جمع رَفُودٍ أيضاً من الرَّفْد وهو : العون ؛ والأول من الرَّفْد بفتح الراء

[وبكسرهما] وهو إناء كبير قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأُسْرَى مِنْ مَعَشَرٍ أَقْتَالَ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح

تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الخشنى في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشى متمهلة
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من
الكبر فتمج الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرغد — بكسر الراء وفتحها — القدح
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم
والشجاع والقرن . والرغد بفتح الراء وكسرهما والمرغد — بكسر الميم وفتح =

(٩٢ — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ
ابن عمران^(١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن
عمران ابن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبدأ
هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخرة امرأة عمرو بن عائذ
على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمّة ، لابنت عمّ ، فتأمل ؛ فقد تكرّر
هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد
ابن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة ، أمها :
تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة^(٢) بن وداعة
ابن الحارث بن فهر . قاله الزبير :

== الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القدح العظيم ، وفى اللسان : هراقت الساء ماءها
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل
من همزة : أراق ، وهرفت مثل أرفت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرفت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرفت — والاصل أرفت
قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهزرت النار وأزرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها
زائدة ، كما قالوا : أنهاأت اللحم والاصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق
يهرق ؛ لأن الاصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الاصل يؤفعل .
والجوهرى يقول : هراق الماء يهرقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش
ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين أتى من قريش مالتى عند حفر زمزم : لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينجرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثنوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البر هي التي يُجمع فيها ما يهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه : نعم . الأمر إذا أرادوه يضرب ، به في القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه : لا ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القداح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : منكم ، وقدح فيه ملصق : وقدح فيه : من غيركم : وقدح فيه : المياه ، إذا أرادوا أن ينجفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحينما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُفكحوا منكحا ، أو يذفنوا

مَيْتًا، أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ وَبِئْتَهُ دَرَاهِمَ وَجَزُورًا ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا هَذَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْرِجِ الْحَقَّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ : فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْكُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْ غَيْرِكُمْ ، كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مُلْتَصِقًا ، كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ ، لَأَنْسَبَ لَهُ ، وَلَا حِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ ، مِمَّا سِوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ : نَعَمْ عَمِلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ : لَا ، أَخْرَوْهُ عَامَهُ ذَلِكَ ، خَتَى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذَرِهِ الَّذِي نَذَرُ ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ ، كَانَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ عَائِذٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ قَهْرٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَحَبَّ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَاهُ فَقَدْ أَشْوَى . وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشِّفْرَةَ ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أُنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قُريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا قد ينأ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل . وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافة لها تابع ، فسلكها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبيلته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليومَ حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : قد جاءنى الخبرُ ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فأنحروها عنه ، فقد رَضِيَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبِل يدعو الله عزَّ وجلَّ !! ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ خمسين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ستين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ تسعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربِّك يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، نِخْرَج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا ، نِخْرَج القِدْح على

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فصرخوا ، فخرج
القدح على الإبل : فُنَجِرَتْ : ثم تُرِكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سُبُعٌ .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد
من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فرج به
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر : وهي أخت ورقة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى : وهي عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :
أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل الإبل التي نَحَرَتْ
عنك : وقع على الآن . قال : أنا مع أبي ، ولا أستطيع خلافه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيّد
بني زهرة نسباً وشرافاً - فزوجّه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضلُ
امرأة في قُرَيْش نسباً وموضعاً .

وهي لبنة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وبرة : لأم حبيب بنت

أسد بن عبد الغزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعموا أنه دخل عليها حين أملىكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتّاب : أنه كائنٌ في هذه الأمة نبيّ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج حامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعهد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عَيْنَيْكَ غُرّة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عَيْنَيْهِ غُرّة مثل غُرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك

بني ، فَأَبَى عَلَى ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَوْسَطَ قَوْمِهِ نَسَباً ، وأعظمهم شرفاً من قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وَهْبٍ أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أُتِيَتْ ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملتِ بِسَيِّدِ هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فتقولي : أُعِيْذُكَ بالواحد ، من شرِّ كُلِّ حاسد ، ثم سَمِيَهُ : مُحَمَّدًا . ورأت حين حملت به أنه خَرَجَ منها نورٌ رأت به قُصُورَ بُصْرَى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبدُ الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هَلَكَ ، وأمُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاملٌ به .

نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحدر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعلَّ الرواية : أصغر بني أمِّه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من خَمَزَةَ ، ورؤى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن
لى : قَبِّلْ أَخاك ، قَبِّلْ أَخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكون عبدُ الله هو
الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البُكَائِيُّ كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو
أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، ثم وُلد له بعد ذلك حمزةُ
والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشكِل . وفيه أن الدِّية كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كما فى نسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب
— واسمه : عبد مناف — والزبير ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح
الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ،
وأمية ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة ،
والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت
أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نائلة بنت جناب
ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيرا وأمهما :
صفية بنت جندب بن حجير بن رئاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه :
لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية
وفى جمهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويسكنى أبا عتبة
والزبير والمقوم والحارث وحمزة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب
والزبير وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من
أم واحدة .

وحمزة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ،
والغيداق من أم .

بِعَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالمائةِ إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْإِبِلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرٍ بَنِ هَوَازِنَ قَتَلَهُ أَخُوهُ مَعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ (١) .

وَأَمَّا الْكَاهِنَةُ الَّتِي تَحَاكَمُوا إِلَيْهَا بِالمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَفِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالمُبْهَمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

تَزْوِيجُ عَبْدِ اللَّهِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ تَزْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَزْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَاهُمُ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمْنَنُ قُرْآنَ الْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ : ائْذَنْ لِي أَقْسُ مَنْخِرَكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانْظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهُمَا فِي الْمَنَافَيْنِ : عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ ، وَعَبْدُ مَنَافٍ بْنُ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انْطَلَقَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، فجعل فيه عامر بن الظرب العدة وافي مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدى . ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول و بضم الميمين ، : الأنف .

فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب^(١) ، وهى أم حمزة - رضى الله - عنه ، وزوج ابنه عبد الله آمنه بنت وهب ، فولدت له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : برة بنت عوف^(٢) ، وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة^(٣) ونسبهن ، فليُنظر هنالك . وأما أم هالة فهى : العَبْلة بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سَعِيد بن سَهْم^(٤) ، وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نَذَرَ

(١) فى نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفى جمهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .
(٢) فى السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفى كتاب حذف نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) فى نسب قريش عن أم برة : « وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل ، وأمها : قلابة بنت الحارث - وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر فى هذيل . واسم أبى قلابة : الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل . وأمها : دَبَّة بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النعمان بن جرمة بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب بنت الأسد المذكورة فى السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) فى نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنص ولكنه ذكر فى ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت سَعِيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

نَحَرَ أَحَدَ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ تَزْوِيغَهُ هَالَةً أُمَّ
ابْنِهِ حَمْرَةَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، حَمْرَةُ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا
وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ،
فَإِنْ جَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَتَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ
أَبُو عُمَرَ ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا
عَشْرَةً بَلَا مَزِيدَ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .

المرأة التي دعت عبد الله :

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأسدية إلى نفسها لما
رأت في وجهه من نور النبوة ، ورجت أن تحمل بهذا النبي ، فتكون
أُمّه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحرام فالحام دونه والحل لا حل فأستبينته

فكيف بالأمر الذي تبغينته يحى الكريم عِرْضَهُ وَدِينَهُ !

واسم هذه المرأة : رقية^(١) بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ؛ تُكْنَى : أُمّ

بحر . وإنما كل ولده سعد وسعيد ورثاب . ومن ولد سعد : سُعَيْدٌ الذي أعقب
أولادا منهم : خديجة هذه التي يذكر أنها أم عتبة . انظر ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نسب
قريش ، ولم يذكر من أولاد سعيد بن سهم من اسمها خديجة ، وإنما قال : إن أمها بنت
سعيد بن سهم ص ٤٠٨ وانظر ص ١٥٤ وما بعدها جمهرة النسب .

(١) في البداية ج ٢ ص ٢٦٢ أن اسمها رُقَيْيَةُ . وقد روى ذلك البيهقي

من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق وانظر ص ٥٣ من شرح السيرة للخشني .

قتال ، وبهذه الكُنيّة وقع ذكرُها في رواية يُونُسَ عن ابن إسحاقٍ ، وذكر
الْبَرْقِيُّ عن هِشَامِ بن الكلبيّ ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفهن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إِنِّي رَأَيْتُ مُحِيْلَةً نَشَأَتْ فِتْلَالَاتٍ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)
فَلَمَّا تُنَا نُوْرًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كِبَاضَاءِ الْفَجْرِ (٤)
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةُ الْقَفْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل قبالة متهودة خثعمية ، وأنها
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد
هذا . وقراءة بني زهرة بن كلاب من رسول الله - ص - من وجهين . أحدهما :
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصي بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : لأنه اسم
امراته ص ١٧٤ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية السكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله
والخيلة : السحابة التي تخالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع
حنتمة : السحابة السوداء لامتلائها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .
قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة . قال :

ولدت أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .
قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارة الأنصاري . قال :
حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفْعَةُ ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلُ كُلِّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ بَيْثَرَبَ : يامعشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ ! قال : طَلَعَ الليلةَ نجمُ أحد الذي وُلد به .

ورأيتُه شَرَفًا أبوء به (١) ما كَلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ مِنْكَ الذي اسْتَلَبْتَ وما تَدْرِي (٢)
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلي العَدْوِيَّةُ .

(١) في الطبري : فرجوتها فخرا أبوء به .
(٢) في الطبري : ثوبك ما استلبت وما تدري . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء في آخرها .
ولما حوت منه أمانة ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثاب

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
فقلت . ابنُ كَمْ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وَقَدْ مَهَا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسانُ ما سَمِعَ ، وهو ابن
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعتُه أُمُّهُ - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فَأَتِهَ فانظر إليه ، فَأَتَاهُ فنظر إليه ،
وحدَّثَتْهُ بما رأت حين حَمَلَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ به أن تُسَمِّيَهُ .
فیزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ،
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا ، والتمس لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى
عليه السلام : « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يقال لها :
حليمة ابنةُ أَبِي ذُوَيْبٍ .

وأبو ذُوَيْبٍ : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن
ناصر بن فُضَيْيَةَ بن نَصْرِ بن سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بن هُوَازِنِ بن مَنصُورِ بن عِكْرَمَةَ
ابن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلَانَ [بن مضر] .

واسم أبيه الذي أرضعه - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد العزى
ابن رفاعه ابن ملآن بن ناصرة بن فضالة بن نصر بن سعد بن بكر
ابن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة
بنت الحارث ، وخدامة بنت الحارث ، وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها
فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ،
أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب
البحري : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عمّن حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدّها مع زوجها ، وابن لها صغير
تُرضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك
فى سنة شهباء ، لم تُبق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لى قمراء ، معنا
شارف لنا ، والله ما تبصّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الذى معنا ،
من بكائه من الجوع ، ما فى يديّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يُغديه - قال ابن
هشام : ويقال : يُغديه - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أنانى

تلك ، فلقد أدمنتُ بالرَّكْب ، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قَدِمْنَا مكة نلتبس الرضعا ، فما مِنَّا امرأةٌ إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتِيم ، وذلك : أنا إنما كُنَّا نَرجو المعروفَ من أبي الصبيِّ ، فكُنَّا نقول : يَتِيم ! وما عسى أن تصنعَ أمُّه وجدُّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأةٌ قدمتْ معي إلا أخذتُ رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَوَاحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعلِ ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما تخافني على أخذه إلا أني لم أجد غيرَه . قالت : فلما أخذه ، رجعتُ به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْري أقبلَ عليه تَدْيِياً بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوَى ، وشرب معه أخوه حتى رَوَى ، ثم ناما ، وما كُنَّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافِلٌ ، فحلبَ منها ما شرب ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيّاً وشَبَعاً ، فبِتْنَا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أُصبحنا . تَعَلَّمي والله يا حَلِمة ، لقد أخذتِ نَسمةً مباركةً ، قالت : فقالت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتانِي ، وحلتهُ عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالرَّكْب ما يقدر عليها شيء من حُرْمٍ ، حتى إنَّ صَوَاحبي ليقنن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لساناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها . فكانت غنمِي تروح على حِينٍ قَدِمْنَا به معنا شِباعاً لُبناً . فنحلبُ ونشرب .

وَمَا يُحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ . حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُغْيَانِهِمْ : وَيَلْسَكُمُ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بَنَاتِ أَبِي ذُوَيْبٍ فَتَرْوَحُ أَغْنَامُهُمْ جِياعاً مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرْوَحُ غَنَمِي شَبَاعاً لُبْنًا ، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سِنَتَاهُ وَفَصَلَّتْهُ ؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَاباً لَا يَشِبُّهُ الْعِلْمَانُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلَاماً جَفْرًا . قَالَتْ : فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْنَتِهِ فِينَا ؛ لَمَّا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ . فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ ، وَقَالَتْ لَهَا : لَوْ تَرَكْتِ بُنَى عِنْدِي حَتَّى يَفْاطَ ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَمْكَةٍ ، قَالَتْ : فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتهُ مَعَنَا

قَالَتْ : فَرَجَعْنَا بِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدَمِنَا بِأَشْهَرٍ مَعَ أَخِيهِ لَنِي هَمٍّ لَنَا خَلْفَ بَيْوتِنَا ، إِذْ أَنَا نَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ لِي وَلَأَيُّهُ : ذَاكَ أَخِي الْقُرْشِيُّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيْضٍ ، فَأَضْجَعَاهُ ، فَشَقَّ بَطْنَهُ ، فَهَمَا يَسُوطَانَهُ قَالَتْ : نَفَرَجْتَ أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ ، فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا وَجْهَهُ . قَالَتْ : فَالْتَزِمْتَهُ وَالتَزِمَهُ أَبُوهُ ، فَقُلْنَا لَهُ : مَالِكَ يَا بَنَى ، قَالَ : جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيْضٍ ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّ بَطْنِي ، فَالْتَمَسَا شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ . قَالَتْ : فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا .

قَالَتْ : وَقَالَ لِي أَبُوهُ : يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعِلَامُ قَدْ أُصِيبَ ، فَالْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ ، قَالَتْ : فَاحْتَمَلْنَاهُ ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ ، فَقَالَتْ : مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظَنُرُّ ، وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ، وَعَلَى مُكْنَتِهِ عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ : فَقَالَتْ : قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بَابِنِي وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَى ، وَتَخَوَّفْتُ

الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نور أضاء لي قصوراً بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان السكلاعي : أن نراً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقا . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقما . ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بألف من أمته لوزنها .

فصل فى المولد

فى تفسير بَقِيَّ بن مُحَمَّدٍ أَنَّ إبليسَ - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ : رَنَةً حينَ لَمِنَ ، وَرَنَةً حينَ أَهْبِطَ ، وَرَنَةً حينَ وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَةً حينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الكتابِ . قالَ : والرَّائِنُ وَالتَّخَارُ^(١) منَ عملِ الشَّيْطَانِ . قالَ : وَيُكْرَهُ أَنْ يُقالَ : أمُّ الكتابِ ، ولكنَ : فَاتِحَةُ الكتابِ . وروى عن عُثْمَانَ بنِ أَبِي العاصِ عن أُمِّ عُمَانَ^(٢) التَّقْفِيَّةِ ، واسمُها : فَاطِمَةُ بنتُ عبدِ الله ، قالتَ : « حَضَرْتُ ولادَةَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَرَأَيْتُ البَيْتَ حينَ وُضِعَ قَدِ امْتَلَأَ نُوراً ، ورَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَمَعُ عَلَيَّ » . ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فى كتابِ النساءِ . وَذَكَرَهُ

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الخياشيم .

(٢) فى الأصل : دَأْبَى العاصِ أُمُّهُ عن أُمِّ عُمَانَ ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا فى وفد ثقف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذى منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادا ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى قصة أخرجها البيهقى فى الدلائل والطبرانى من طريق محمد بن أبى سويد للثقفى عنه ، قال : حدثنى أُمى : فعلى هذا يكون عاش نحواً من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقى والطبرى وابن عبد البر . ويقول الزركشى : إن ولادة النبي وص ، كانت نهاراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدلى النجوم ليلة مولده .

الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي التَّارِيخِ (١) . وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْدُورًا مَسْرُورًا ، أَيْ : مَخْتُونًا مَقْطُوعَ الشَّرَّةِ (٢) . يُقَالُ : عُذِرَ الصَّبِيُّ وَأُعْذِرَ . إِذَا خُتِنَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْدُثُ أَنَّهُ لَمْ تَجِدْ حِينَ تَحَلَّتْ بِهِ مَا تَجِدُهُ الْحَوَامِلُ مِنْ ثَقَلٍ وَلَا وَحَمٍ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا وَضَعَتْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ ، مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا ، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفْنَةً لثَلَايِرَاهُ أَحَدٌ قَبْلَ جَدِّهِ ، فَجَاءَ جَدُّهُ ، وَالْجَفْنَةُ قَدْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ (٣) ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدًا ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبري .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : « وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوي أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « إنه روى في كونه ولد مختوناً مسروراً حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً ، ويقول ابن العديم : إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت ستهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كفستوا عليه قدراً حتى يصبح ، ففعلوا ذلك بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأصبحوا ، وقد انشقت عنه القدر » ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يسندها إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!

كيف سَمَّيتَ باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك؟! فقال: إني لأرجو أن
يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ^(١)، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب، وقد
ذكر حديثها عَلِيُّ بْنُ الْقَيْرَوَانِيُّ الْعَابِرُ فِي كِتَابِ الْبُسْتَانِ. قال: كان عبدُ المطلب
قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ لَهَا طَرَفٌ
فِي السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ، وَطَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ، وَطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ، ثُمَّ
عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ، عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا نُورٌ، وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
كَانَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا، فَتَقَصَّصَهَا، فَعَبَّرَتْ لَهُ بِمَوْلودٍ يَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ يَنْبِيعُهُ أَهْلُ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^(٢)، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ: مُحَمَّدًا مَعَ
مَا حَدَّثَنِي بِهِ أُمُّهُ حِينَ قِيلَ لَهَا: إِنَّكَ تَحْمِلِينَ بَسِيْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَضَعْتِهِ
فَسَمِّيه مُحَمَّدًا. الحديث.

اسم محمد وأحمد:

قال المؤلف: لا يُعْرَفُ فِي الْعَرَبِ مَنْ تَسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا ثَلَاثَةٌ طَمَعَ آبَاؤُهُمْ - حِينَ سَمِعُوا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَبَقَرَبِ زَمَانِهِ، وَأَنَّهُ يُبْعَثُ فِي الْحِجَازِ - أَنْ يَكُونَ وَلَدًا لَهُمْ. ذَكَرَهُمُ ابْنُ قُورَيْبٍ
فِي كِتَابِ الْفُصُولِ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سَفِيَّانَ بْنِ مُجَاشِعٍ، جَدُّ جَدِّ الْقَرَزْدَقِيِّ الشَّاعِرِ،
وَالْآخَرُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْيِيَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كُنْفَةَ^(٣)

(١) فِي الْإِشْتِقَاقِ: أُرِدْتُ أَنْ يُحْمَدَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(٢) سِيَأْتِي الْمَكَلَامُ عَنْ هَذَا كُلِّهِ وَالرَّوَايَاتُ وَاعِيَةً.

(٣) هُوَ جَعْفَرُ بْنُ جَعْفَرٍ - بَفَتْحِ الْجِيمِ الْأُولَى وَالْآخِرَى. وَبِسُكُونِ الْحَاءِ وَفَتْحِ
الْهَاءِ. فَقَدْ وَرَدَ هَكَذَا فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ، وَفِي اللِّسَانِ، وَفِي الْإِشْتِقَاقِ لِابْنِ دُرَيْدٍ

ابن عَوْف بن عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْسِ ، والآخر : محمد بن مُحْران بن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفَدُوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذَكَرٌ أن يُسمِّيَه محمدا ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحَمَّدُ محمدا بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ ومُمدَّحٌ إلا لمن تسكر فيه الفعل مرة بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسمُه - صلى الله عليه وسلم - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام - ، فإنه منقول أيضا من الصِّفَةِ التي معناها

== وفي القاموس ، وفي جهرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بري أن من سمى في الجاهلية بمحمد سبعه ، وقد عديم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكرهم السهيلي . وانظر ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٣١٥ جهرة ابن حزم ، ومادة حمد في اللسان ومادة جحب في القاموس . وفي الخزائن للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم محمد في الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغلاطى أن عددهم خمسة عشر رجلا . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ، هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سميت في الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩ وما بعدها .

التَّفْضِيلُ ، فمعنى أحمد : أى أَحْمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه يُنْتَجَحُ عليه فى المقام الحمد لم يُحَمَّدْ لم تُفْتَحْ على أحد قبله ، فيُحَمَّدُ رَبَّهُ بها ؛ ولذلك يُقَدَّرُ له لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صِنْفَةٍ أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، فالْحَمْدُ هو الذى حُدَّ مرة بعد مرة ، كما أن الْمُكْرَمَ مَنْ أَكْرِمَ مرة بعد مرة ، وكذلك : الْمُدَّحُّ ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسَمَّى به نفسه ، فهذا عِلْمٌ من أعلام نبوته ؛ إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هَدَى إليه ، وَنَفَعَ به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بِالشَّفَاعَةِ ، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن مُحَمَّدًا ، حتى كان أَحْمَدَ حَمْدِ رَبِّهِ فَنَبَأَهُ وَشَرَّفَهُ ؛ فلذلك تقدم اسمُ أَحْمَدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أَحْمَدُ ، وذكره موسى - صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له رَبُّهُ : تلك أمة أَحْمَدَ ، فقال : اللهم اجعلنى من أمة أَحْمَدَ ، فبأحمد ذُكِرَ قبل أن يُذْكَرَ بِمُحَمَّدٍ ؛ لأنَّ حَمْدَهُ لربه كان قبل حَمْدِ النَّاسِ له ، فلما وُجِدَ وَبُعِثَ ، كان مُحَمَّدًا بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يُحَمَّدُ رَبَّهُ بالحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أَحْمَدَ الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّعُ فيُحَمَّدُ على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب إني أجد أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتي » ، ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسمُ قبل الاسم الآخر^(١) في الذكر والوجود ، وفي الدنيا والآخرة تُلخ

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : «أحدهما محمد بن: هو المحمود حمدا بعد حمد ، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحمد: أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره . فمحمد: زيادة حمد في السكينة ، وأحمد: زيادة في الكيفية. فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر. والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود حمدا متكررا كما تقدم ، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره ، فدل أحد الاسمين وهو: محمد على كونه محمودا ، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : « وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدلل به السهيلي ، ثم قال : « وبنوا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى: أحمد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق حمدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : « والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد «ص» ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا في التوراة ، ومتقدمة على تسميته محمدا في القرآن ، فوقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافي العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فحمد =

لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفسر من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمد عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والادب والافعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا رب أن بني إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمد عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عند هذه الأمة بأفضل التفضيل الدال على الفضل والكمال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثة : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجهه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السهيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحمد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلائق له فبناء منه على أنه — أى : أحمد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأما على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقعان على المنعول ، لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأول أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سنة وقرأنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وقضى بينهم بالحق وقيل : الحمد لله رب العالمين » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وآخر دعوانهم : أن الحمد لله رب العالمين » يونس : ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسنَّ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرُون بانقضاء الأمور ، مشروعٌ عنده - تجذ معاني أسمائه جميعا ، وما خص به من الحمد والحمد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك بُرهانٌ عظيمٌ ، وعلمٌ واضحٌ على نبوته ، وتخصيصُ الله له بكرامته ، وأنه

== حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمي باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّامَ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدَّمَاتِ قَبْلَ وَجُودِهِ تَكْرِمَةً لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

تَعْوِيزُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

وَذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَعُوذُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأَزْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمُهْدِ عَلَى الْغُلَمَانِ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلُغَةَ الْفَتْيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِالْعِزِّ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَّانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ السَّانِ (١)
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ فِي كُتُبٍ ثَابِتَةٍ الْمُثَانِ
أَحْمَدُ مُكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كَذَا ١١١ وَلَعَلَّهَا الشَّاقُ فِي رَوَايَةٍ : الْلسَانُ .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ : الْلسَانُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ . وَفِي كَلِمَاتِهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَذِبٌ مَفْتَرٍ . وَكَذَلِكَ مَا رَوَى ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . « أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَا أَصِلُ لَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حَذَا .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » ، انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحمد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان ثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان عشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلّت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلّت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : الجمع عليه أنه ولد عام الفيل ، ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .

وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في الحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقرب بذنبا ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السمك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخالبه (١) ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخف عقلي ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السبيلي مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده د ص ، كان والطالع لعشرين درجة من الجدى . وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج في السماء ويؤنث ، وزنا بالعقرب أو زبانياها : قرناها . وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسمك الأعزل والرامح نجان نيران ، أوهما رجلا الاسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

(٢) كانت بزقاق المدك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أبي طالب . ويقول ابن الأثير : إن المصطفى وهبا له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حجل^(١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدؤلابي وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خيثمة ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بني النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً ، وأنشدوا رَجَزاً لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنَافٍ بَعْدِي بموتِ بَعْدِ أبيه قَرْدٍ
فارقهُ وهو ضَجِيعُ المهدِ

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشر عاماً .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد العزى أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاماً ، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة ،

== مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرق لمحكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجداً يصلي فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للحب الطبرى (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الأثبت أو عن ثلاثين ، قال الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمان عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلاءي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني
والدي إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بني سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث
ابن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :
ألا تسمع يا حارث^(١) ما يقول أبنتك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأناه ، فقال : أي بُنَيَّ مَالِك
ولقويك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونارٍ ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نعم أنا
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني بيدى ، فعرفنى ما قال ، لم يرسلنى إن شاء
الله حتى يدخلنى الجنة^(٢) .

(١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله
عليه وسلم قال لأعرأهله : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يغنى عنهم
من الله شيئاً . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول دس ، وهو طفل ، ودخوله
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخرمة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

تحقيق اسم ناصرة بن قصبة:

وذكرنا نصرَةَ بن قُصْبَةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصْبَةُ بالقاء تصغير : قَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصْبَةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : القَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيء :

وذكر الشيء أخت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاة ، وقال .

== وروى قباث بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قباث - خرق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى هرخ . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونعرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : « لاخلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمه قدمها الله لنبيه وبيته ، ولأفأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه إرهابا وتقدمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعلما للبيت الحرام ، ص ٢٢ ح ١ » زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابهما : أنه مات وهو حمل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل لإبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٤٥ الحشنى » . (١) في النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصبة بالقاء ، ويقول الحشنى ص ٤٥ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِدَامَة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَافَة بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عُمَرَ في كتاب النساء (١) .

(شرح ما في حديث الرضاع)

الرضعاء والمرضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المرضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ [مِنْ قَبْلُ]) القصص : ١٢ والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المرضيع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمعُ رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تَخَرَّجَ من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفالَ على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : اَلْتَمِسُوا لَهُ رَضِيعًا ، عَلِمًا بِأَنَّ الرضِيعَ لا بدَّ له من مُرْضِعٍ .

مرضعاته عليه السلام :

وأرضعته — عليه السلام — ثُوَيْبَةَ (٢) قبلَ حلِيمَةٍ . أرضعته

(١) في رواية : جدامة بضم الجيم أو جدامة وانظر ص ٥٤ . الحشنى .
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حلِيمَة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمة حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوئية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنها ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحدا منهم حيا . وثوئية كانت جارية لأبي لهب ، وسند ذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شاربنا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاختصار على ذكر الغداء دون العشاء (١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرا . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأنثى من الحمر ، ولا يقال أتان ، والقمر : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأنثى . وما تبض بقطرة معناها : لا تروشح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه ما يغذيه فعناه : ما يقنعه ولا يمنعه من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا متعته منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناه : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى بُعْذِبَ بِعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ وَذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُ حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عَذَبَتْهُ وَأَعَذَبَتْهُ : إذا قطعت عن الشرب ونحوه ، والعَذُوبُ : الرافعُ رأسه عن الماء ، وجمعه : عَذُوبٌ بِالضَّمِّ ، ولا يُعرف فَعُولٌ جُمِعَ على فَعُولٍ غيرُهُ : قاله أبو عُبَيْد (١) والذي فى الأصل أَصَحُّ فى المعنى والنقل .

من شرح حديث الرضاغة :

وذكر قولها : حتى أَذْمَتْ بِالرَّكْبِ . تريد : أَنَّهَا حَبَسَتْهُمْ ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقفُ ، ويروى : حتى أَذْمَتْ . أى : أَذْمَتْ الْأَتَانِ ، أى : جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم : بُرِّ ذَمَّةٌ ، أى : قليلةُ الماء ، وليست هذه عند أبى الوائِد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائلِ ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أَذَمَّ بِالرَّكْبِ : إذا أَبْطَأَ ، حتى حَبَسَتْهُمْ : من البُرِّ الذَّمَّةِ ، وهى القليلةُ الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عذب بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهرى بأبى عبيدة لأن فِعْولا - بفتح الميم - لا يكسر على فِعْول بضم الفاء .

(٢) عند أبى ذر النخشى : أَذَمْتُ : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أَذَمْتُ يرجع إلى الاتان ، وفى رواية : أَذَمْتُ بِالرَّكْبِ أى : أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاغة جاء بعد قول حليلة : فَأَمَّا إِذَا مَا بَلَغَ : فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يشرح منه الماء .

وذكر قولَ حليلةٍ : فلما وضعته في حِجْرِي أقبل عليه ندياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقبل إلا على نديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبنها ، وكان مَفْطُوراً على العدل ، يجبواً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضّاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها^(١) ، وكان عند بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حلیمه وسيطة في بني سعد ، كريمةً من كرائم قومها ، بدليل اختيارِ الله - تعالى - إياها لِرَضاع نبيّه - صلى الله عليه وسلم - كما اختار له أشرفَ البُطون والأصلاب . والرضاعُ كالنسب ؛ لأنه يُغيّر

= حريو أخضر راقد على قفاه يغط ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجهه ، المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوبة قد ورد في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي د منتخب السنة ، ص ٦٠ ج ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثديها ، أي : لا تكون ظئراً ، وإن أذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثديها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال د مجمع الأمثال للميداني ،

الطباع . في المسندِ عن عائشة -رضي الله عنها - ترفعه : « لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَ ؛ فَإِنَّ اللَّبَنَ يُورَثُ » ويحتمل أن تكونَ حليمةُ ونساء قومها طالبين الرُّضْعَاءِ اضطراراً للأزمة التي أصابتهم ، والسَّنة الشَّهْبَاءُ التي اقْتَحَمَهُمْ .

لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دَفْعُ قريشٍ وغيرهم من أشرافِ العربِ أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوهٍ . أحدها : تفرِغُ النساءِ إلى الأزواجِ ، كما قال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لَأُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزَعَ من حِجْرِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ ، فقال : « دَعِيَ هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ (١) الَّتِي آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لِنِشْأِ الطِّفْلِ فِي الْأَعْرَابِ ، فيكون أفصحَ لِسَانِهِ ، وَأَجْلَدَ لِجْسِمِهِ ، وأجدرَ أن لا يفارقَ الهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ (٢) كما قال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا (٣) وَاخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حَازِمٍ] . وقد قال - عليه السلام - لأبي بكرٍ - رضي الله عنه - حين قال له : مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : وَمَا مَعْنَى ، وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَرْضِيَتْ فِي بَنِي سَعْدِ ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوقة اتباعاً لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشعر .

أى : تصابوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعرزوا : تعزز لجه : اشتد وصلب ، وتمعرز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضْعَاءُ إِلَى الْمَرَضِعِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مروان كان يقول : أَضْرَّ بِنَا حُبُّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحَانًا ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ فَصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَسَادَّبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ حَضَرٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَدْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ ^(١) .

شبه الصدر :

وذكر قول أخيه من الرضاعة : نَزَلَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَبْيَضَانِ ، فَشَقَّاعِنِ بَطْنُهُ ، وَهَمَا يَسُوطَانُهُ ، يُقَالُ : سَطَّتْ اللَّبَنُ أَوِ الدَّمَ ، أَوْ غَيْرَهُمَا ، أَسُوطُهُ : إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ . وَالْمِسْوَطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وفى رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نَزَلَ عَلَيْهِ كُرَيْكِيَّانِ ^(٢) ، فَشَقَّ أَحَدُهُمَا بِمَنْقَارِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بِمَنْقَارِهِ فِيهِ نَلَجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهِيَ رَوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقٍ حَدِيثَ نَزُولِ الْمَلَائِكِينَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إِلَى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سبق الحديث عن قریش البطاح وقریش الظواهر .

(٢) الكرکی : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتز الذنب . ومج الماء : لفظه .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استيقنت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا يبطحاء مَكَّة ، فوقع أحدهما بالأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو : قال : فزِنهُ برجلٍ ، فوزَنَنِي برجلٍ ، فَرَجَحْتُهُ ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزَنَنِي فَرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزَنَنِي ، فَرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزَنَنِي فَرَجَحْتُهُمْ ، حتى جَعَلُوا يَتَنَاقَلُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شقُّ بطنه ، فسق بطني ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَطَرَحَهُمَا ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغْسِلْ بطنه غَسْلَ الْأَنْاءِ ، واغْسِلْ قلبه غَسْلَ الْمَلَأِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه ، نَخَاطَ بَطْنِي ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيْ كَمَا هُوَ الْآنَ ، وولَّيَا عَنِّي ، فكَأَنِّي أَعَايِنُ الْأُمَرَ مَعَايِنَةً » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِي التَّمَسَّ فِيهِ هُوَ الَّذِي يَغْمِزُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُلِّ مَوْلُودٍ إِلَّا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ^(١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّة : « وَاِئِنِّي

(١) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم والترمذي : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيسهل صارخا من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإِنِّي أَعْبِدُهَا بِكَ وَذُرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتي أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بدنة ، وفي أحاديث خاتم النبوة »

أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرَّيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ فَأَعِيذُهُ مِنْ مَعْنَزٍ ، وإنما خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد بُرِئَ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَزِ ، ومُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وإِيمَانًا ، بعد أن غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالنَّجْجِ وَالْبَرْدِ ، وإنما كان ذلك الْمَعْنَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لِلْمَنِيِّ ، والشهواتُ يُحْضِرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لا سِيمَا شَهْوَةٌ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فكان ذلك الْمَعْنَزُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِّ ، لا إِلَى الْإِبْنِ الْمُطَهَّرِ - صلى الله عليه وسلم - عليه .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهى مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ ، وذلك أَنَّ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ لم يَدْرِهِلْ خُلُقُهُ ، أم وُضِعَ فِيهِ بَعْدَ مَا وُلِدَ ، أو حِينَ نُبِّيَّ ، فَيَبِينُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُتَى وُضِعَ ، وكيف وُضِعَ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ، زَادَنَا اللَّهُ عِلْمًا ، وَأَوْزَعَنَا شُكْرَ مَا عَلَّمَ ، وفيه الْبَيَانُ لِمَا سَأَلَ عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين قال : كيف عِلِمَتْ أَنْكَ (١)

==مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أن في ألفاظ بعض أحاديث الشق ما يوحي بأنه أحداث منام ، لا أحداث واقع ، أما الإسراء فيقظة بنص القرآن وسيأتي (١) كل حديث يزعم فيه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف أنه نبي هو حديث كذب ، لا يعتد به ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي أنه نبي . هذا وعن خاتم النبوة ورد في حديث - رواه الشيخان والترمذى عن السائب بن يزيد : « فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة ، الزر : البيضة وعن جابر في مسلم : « رأيت خاتما في ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه بيضة حمام » وفي مسلم والترمذى : « كان خاتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة » وعن عبد الله بن مسعود : « نظرت إلى خاتم النبوة بين -

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وثما من بعض النقلة ، وهو قوله : بينما أنا ببطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو في بني سعد مع حليلة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

= كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال النأيل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . مُجْمَعاً : أى كصورة الكنف بعد جمع الأصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهي الغدة الصغيرة . النأيل : جمع : ثولول حبيبات تعلو الجسد ، وفي مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أخطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى في تاريخه والبيهقى أنه : لحة ناتئة ، وفي جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالنفاحة ، وعند ابن حبان . وفي تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندة . وعند الترمذى : كبسعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركة عزز على طرف كتفه اليسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو في حجم الحمام ، أحمر المنتقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالفقة . لها أزرار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهرى في التهذيب : بيت كالفقة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفيه اليسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفي الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علامات النبوة التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مَدِينَةُ السَّكِينَةِ :

وذكر فيه أنه قال : وَأُوتِيَتْ بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا رَهْرَهَةٌ ، فَوُضِعَتْ
فِي صَدْرِي . قال : وَلَا أَعْلَمُ لِعُرْوَةَ سَمَاعٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ . وذكر من طريق آخر عن
أبي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَزَنْتُ
بِأَرْبَعِينَ ، أَنْتَ فِيهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ » وَالرَّهْرَهَةُ : بَصِصُ الْبَشْرَةِ ، فَهَذَا بَيَانُ
وَضْعِ الْخَاتَمِ مَتَى وَضَعَهُ .

مَسْأَلَةُ سَيِّدِ الصَّرِّ مَرَّةً أُخْرَى :

وَأَمَّا مَتَى وَجَبَتْ لَهُ النَّبُوءَةُ ، فَرَوَى عَنْ مَيْسِرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : مَتَى وَجَبَتْ
لَكَ النَّبُوءَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَيُرْوَى : وَأَدُمُ
مُجْتَدِلٌ فِي طِينَتِهِ (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قَدَرٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عِنْدَهُ مَقَادِيرَ السَّكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا ،
وَلَا قَالَ نَبِيٌّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ الْأُولَى أَنَّهُ نَبِيٌّ .
أَوْ أَنَّ النَّبُوءَةَ سَتَاتِيهِ . وَلَا مَا رَجَعَ فِي ارْتِجَافِهِ الشَّدِيدِ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
يَحْدِثُهَا أَنَّهُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ . وَفِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ : وَإِنِّي لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
النَّبِيِّينَ . وَحَدِيثُ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
يَقُولُ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ
ذَلِكَ : إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةَ عِيسَى ، وَرَوَّيَا أُمِّي الَّتِي رَأَيْتُ ، وَكَذَلِكَ
أُمَمَاتُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ
نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ ، أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ
عِنْدَ أَحْمَدَ نَحْوَهُ ، وَنَصَهُ عَنْ لِقَةِ بَنِي عَامِرٍ سَمِعَتْ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ —

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه شُقَّ عن قلبه ، وهو مع رابته ومُرُضته في بني سعد ، وأنه جرى بطشت من ذهب ، فيه ثلج ففصل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أُنِي بطشت من ذهب ممتلئة حكمة وإيماناً ، فأفرغ في قلبه . وذكر بعض من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليب بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين .

الأولى : في حال الطفولية لِيَتَقَيَّ قَلْبُهُ مِنْ مَغْزَمِ الشَّيْطَانِ ، وَلِيُطَهَّرَ وَيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حَتَّى لَا يَتَكَلَّبَسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابِ عَلَى الرِّجَالِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : فَوَلِيًّا عَنِّي ، يَعْنِي : الْمَلَائِكِينَ ، وَكَأَنِّي أَعَيْنُ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً .

والثانية : في حال الكهال ، وبعد ما نُبِّيَ ، وعندما أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا مُقَدَّسٌ ، وَعُرِجَ بِهِ هُنَاكَ

== ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لَتُقَرَّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ، وَلْيُصَلِّيْ بِلَا تُسَكَّةِ السَّمَوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطَّهُّورُ ،
فَقُدَّسَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ، وَغُسِّلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ .

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالنَّجَاحِ لِإِبْشِيرِ الثَّلْجِ مِنْ ثَمَاجِ الْيَقِينِ وَبَرَدِهِ عَلَى الْفَوَادِ ،
وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَةِ رَبِّهِ .

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنْتَبِئًا ، فَإِنَّمَا طَهَّرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ
مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَغَسَلَهُ رُوحُ
الْقُدُّوسِ بِمَاءِ زَمْزَمَ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقْبِهِ (١) لِأَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجَاءَ بِطَسْتٍ مُنْتَلَى حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأُفْرِغَ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤
وَقَالَ : ﴿ لِيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ
الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْإِيمَانُ عُرْضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يوصَفُ
بِهَا إِلَّا تَحَلُّهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةٍ
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عَبَّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ ، كَمَا عَبَّرَ عَنِ اللَّبَنِ الَّذِي
شَرِبَهُ ، وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ ثَلَجًا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي

(١) هَزَمَ الْبُتْرُ : حَفَرَهَا ، وَالْهَمْزَةُ : النَّقْرَةُ ، هَذَا وَسَيَأْتِي بَيَانُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
مَفْرُوضَةً قَبْلَ الْإِسْرَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . هَذَا وَقَوْلُهُ : كَأَنِّي
أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً يُؤَكِّدُ أَنَّهُ رُؤْيَا مَنْمَانِيَةً .

الحديث الأول - فمبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده تَلَجًا ، حتى عَرَفَ تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نَبِيئًا ، فلما رأى طست الذهب مملوءا تَلَجًا علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيمانا ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهب في الحالتين جميعا مناسباً للمعنى الذي قصد به . فإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فطابق للإذهاب ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يُذهبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَهُ تطهيراً ، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه ، يقال في المثل : أنقى من الذهب . وقالت بَريرة في عائشة - رضى الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر . وقال حذيفة في صلاة بن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد : إنه لرجل من ذهب ، يريدون : النقاء من الميوس ، فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام تَمَلُّهُ ورُسُوبُهُ ، فإنه يُجْعَلُ في الزَّيْبِقِ الذي هو أثقل الأشياء ، فيرسب ، والله تعالى يقول : (إِنَّا سُنْقِلِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) المزمل : ٥٠ . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازين الموحقين يوم القيامة ، لا تبعاهم الحق ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق .

أن يكون ثَقِيلاً ، وقال في أهل الباطل بعكس هذا . وقد روى : أنه أنزل عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَثَقُلَ عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض ، فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة . ومن أوصاف الذهب أيضاً أنه لا تأكله النار ، وكذلك القرآن : لا تأكل النار يوم القيامة قلباً وعاء ، ولا بدناً عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآن في إهاب ، ثم طرح في النار ما احترق ^(١) » . ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحي : أن الأرض لا تُبَايِه ، وأن الثرى لا يَذْرِبُه ، وكذلك القرآن لا يَخْلُقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ ، ولا يُسْتَطَاعُ تغييرُه ولا تبدُّلُه ، ومن أوصافه أيضاً : فاسته وعِزَّتُه عند الناس ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزيزٌ ، قال سبحانه : (وإِنَّ آيَاتِنا لَهُ عَزِيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره ، فإنه زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزِينَتُها ، وقد فُتِحَ بالقرآنِ والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأُمته خَزَائِنُ المُلُوكِ ، وتَصَيَّرَ إلى أيديهم ذَهَبُها وَفَضَّتُها ، وَجَمِيعُ زُخْرُفِها وزِينَتِها ، ثم وَعَدُوا باتباع القرآن والوحي قُصُورَ الذَّهَبِ والفضة في الجنة . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، آيَتُهُما وَمَافِيهُما مِنْ ذَهَبٍ ^(٢) » وفي التنزيل : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِضُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : ٧١ (وَيُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

() رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أباداود : « جنتان من فضة آيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آيتهما ومافيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن . »

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يشعر بإذهاب الرّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة^(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطّستِ وحروفِ اسمِهِ حكمة تنظر إلى قوله تعالى :

(طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابِ مبین^(٢)) النمل : ١٠ وما يسئل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بغسل قلبه فى الطست ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، فى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطّستُ التى غُسلت فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى^(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطّست حيثُ جُمِلَ محلاً للإيمان والحكمة جوازَ تخلية المصحف بالذهب ، وهو فقه حسن^(٤) ، فى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبيّ .

(١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .

(٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طاسين » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سَكينة من ربكم ، وبقيّة مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة » البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرهما عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه لإدعاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالمعجب العجائب من الأساطير . فقال : السكينة : رأس هرة ميتة .

(٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

الحكمة في ختم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، ختم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وضعه عند نُفْضِ^(١) كتفه ، فلأنه معصومٌ من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم . روى مَيَمُون بن مهران عن عُمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه أن يُريَه موضعَ الشيطان منه^(٢) ، فأرى جَسَدَ أُمِّهِ^(٣) يرى داخله من خارجه ، والشيطان في صورة ضفدع عند نُفْضِ كتفه^(٤) جذاء قلبه ، له خرطوم ، كخرطوم البعوضة ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس ، فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خنس^(٥) .

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضبطها في اللسان وفي معجم ابن فارس وفي النهاية هكذا ، وضبطها الزرقاني بضم الميم الأولى وسكون الثانية ، وتخفيف الهاء اسم مفعول من : أمها ، أى مصفًى ، وفي النهاية : أنه رأى ذلك منا ما ، قال : والمها : البلور . وكل شيء صفًى ، فهو مهي تشبهاً به . زاد في الفائق : ومقلوب من موه ، وهو مُفَعَّلٌ من أصل الماء . أى يجعل ماء ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه ، .

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلاً عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُسَهًى ، . وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ .

رد عليه النبي « ص » :

فصل : وكان ردُّ حليمةَ إِيَّاهُ إلى أمِّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر ،
فيما ذكر أبو عمر^(١) ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداها بعد تزويجه خديجة
- رضى الله عنها - جاءتته تشكو إليه السنَّة ، وأن قومها قد أسنَّوا^(٢)
فكلمها خديجة ، فأعطتها عشرينَ رأساً من غنمٍ وبَكَرَاتٍ ، والمرة الثانية : يوم
حُنين^(٣) وسيأتي ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذي رآته أمته :

فصل : وذكر النورَ الذي رآته أمته ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافةَ فيها
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرها بنوره - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك رأى خالدُ بنُ سعيد بن العاصي قبل المبعثِ يسيرُ نوراً يخرج من
زَمْزَمَ ، حتى ظهرت له البُسرُ^(٤) في نخيلٍ يَثْرِبُ ، فقَصَّها على أخيه عمرو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفي الأصل : عمرو وهو خطأ . وفي المواهب
نقلاً عن ابن عبد البر أنها ردت بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها
ردته في السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقي وابن
حجر أنها ردت في الرابعة ص ١٥٠ ج ١ المواهب .

(٢) أسنَّوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الاموى .

(٤) البسر أوله : طنلج ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحتين ، ثم بُسر ،

ثم : رُطب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْعَنَمَ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرَبُكُمْ ، أنا قرشيٌّ ، واسترضيت في بني سعد بن بكر » . [حديث ضعيف]

قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتصته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِّمت بحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّنِي ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يؤمِّدُه ويدعوله ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما حاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نقرأ من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَأْخُذَنَّ هَذَا الْغُلَامَ ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنْ هَذَا غُلَامٌ كَأَنَّ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكذب تنفلت به منهم .

فقال له : إنها حَفِيرَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع أمه آمنة بنت وهب ، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كَلَاءَةِ الله وحِفْظِهِ ، يُنْبِئُهُ الله نبأنا حسناً ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ستّ سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — آمنة تُوَفِّيت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم — ابن ستّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بني عديّ بن النَجَّار ، تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فماتت ، وهي راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلَمَى بنت عمرو النجارية فهذه الخُثُولَةُ التي ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيهم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظِلِّ الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليهم ، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيهِ إجلالاً له ، قال : فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتي ، وهو غلام جَنَرٌ ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لساناً ، ثم يجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

رعيه الغنم :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَد رَعَى الْغَنَمَ . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » . وإنما أراد ابنُ إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعدٍ مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة . ذكره البخاري ، وذكر البخاري عنه أيضاً أنه قال : ما هَمَمْتُ بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين ، وروى أن إحدى المرتين كان في غنم يرعاها هو وغلامٌ من قُرَيْشٍ ، فقال لصاحبه : اكْفِنِي أمر الغنم حتى آتَى مكة ، وكان بهاء عرسٍ فيها لهُوَ وزمْرته . فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ، أُلْقِيَ عليه النوم ، فنام حتى ضربته الشمس عَصَمَةً من الله له . وفي المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك ، وأُلْقِيَ عليه النوم فيها ، كما أُلْقِيَ في المرة الأولى . ذكر هذا المعنى ابنُ إسحاق في غير رواية البُكَائِيِّ . وفي غريب الحديث لِلْقَتَنِجِيِّ : « بُعِثَ موسى - صلى الله عليه وسلم - وهو راعي غنم ، وبُعِثَ داودُ - صلى الله عليه وسلم - وهو راعي غنم ، وبُعِثْتُ ، وأنا راعي غنم أهلي بأجباد^(١) » . وإنما جعل الله هذا في الأنبياء

(١) جبل بمكة ، وهما أجبادان كبير وصغير ، وهما مغلطان بمكة . وقيل فيه : جباد بنير ألف . وقد سبق .

تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رَعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلْبِيبٍ (١) وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ (٢) . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَزَعَزَعَا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا (٣) يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَّةً (٤) فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ كُرِيَ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ كَبَعْدَتِ الرُّؤْيَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرَّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فِي كِفَايَةِ الْعَمَلِ :

فصل : وَذَكَرَ كَوْنُ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْتَلُوهُ .

(١) الْقَلْبِيبُ : الْبُشْرُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا يَذْكُرُ وَيُؤْنَتُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْبُشْرُ الْعَادِيَّةُ الْقَدِيمَةُ . وَنَزَعَ الدَّلْوُ : اسْتَقَى بِهَا .

(٢) الْعُفْرُ : جَمْعُ عُفْرَاءَ ، مَا يَبْلُو بَيَاضَهَا حُمْرَةً ، أَوِ الْبَيْضَاءُ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ الْبَيَاضِ ، أَوِ الَّتِي فِي سِرَاتِهَا حُمْرَةٌ ، وَخَاصَرَتِهَا بَيْضَاءُ . وَالْأَسْرَاءُ : أَعْلَى الظَّهْرِ وَالْوَسْطِ (٣) السَّدَلُو الْعَظِيمَةَ .

(٤) يَعْمَلُ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ ، وَيَقْطَعُ قِطْعَهُ . وَفَرِيَّةً تَقَالُ : بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ أَيْضًا ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ ذِكْرِ الْغَنَمِ . وَحَدِيثُ : أَنَا أَعْرَبُكُمْ رِوَاةُ ابْنِ سَعْدٍ وَالطَّبْرَانِيِّ ، وَفِي رِوَايَتِهِ مَبْشَرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ : ضَعِيفٌ .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِمَّا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحُمُهُ ، وَلَا أُمَّ تَرَأُّهُ (١) لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَعْفًا ، وَعَيْشُهُمْ شَقًّا (٢) ، فَكَانَ يَوْضَعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ، فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاعِرُوهُ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءً وَنَزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُمَصًا رُمَصًا ، مُضْمَرَةً أَلْوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ ، أُلْفًا مِنَ اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْمُتَقَبِّحِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنة وزيارته لهما :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والكلافة هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما في الروض .
(٢) الضعف : كثرة العيال . والشطف والشظاف : الضيق والشدة ، ويبس العيش وشدة .

(٣) الرمص - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جدد فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء .
(٤) صقيل : يجلو . دهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .
وفي حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد غيرها ، فندر عليه ، فسميت المرأة التي توضع ولد غيرها ظئرا . والجفر : الغليظ الشديد . منتقع : متغير . الحافل : المملوء الضرع . اربعى علينا : أقيمى وانتظري . والعجف : الهزال . عن الحشنى ص ٥٦ ،

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوٍّ ، وهو جلد الخولر^(١) المَحْشُوُّ بالتبن وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتَبَوُّءِ الشُّيُولِ فيه ، وكذلك ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفي الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمه بالأبواء في ألف مُمَنَعٍ ، فبكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح^(٢) ، وفي الصحيح أيضاً أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته أن أستغفر لها ، فلم يأذن لي^(٣) . وفي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ من حديث بُرَيْدَةَ أنه — صلى الله عليه وسلم — حين أراد أن يستغفر لأمه ، ضرب جبريل عليه السلام في صدره ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكًا ، فرجع وهو حزين .

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُسْكَائِهِ ، فقال : ذكرت خَفَعَهَا وشدة عذاب الله ، إن كان صَحَّ هذا .

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المِصْبَحِ : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع والفرع : قرية من نواحي الرَبْذَةِ عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : جَبَلٌ عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحمد وفيه : « ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر ابن الخطاب ، وفداه بالأب والام ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيناى رحمة لها من النار ، » .

(٣) مسلم وابن ماجه .

وفي حديث آخر ما يَصَحُّهُ ، وهو أن رجلا قال له : يا رسول الله : أين أبي ؟ فقال : في النار ، فلما وَلَّى الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك في النار ^(١) ، وليس لنا أن نقول نحن هذا ^(٢) في أبيه — صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياء بِسَبِّ الأمواتِ ، والله عزَّ وَجَلَّ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي . أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مسند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته لها في دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده — عليه الصلاة والسلام — بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدح في نسبه — عليه الصلاة والسلام — لأن أنسكة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلبون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتن إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير : وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا — في تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ٢٨٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، والسكم ما كسبت ولا يُسألون عما كانوا يعملون) البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ فحينئذ قال ذلك ، وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار (١) ، ورؤي حديث غريب لعله أن يصح . وجدته بخط جدّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى [عبد الرحمن ابن] أبي الزناد عن [هشام بن] عروة ، عن [أبيه عن] عائشة - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيّه عليه السلام أهل أن يخصّه بما شاء من فضله ، ويُنعم عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب : الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حجّ بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو بالك حزين مُقَمَّم ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا حُجَيْراء استمسكي ، فاستندتُ إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلاً مَلِيّاً ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فَرِحٌ مُتَبَدِّمٌ ، فقلت له : بآبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبخاري والطبراني في الكبير وفيه عن الأب : إنه في النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد القيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مُقْتَمٌ . فبكيت لبكائك .
ثم عدت إلى ، وأنت فَرِحَ مَبْتَسِمٌ ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر
أمنة أمى ، فسألت أن يحياها ، فأحياها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير فى البداية عن حديث ابن أبى الزناد : منكر جداً . وقال فى التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي فى كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة فى حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي فى الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيا له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : وهذا الحديث موضوع يردده القرآن والإجماع . قال تعالى : « ولا الذين يموتون ، وهم كفار » وقال : دُفِيت وهو كافر ، فن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ > ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقى ومغلطاي ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق ، وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام ، وينسب إلى حكاية مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سَعِيد بن المُسَيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعَرَفَ أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تَقُلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سَعِيد بن المسيب ، كتبناه :

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَرِقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَلِيلٍ	عَلَى رَجُلٍ بَقَارَعَةَ الصَّامِدِ
فَقَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	عَلَى خَدَى كُمُحَدَّرِ الْفَرِيدِ
عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغْلٍ	لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ
عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي	أَبِيكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ	وَلَا شَخْتَ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي	مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فَضُولِ	وَعَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخَرُودِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بَذِي وَصُومِ	يَرْوُقُ عَلَى الْمُسَوِّدِ وَالْمَسُودِ
عَظِيمِ الْحَلِيمِ مَنْ تَفَرَّ كِرَامِ	خَضَارِمَةٍ مَلَاوِنَةٍ أَسُودِ
فَلَوْ خَلَدَ أَمْرُؤُ الْقَدِيمِ مَجْدِ	وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُحَدِّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي	لِفَضْلِ الْجَدِّ وَالْحَسْبِ التَّلِيدِ

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكي أبها :

أَعْيَنِي جُودًا بَدَمَعِ دِرَرٍ	على طَيِّبِ الْخِيَمِ وَالْمُعْتَصِرِ
على ماجد الجدة وارى الزناد	جميل الحياء عَظِيمِ الْخَطَرِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ	وذى الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُنْتَخِرِ
وذى الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ	كثير الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
له فَضْلٌ مَجْدٌ عَلَى قَوْمِهِ	مُنِيرٌ ، يُلَوِّحُ كَضَوْءِ الْقَمَرِ
أَتْنَهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِ	بَصْرِفِ الْإِيَالَى ، وَرَيْبِ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أبها :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا	بَدَمَعِكَا بَعْدَ نَوْمِ الْيَامِ
أَعْيَنِيَّ وَاسْتَحْفِرَا وَاسْكُبَا	وَشُوبَا بَكَاءِكَا بِالْتِمَامِ
أَعْيَنِيَّ ، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا	على رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كَهَامِ
على الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ	كَرِيمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الدِّمَامِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزِّنَادِ	وذى مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبَّتِ الْمَقَامِ
وَسَيِّفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمُصَامَةٍ	وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ
وَسَهْلٍ الْخَلِيقَةِ طَلَقَ الْيَدَيْنِ	وَفِي عُدْمِ الْمِلَى صَمِيمِ لُهَاِمِ
تَبَنَّاكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ	رَفِيعُ الدَّوَابَةِ صَعْبُ الْعَرَامِ

وقالت أم حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَهَا :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي وَبَكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْمِعْنِي بِدُمُوعِ هَاطَلَاتِ
وَبَكْيِ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفَرَاتِ
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا أَلْعَالِي كَرِيمَ الْخَلِيمِ تَحْمُودَ الْهَبَاتِ
وَصُؤْلًا لِلْقَرَابَةِ هِزْزِيًّا وَغَيْثًا فِي السِّنِّينِ الْمُتَحِلَاتِ
وَلَيْثًا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنَى كِنَانَةَ وَالْمُرَجَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ
وَمَفْزَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بِدَاهِيَةٍ ، وَخَضَمَ الْمُفْضَلَاتِ
فَبَسْكِهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكْيٍ ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِيَاتِ

وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَلَا هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو النَّدَى وَسَاقِي الْحَجِيجِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيَوْتَهُ إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْجَلُّ بِالرَّعْدِ
كَدَبْتُ وَابْدَأُ خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَسِكْ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ ، خَلَّى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدَنَّ ، فَسَكَلْ حَى إِلَى بَعْدِ
فَإِنِّي لَبَاكَ — مَا بَقِيَتْ — وَمَوْجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لَمَّا كَانَ مِنْ وَجْدِي
سَقَاكَ وَلِيَّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمِطْرًا فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحَدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنًا لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيدًا حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وَقَالَتْ أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَمَحٍ ، سَجِيئُهُ الْحَيَاءُ

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتُهُ الْعَلَامِ
 عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي أَيْمِكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
 طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ ، شَيْطَمِيَّ أَغْرَ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
 أَقْبَ الْكَشْحِ ، أَرْوَعَ ذِي فَضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمَقْدَمُ وَالسَّنَاءُ
 أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرَزِي قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
 وَمَعْقِلِ مَالِكٍ ، وَرَبِيعِ فِهْرِ وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمَسَّ الْقَضَاءُ
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبَاسًا حِينَ تَنْسَكِبُ الدَّمَاءُ
 إِذَا هَابَ الْكُمَاءُ الْمَوْتَ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ
 مَضَى قَدْ مَابَذَى رُبْدَ خَشِيبٍ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَرَزَعَمَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ أَشَارَ بِرَأْسِهِ ، وَقَدْ
 أَضْمَتَ : أَنْ هَكَذَا فَا بَكِينِي .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزَنَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ
 ابْنُ نَحْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حَذِيفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ
 يَبْكِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَفَضْلَ قُصَى عَلَى
 قُرَيْشٍ ، وَفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ بِغُرْمٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ
 بِمَكَّةَ ، فَوَقَفَ بِهَا فَرَّزَ بِهِ أَبُو هَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَافْتَكَّهَ :

أَعْنِيَّ جُودًا بِالْأُمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِيئِمَا سَبَلَ الْفَطْرِ

وجُوداً دَمِيعاً، واسْفَحَا كُلَّ شَارِقٍ
 وَسُحْحًا، وَجُحًا، واسْجُمَا مَا بَقِيَتَا
 عَلَى رَجُلٍ جَلَدَ الْقَوَى، ذِي حَفِيظَةٍ
 عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَاللَّهِى
 عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعْدٍ وَنَاعِلٍ
 وَخَيْرِهِمْ أَصْلًا وَفِرْعَا وَمَعْدَا
 وَأَوَّلَاهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنَّهَى
 عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهَهُ
 وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخُبَزِ هَاشِمِ
 طَوَى زَمَنَ مَا عِنْدَ الْمَقَامِ، فَأَصْبَحَتْ
 لِيَبْكِكَ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ
 بَنُوهُ سَرَآةً، كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ
 قُصَى الَّذِي عَادَى كِنَانَةَ كُلِّهَا
 فَإِنْ تَكُ غَالَتُهُ الْأَمْنَايَا وَصَرُّفُهَا
 وَأَبْقَى رِجَالًا سَادَةً غَيْرَ عُزَلٍ
 أَبُو عُتْبَةَ الْمُتَقَى إِلَى حِبَاءِهِ
 وَحَزْرَةَ مِثْلِ الْبَدْرِ، يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
 وَعَبْدُ مَنْافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيظَةٍ
 كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ، وَنَسْلُهُمْ

بُكَاءُ امْرِئٍ لَمْ يَشُوهُ نَائِبُ الدَّهْرِ
 عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَذِي سِتْرِ
 جَمِيلِ الْمُحْيَا غَيْرِ نِكْسٍ وَلَا هَذَرٍ
 رَبِيعِ لُؤَى فِي الْمُخُوطِ وَفِي الْعُسْرِ
 كَرِيمِ الْمَسَاعِي، طَيْبِ الْخَلِيمِ وَالنَّجَرِ
 وَأَحْظَاهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالذِّكْرِ
 وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجَنِّحَاتِ مِنَ الْغُبَرِ
 يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
 وَعَبْدُ مَنْافٍ، ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفَهْرِيُّ
 سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرٍ
 وَآلُ قُصَى مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفْرِ
 تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الْقَصْرِ
 وَرَابِطَ بَيْتِ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 فَقَدْ عَاشَ مَيِّمُونَ النَّقِيْبَةِ وَالْأَمْرِ
 مَصَالِيَتٍ، أَمْثَالُ الرُّدْبِيَّةِ الشُّمْرِ
 أَغَرَّ، هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرِ غُرٍّ
 نَقَى الثِّيَابِ وَالذَّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ
 وَصُولُ لُذَى الْقُرْبَى رَحِيمُ بَذَى الصُّهْرِ
 كَنْسَلُ الْمُلُوكِ، لَا تَبُورُ وَلَا تَحْزِرُ

متى ما تلاقى منهم الدهر نائثا
 ثم ملثوا البطحاء نجدا وعزة
 وفيهم بناء للعلماء ، وعارة
 بإنسكاح عوف بنته ، ليجيرنا
 فيرنايتها مي البلاد ونجدها
 ومهم حضروا والناس باد فريتهم
 بنوها ديارا جعة ، وطووا بها
 لكي يشرب الحجاج منها ، وغيرهم
 ثلاثة أيام تظل ركابهم
 وقدما غينا قبل ذلك حقة
 ومهم يغفرون الذنب ينقم دونه
 ومهم جمعا حلف الأحابيش كلها
 فخارج ، إنا أهلسكن ، فلا نزل
 ولا تنس ما أسدى ابن لثني ؛ فإنه
 وأنت ابن لثني من قصي إذا انتموا
 وأنت تناولت العلماء ، فجعتها
 سبقت ، وقت القوم بدلا ونائلا
 وأمك سيرة من خزاغة جوهر
 إلى سبأ الأبطال نمنى ، وتنتى

تحذه بإجربا أوائله يجرى
 إذا السدي الخيرات في سالف المضر
 وعبد مناف جدكم ، جابر الكسندر
 من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
 بأمنه حتى خاضت العير في البحر
 وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
 بثارا نسح الماء من ثبج البحر
 إذا ابتدروها صبح نابعة النحر
 مخيصة بين الأخاشب والحجر
 ولا نستقي إلا بحم أو الحفر
 ويمنون عن قول السفاهة والأهجر
 ومهم نكلوا عنا غواة بني بكر
 لهم شاكرأ حتى تغيب في القبر
 قد أسدى بدأ تحقوقة منك بالشكر
 بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
 إلى محمدي للجد ذي ثبج جسر
 وسدت وليدا كل ذي سودد غمر
 إذا حصل الأنساب يوما ذروا الخبر
 فأكرم بها منسوبة في ذرا الزهر

أَبُو شَمِيرٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبْرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنُّصْرِ

قال ابن هشام : « أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خِزَاةٍ » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لُبَيْبَةُ
بنت هاجر الخُزَاعِي . وقوله : « بِأَجْرِيَا أَوَائِلُهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخُزَاعِيُّ يَبْنِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ
وَبَنَى عَبْدَ مَنْفٍ :

بِأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفٍ
هَبَّتْكَ أُمُّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارَهُمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
الْمُنْعَمِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
إِنَّمَا هَلَكْتَ أَبَا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مَثَلِكِ عَقْدَ ذَاتِ نَطَافِ
إِلَّا أَيْبُكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ وَالْفَيْضِ مُطْلَبِ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ وَلِيَ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ
عليهما بعده الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مِنْ أَهْلِ إِخْوَتِهِ سِنًا ، فَلَمْ
تَزَلْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ . فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلَايَتِهِ ، فَهِيَ إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ ، بَوْلَايَةُ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا ، إِلَى
الْيَوْمِ .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمّه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى به عمّه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمّ أشهُمَا : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن بَقَظَة بن مُرّة] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لُهَب - قال ابن هشام : وَلِهَب : من أزد شُفُوّة - كان عاتقا ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بفِلمَانِهِمْ ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىّ به ، فلمّا رأى أبو طالب حرّصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيَلَكُم ! رُدُّوا علىّ الغلام الذى رأيت أنّى ، فوالله ليَكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

وفاة عبد المطلب

قول صفيه :

ففاضت عند ذلك دُموعي على خدي كمنحدر الفريد

يروى : منحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال
فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد ،
وعلى رواية الفتح شبهت الفيض بالأحداق .

وقولها : أليك الخير . أرادت : الخير خففت ، كما يقال : هينٌ وهينٌ ، وفي
التنزيل : (خَيْرَاتٌ حَسَنٌ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسم أم الدرداء : خيرة بنت أبي
حدر (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسن البصرى ، اسمها : خيرة ، فهذا من
المخفف ، ويجوز أن يكون الخَيْرُ هُنا هو ضد الشر ، جعلته كله خيراً على المبالغة
كما تقول : ما زيدٌ إلاَّ عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إلاَّ سِرٌّ ، وهو تجاز حسنٌ ،
فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يُجمع ولا يُؤنَّثُ ، فيقال : خيرة .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجاً لأبي الدرداء . وكانت له زوجتان كل
واحدة منهما كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ،
والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح ، أما الكبرى فليس لنا فى الصحيحين
حديث ، وهى خيرة بنت أبي حدر ، واسمها : سلامة بن عمر ، وهى أسلية
وفى القاموس : أبو الحدر الدرداء الأسلى : صحابى ، ولم يحمى فمعتلج بتكرير العين
غيره . والحدر : القصير .

وقولها: ولا شَخْتُ المقام ولا سَنَيْدُ: الشَخْتُ: [الدقيق الضامِرُ لا هُزْلاً] ضدُّ الضَّخْمِ، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهره. والسَّيْدُ: الضَّعِيفُ الذي لا يَسْتَقِيلُ بنفسه، حتى يَسْنُدَ رأيه إلى غيره.

وقولها: خَضَارِمَةٌ مَلَاوِنَةٌ. ملاوئته: جَمْعُ مِلَوَاتٍ (١) من اللَّوْنَةِ، وهي القوة، كما قال المُكْتَبَرُ:

عند الحَفِظَةِ إِنِّ ذُو لَوْنَةٍ لَنَا

وقد قيل: إِن اسمَ الليثِ منه أُخِذَ، إِلَّا أَنَّ وَاوَهُ انْقَلَبَتْ ياء؛ لأنه فَعِيلٌ، فخُفَّفَ كما تقدم: فِي هَيْنٍ وَهَيْنٍ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ.

وقول بَرَّةَ:

أنته الناياء فلم تُشَوِّه

أى: لم تُصِبِ الشَّوْى (٢)، بل أَصَابَتِ المَقْتَلَ، وقد تقدم في حديث عبد المطلب وضربه بالقِدَاحِ على عبد الله، وكان يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا خَرَجَ على غيره أَنَّهُ قد أَشْوَى، أى: قد أخطأ مَقْتَلَهُ، أى: مَقْتَلَ عبد المطلب وابنه،

(١) في اللسان: الملائ بفتح الميم والمملووث: السيد الشريف والشيظى: المتى الجسم. والخضارمة: جمع خضرم بكسر الخاء والراء: الكثير العطاء. النكس: الضعيف الذى لا خير فيه. الحرود: الناقة القليلة الدر.

(٢) الشواة: جلدة الرأس، والشوى: اليدان والرجلان والأطراف، وما كان غير مَقْتَلٍ.

ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك (١) فالأول من الشوى ، وهذا من الشىء بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عائكة : ومردى المخاصم ، المردى : مفعول من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفى المثل : كُـلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُرْدَانُهُ (٢) [أى : يقرب منه حقه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولها : وف. أى : وفى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمِلِي . العُدْمِلِي : [وَالْعُدْمِلُ وَالْعُدْمِلِي] الشديد . واللهم : فَعَالٌ مِنْ لَوَمْتُ الشَّيْءِ أَلْهَمُهُ : إذا ، ابتَلَعْتُهُ ، قال الراجز : [رُوْبَةُ بِنِ الْعَجَّاجِ] .

كلحوت لا يروبه شىء بلهمه . يُصْبِحُ عَطْشَانًا (٤) وفى البحر فمه ومنه سعى الجيش : أَلْهَمًا

(١) أفرك : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمع : أفرك ، وصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجية والطبيعة . وطيب المعنصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الامثال وسمط الكلى : دَعْنَدُهُ . والمرادة : الحجر الذى يرمى به ، والضب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذى يرمى الضب به يكون بالقرب منه . فعنى المثل : لا تأمن الحدثان والسيغير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يصرب أن يتعرض للهَلَسَكَةُ .

(٤) فى ديوان روبة : ظمآن . وانظر ص ٣٤٣ > ٤ خزانة البغدادى .

وقولها : على الْجَحْفَلِ . جملة كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ،
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحُوتٌ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ
ما يمر عليه أى : يَفْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونظيره نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعاتكة : اسم
منقول من الصَّفَاك ، يقال : امرأةٌ عاتِكةٌ ، وهى الْمُصَفِّرة لبدنها بالزَّعْفَرَانِ
والطَّيْبِ . وقال القَتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إذا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيَتِ المرأةُ .
والقول الأول قول أبى حنيفة .

وقول أَرْوَى : وَمَعْقِلٌ مالِكٌ وربيعٌ فِهْرٌ . تريد : بنى مالك بن النضر
ابن كِنانة . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سَيْفًا ذا طرائق . والرُّبْدُ : الطرائقُ .
وقال صَخْرَةُ النُّعَيْمِ [الهَذَلِيُّ] :
وصارِمٌ أَخْلَصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضٌ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : حجف بدلا من جحف ،
وهذه أثبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونشفه . ونشل
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة ، أو أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكا . وعتوكا ، فبى عاتك :
احمرت قَدَمًا ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوابته ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة
أخلصتها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف
الرقيق الشفرتين . وهى على وزن فلح ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذى لأمه =

وقول عائكة : تَبَنِّكَ في باذخ بيته . أى : تَبَنِّكَ بيته في باذخ
من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّل من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالْبُنْكَ أيضاً :
ضَرْبٌ من الطَّيْب ، وهو أيضاً عود السوس^(١) [شجر يغمى به البيوت ،

= هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره
وقيل : الخَشَب الذي في السيف هو أن يضع عليه سناناً عريضاً لمس ، فيدلك به .
والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء في رفته . والبيت في اللسان في مادة
خشب : ومرفف - برفعها ورفع أبيض - ومهو . وفي مادة : مها «وصارم»
كما في الروض ، وقد ورد البيت في معجم ابن فارس في مادة ربد كما في الروض
وقال عن الربد : «فأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهي هذلية» .

وقال في مهو : «وسيف مهو : رقيق الحد كأنه يمر في الضريبة مر الماء» .
واللسان يرويه في مادتي ربد ومهو كما ذكر الأستاذ عبدالسلام هارون في تعليقه على
معجم ابن فارس . ويوجد البيت في ديوان الهذليين وشرح السكري للهذليين . .
ومن معاني قصيدة عائكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب
النساء وجوههن في النياحة . استخرط الرجل في البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل
الكليل السن . ومن معاني قصيدة أم حكيم : استهلى ، أظهرى البكاء . التيار :
معظم الماء . والفرات : الماء العذب . النهيرِزى : الحاذق في أموره .
تشتجر العوالى : تختلط الرماح في الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهي كناية عن
القمييج . ولا تَسَمَى ، أرادت : ولا تسامى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد :
الفياض الكثير العطاء ، فإني لباك : أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على معنى
الشخص . ومن غريب شعر أروى . السجية : الطبيعة ، أبطحي : نسبة إلى بطحاء
مكة ، وهو الموضع السهل منها . الآقب : الضامر . الكشح : الخصر .

(١) في اللسان وفي القاموس ما وضعته بين قوسين عن عود السوس ، ويقول
الازهرى عن البنك : إنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس
في مادة بنك : كلمة واحدة وهو قولهم : تبَنِّكَ بالمسكان ، أقام به .

ويدخل عصيره في الأدوية ، وفي عروقه حلاوة شديدة ، وفي فروعه مرارة [.
 وقوله : فأشار إليهن برأسه ، وقد أضمّت بفتح الهمزة والميم ، هكذا قيده
 الشيخ عن أبي الوليد ، ويقال : صَمَتَ وأَصَمَّتْ ، وسَكَّتَ وأَسَكَّتْ
 بمعنى واحد ، [وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ ، وعَصَفَ الرِّيحَ وأعَصَفَتْ ، وطلعت على القوم
 وأطلعت . ابن قتيبة في أدب الكاتب] .

أبو جهم :

وذكر شعْرُ حُذَيْفَةَ بن غانمِ العَدَوِيِّ ، وهو والد أبي جهم بن
 حُذَيْفَةَ (١) ، واسمُ أبي جهم : عُبَيْدٌ ، وهو الذي أهدى الخَمِيصَةَ (٢)

(١) قال البخاري وجماعة : اسمه عامر ، وكنيته في الإصابة : أبو الجهم . وأبو
 جهم من المعمرين ، وفي نسب قريش : أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، بن عامر ،
 ابن عبد الله بن عبيد بن عوج ، بن عدى بن كعب القرشي العدوي . وقد ضبط
 النووي عبيد بفتح العين ، وضبطت في النسب بضمها . انظر ص ٣٦٩ نسب
 قريش ، وترجمة أبي جهم في التهذيب للنووي .

(٢) الخميصة ، ثوب حر ، أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن
 تكون سوداء مُعَمَّلَةً ، وكانت من لباس الناس قديماً . وهو يشير إلى ما روى
 في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : صلى النبي -
 صلى الله عليه وآله وسلم - في خميصة لها أعلام . فقال : اذهبوا بخميصتي هذه
 إلى أبي جهم . واثبتوني بأنبجانية أبي جهم ، فإنها ألفتني آنفاً عن صلاتي .
 والأنبجانية - بفتح الباء وكسر ها وفتح الهمزة - نسبة إلى منبج أو أنبجان ، وهو كساء
 يتخذ من الصوف ، وله خمس مثل [القطيفة أو أهداها] ، ولا عَلمَ له ، وهي
 من أدون الثياب الغليظة . وإنما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأنبجانية
 لثلاث يؤثر الهدية - وهي الخميصة - في قلبه .

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أتى نَجْمِيصَتَيْنِ ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلا
منها ، هكذا رواه الزُّبَيْرُ (١) . وأم أبي جهم : بُسَيْرَةُ بنتُ عبد الله بن أذاة
ابن رباح ، وابن أذاة : هو خالُ أبي قُحَافَةَ ، وسيأتي نسبُ أمه ، وقد قيل :
إنَّ الشعرَ لِحَذَافَةِ بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول
فيه : أَخَارِجْ إِنِّ أَهْلِكَ . وفي الشعر : غَيْرُ نَكْسٍ وَلَا هَذَرٍ . النُّكْسُ من
السَّهَامِ : الذي نُكِّسَ في الكِنَانَةِ ليميزه الرامي ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل :
الذي انكسر أعلاه ، فنكس ورُدَّ أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمي .

وقوله : لَا تَبُورْ وَلَا تَحْرِي . أى : لَا تَهْلِكْ وَلَا تَنْقُصَ ، ويقال للأفعى : حَارِيَّةٌ
لرَقَّتْهَا (٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكر يَحْرِي حُرْنَا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أى : يَنْقُصُ لحمه ، حتى مات ، والإجْرِيَاءُ : السيرة وهي
إفْعِيَاءٌ من الْجَرَى (٣) ، وليس لها نظيرٌ في الأبنية إلا الإهْجِيرَاءُ في معنى

(١) رواه مرسلا .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسماها .

(٣) في الأصل : لإجرباء والحري بالحاء ، وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإجرباء
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتجرى عليه . وتقصر وتمد .

الهِجْرِي (١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنِي هَاشِمٍ ؛ لأنَّ اسمَهُ
عَمْرُو .

وفيها : غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو : جمعُ أُعْزَلَ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلَ على فُعْلٍ ، ولكن
جاء هكذا ؛ لأنَّ الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ،
كما قالوا : عَدُوَّةٌ - بناءً التأنيث - حَمَلًا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه
تَجَرَّى : حُسْرٍ جمع : حاسِر ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)
نهام وشام :

وقوله : فسرنا تَهَامِيَّ البلاد مخففاً مثل يمانياً ، والأصلُ في يَمَانٍ : يَمَيٌّ ،
نخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تَهَامٍ : تَهَامِيٌّ بكسر التاء من تَهَامِيٍّ
لأنه منسوب إلى تَهَامَةٍ (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يَمَانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تسكاد تستعمل إلا في
العادة الذميمة .

(٢) في اللسان : العزل و بضم العين والراء ، والأعزل الذي لا سلاح معه ،
فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزال وُعْزُلٌ وُعْزَلَانٌ ،
وَعُزْلٌ . والأعزل والرامح : نجمان نيران . قال الأزهري : وفي نجوم السماء
سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح . وفي شرح الشافية
للرضي . و المطارد في تكسير أفعال : فعلاء . وفي مؤنثه : فَعُشَلٌ ، ولا يضم عينه
إلا لضرورة الشعر ، ويجيء فعلاً أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر : من لا مِفْقَر له ولا درع ، أو لاجنة له .

(٤) تهامة : تسايير البحر . منها : مكة . وقيل : طرف تهامة من قبل الحجاز : =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتسكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عوضاً من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدْتَ الياء من شَامٍ قلت : شَامِيٌّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضاً من الياء لرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

== مدارج العرج . وأول تهامة قبل نجد: ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة . فلا يزال في تهامة حتى يباغ عُسُفَان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف للتعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال في يَمَنِيٍّ : يَمَانِيٌّ وفي شَامِيٍّ : شَامِيٌّ بياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، ورأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباطى ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشام ، وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخفوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيٍّ أو تَهَمِيٍّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتحت التاء في تهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتهَامٍ . ولأربع لها . والاصل : يَمَنِيٌّ وشَامِيٌّ وتَهَمِيٌّ لمحذف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يَمَنِيٌّ وشَامِيٌّ على الاصل ، وجاء تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء منسوباً إلى تهامة ، وجاء يَمَانِيٌّ وشَامِيٌّ =

الياء شأجي . وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[أَنْظَنَ عَنْ حَبِيبِكَ نَمَ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
[كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْنِ طَعْمًا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرٌّ أَلْمَذَاقِ]
[أَقِمْ وَانْعَمْ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ وَلَا تَنْظَنَ فَتُكَبِّتَ بِاشْتِيَاقِ]
فَمَا عَتَاَصَ الْمَفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ
فقال : مُحَدَّث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ
بِالْفَتْحِ كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ أَيْضًا .

[فِي اللِّسَانِ : « وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْجَنُونَ :
وَحُبْرْتُ لَيْلِي بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا
وَقَالَ آخَرُ :
أَتَنَّا قَرِيشَ قَصَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامَ تَقَصَّفُ (١)
وَقَوْلُهُ :

مَنْزِلَ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ :
حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيْرُ فِي الْبَحْرِ *

= وَكَأَنَّهُمَا مَنُوبَانِ إِلَى يَمَانٍ وَشَّامٍ الْمَنُوبَيْنِ بِحَذْفِ يَاءِ الْفَسْبَةِ دُونَ أَلْفِهَا . إِذْ لَا اسْتِثْقَالَ فِيهِ كَمَا اسْتِثْقَالَ الْفَسْبَةِ إِلَى ذِي الْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ لَوْ لَمْ تَحْذَفْ . وَالْمُرَادُ بِيَمَانَ وَشَّامٍ فِي هَذَا مَوْضِعٌ مَنُوبٌ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ . فَيُنْسَبُ الشَّيْءُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الْمَنُوبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَمَانِي وَشَّامِي جَمْعًا بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمَعَوْضِ عَنْهُ وَأَنْ يَكُونَ الْأَلْفُ فِي يَمَانِي لِلْإِسْبَاعِ ، وَانْظُرِ الْمَزْهَرَ لِلْسِّيُوطِيِّ ص ١٠١ ح ٢ (١) عَنِ اللِّسَانِ وَالْأَمَالِيِّ

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا ^(١) * في أبيات كثيرة أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنَضَوَايَ مُشْتَقَانِ لَهُ أَرْقَانِ ^(٢)

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى ؛ لأنه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبيع

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠ وهذا الذي ذكره سيديويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو : به وله ، ولا يكون في هاء المؤنث الياءة خلفه الألف ، فإن سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لمالك بن خزيمة الحمداني وهو :

فإن بك غثا أو سمينا فإنني سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَعًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة في الوصل تشبيها بها في الوقف إذ قال : لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ، ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصِّلَهُ وَيُؤَدُّهُ وَأَرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعنى الآيات القرآنية : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونُصِّلَهُ جهنم ، وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ و : (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينار لا يؤده إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قائماً) آل عمران : ٧٥ و : (قالوا : أَرَجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسَلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) الأعراف : ١١١ . وفي « يؤده ونصله » خمس قراءات . إحداها : بكسر الهاء ، وصلتها بياء في اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها ، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شيء كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ على تبين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جنس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضمة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أَرَجُّهُ » وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبعها ومن لا يشبعها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معاني مفردات قصيدة حذيفة كما ذكر الخشنى : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحْحًا : صبا . جُمُعًا : أجمعاً وأكثرأ . واسجأ : أسبلا . والحفيظة : الغضب مع عزة . والهدر : الكثير الكلام في غير فائدة . الهلول : السيد . والهي : العطايا . وفي رواية : الندى ، وأخرى : النهش . والتجر : الأصل . والمجحفات : التي تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقحطات . وسراة : خيار . غالته : ذهبته . النقيبة : النفس وميمون النقيبة : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . حباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجري عليه من أبقال آبائه ويتعوده . وفي القاموس : الوجه الذي تأخذ فيه وتجرى عليه . وهى بالمد =

موضعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصْلِيهِ وَيُؤْدِيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فنظر إلى اللفظ ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها في : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنّان بخلاف ما تقدم

من شرح قصيدة مزبنة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعدُ أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوكُ (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أَبَا شَمِيرٍ الفَسَائِيَّ والدَّ الحَرث بن أبي شَمِيرٍ .

وعُثْرُو بن مالك الذي ذكرَ أَحْسَبَهُ عُثْرُاً ذَا الأَذْطَارِ ، وقد تقدم في التبابعة ،

= القصر . تهاوى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثبج الشيء : أعلاه ومعظمه . مخيسة : مذلة . الاخشاب : جبال يسكنها وهما جيلان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والهُسَجَر : القبيح من الكلام الفاحش . والاحابيش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا بخارج : أراد : يا خارجة لحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدى : أعطى ، والمحتد : الاصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أمك سرٌّ : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمر بن أفریقش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقليل : شَمْرَكَند ، أو بناها ، فقليل : شمر كنت ، وهى بالتركية : القرية فمررت : سمرقند .

(٢) الاملوك : اسم جمع للملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقال حير .

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لِأَبِي هَب ؛ لأن أمه خُرَاعية من سبأ ، والتبابعة كُتْلهم من حَخير بن سَبَأ ، وقد تقدم الخلاف في خُرَاعَة .

وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّة أم زياد ، كانت لِأَبِي جَبْرِ ملكٍ من ملوكِ اليمن ، دفعها إلى الحُرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبَّه .

زبد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَة ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، وكذلك قال في صِفَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم : كان من أَفْضَلِ قَوْمِهِ مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ ، وليس بممتنع ؛ وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسُنُ لأن المعنى : زيد يَفْضُلُ إِخْوَتَهُ ، أو يَفْضُلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أَفْضَلُ إلى التثنية مثل أن تقول : هو أَكْرَمُ أَخَوِيهِ ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) بما اشترط النحاة في أَفْضَلِ التفضيل المضاف أن يكون المضاف بمضاف . المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه وجوده . ويقول الأشموني في شرح الالفية : « وإن لم تنو بفاعل معنى : من ، بأن لم تنو به المفاضلة أصلاً ، أو تنو بها ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقولهم : الناقص والاشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة) أعدلا بنى مروان . أى : عادلام ، فكان أَفْضَلُ بمعنى فاعل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم - أَفْضَلُ قَرِيشٍ ، أى : أَفْضَلُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَرِيشٍ . وإضافة هذين النوعين لمجرد =

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : ممنوك من جورٍ ومن إقراف (١) ،

==التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فيهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من « أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : « قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا منهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يحز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، لحينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما ممتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أنا إذا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسع إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمنعوا هذا معنا . مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة، ممنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره ==

أى : منعوك من أن تُنكِح بناتِكَ أو أخواتِكَ من لثيمٍ ، فيكون الابن مُفْرِقاً لِلوُثْمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَحْمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلِل (١) :

أُنكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِجَابُ مِنْ أَدَمَ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربى ، فالإقراراف من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهلهل : قال الآمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهلهل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسُمى مهلهلاً ؛ لأنه هلهل الشعر ، أى : أرقه ، ويقال : إنه أول من قصد القصيد ، وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : إنه مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جنب ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : لانى طريد بينكم ، فتى أنكحتكم ؟ قالوا : فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه فى صداقها أداما ، فقال :

أُنكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِجَابُ مِنْ أَدَمَ

ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فأت فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الادب للبغدادى ط دار العصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الارب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزَّزَهُ عَلَى تَغْلِبِ بِنَا لَقِيَتْ أَخْتَ بَنِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ
لَيْسُوا بِأَكْفَانَا الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونُ مِنْ ذُلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ =

أى : أنكِحت لغربتها من غير كُفء . قال مَبْرَمَان^(١) : أنشدنا أبو بكر ابن دريد : وكان الخِباء من أَدَم ، بخاء معجمة الأعلى ، وهو خطأ وتصحيف ، وإنما هو بالخاء المهملة ، وهو معدود في تصحيفات ابن دريد ، وفيه يقول المَفْجَع [البصرى] ردًا على ابن دُرَيْد :

أَلَسْتَ قَدِمًا جَعَلْتَ تَفْتَرُقُ مِ الطَّرَفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرُقُ^(٢)
وقلت : كان الخِباء من أَدَم . وهو حِباء يُهْدَى ، وَيُصْطَلَقُ
وذلك أن مُهْلِمًا نَزَلَ فِي جَنْبٍ ، وهو حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِج .
فخطبت ابنته ، فلم يَسْتَطِعْ مَنَعَهَا ، فزَوَّجَهَا ، وكان نَقْدُهَا مِنْ أَدَم ، فأنشد :
أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وكان الخِباء من أَدَم .
لو بَابَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَمَ^(٣)

= والاول منهما قبل : د أنكحها فقدها الخ ، والآخر بعد قوله : لو بابانين ، الذى سياق . والاراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث عن جنب .

(١) لقب لابي بكر الازمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها ، وانظر المزهري ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى فقيه قول المفجع . وقد روى بدر الدين الزركشى ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السهيلي ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس وروى الشرطة الاولى هكذا : د ألم تصحفت فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى غيره : د ألسنت مماصحفت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما : =

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف^(١) . يعنى : البحر . لأنه يرّجف .
ومن أسمائه أيضاً : خُضْرَاءَ ، [سُمى بذلك لخُضْرَةِ مائه] . والدَّأْمَاءُ [سمى بذلك
لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عَقْدُ ذَاتِ نِطَافٍ . النُّطْفُ^(٢) : اللؤلؤ الصافى . ووصيفةُ
مُنْطَفَةٍ [وَمُنْطَفَةٍ] أى : مُعَرَّطَةٍ بِتَوَمَتَيْنِ [والتَّوَمَةِ : اللُّوْأَةُ ، أوحبة تعمل
من الفضة كالذَّرَّةِ] والنُّطْفُ فى غير هذا : التَّنَاطُحُ بالعُيْبِ ، وكلاهما من
أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النُّطْفَةَ هى الماء
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النُّطْفَةِ .
والنُّطْفُ الذى هو العيب : أخذ من نُطْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :
كانه نُطْفَحَ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطْلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

أبيض ، وهو لبني أسد ، والآخر : أسود ، وهو لبني فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان
البيتين . وفيهما : والحباء ، ورُمُلٌ ، بدلا من والحباء ، وخرج . .

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردهما . نطفة كهمة . بضم النون وفتح الطاء . .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضا ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران » . وفى نسب
قريش لا توجد عبد بين عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،
والى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زده فاطمة من كتب النسب ،

كألب . والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف . كما قال مُرَّة بن
نَحْكَانَ [السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ سِيدُ بَنِي رُبَيْعٍ] :

أَدْعَى أَبَاهُمْ ، وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمِّهِمْ وَقَدْ عَمِرْتُ . وَلَمْ أَغْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

اللهي العائف :

فصل : وذكر خَبَرُ اللَّهِجِيِّ العائفِ . قال ابن هشام : وَلِهَبٌ : حَيٌّ مِنْ
الْأَزْدِ : وقال غيره : وهو وَلِهَبٌ بْنُ أَخْجَنَ بْنِ كَنْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ
ابن عبد الله بن مالك بن نَضْرَ بْنِ الْأَزْدِ . وهي القبيلة التي تُعْرَفُ بِالْعِيفَةِ
وَالزَّجْرِ (١) . ومنهم اللَّهُجِيُّ الذي زَجَرَ حِينَ وَقَعَتِ الْخِصَاءُ بِصَلْصَلَةِ عُمَرَ

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختفاف والحوافر في المقابلة للآخر ، وهي
التي تكون في تربة حرة تشكّل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة
من كنانة وبنو لهب ، بلوغ الأرب للألوسي ، وانظر ص ٩١ ، الاشتقاق ، واللسان
في مادة لهب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من
بعض الناس من التسكّم بالغيب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم
في مفتاح دار السعادة عنه : « وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش
ويشيرونها ، فما تبنا منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وماتياس منها سموه :
بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . . . ومن
العرب من يسمي بالسائح ويتشام بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح
غير هذا . ويقول الأزهرى : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا ، وفي القاموس :
العائف : المتكهن بالطير ، وكل هذا حرمه الإسلام ، وقيل في تعريفهما غير ذلك .

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فَرَقَّ له ، وقال : والله لأُخْرِجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصِرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بحيرى في صَوْمَعَةٍ له ، وكان إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فأدْمَنَتْه ، وذلك في الحج ، فقال : أشعرُ أميرُ المؤمنين . والله لا يَحْجُجُ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) واللَّهْبُ : شَقٌّ في الجبلِ (٢) [والجمع : ألْهَابٌ ولُهوبٌ] . وبنو ثُمَالَةَ رَهْطُ الْمُبَرِّدِ الثَّمَالِيُّ : هم بنو أسلم بن أحنَجَ ابن كعب . وثُمَالَةُ : أمُّهم . وكانت العِيافَةُ والزجرُ في لِهَبٍ قال الشاعر (٣) :

سألتُ أخا لِهَبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً وقد رُدَّ زَجْرُ العالمين إلى لِهَبٍ

وقوله : لِيَمْتَنَفَ لهم : وهو يَفْتَعِلُ من الْعَيْفِ . يقال : عِفْتُ الطيرَ . واعتَمَقْتُهَا عِيافَةً وانْعِيافًا : وعِفْتُ الطعامَ أعافُهُ عَيْفًا . وعافت الطيرُ الماءَ عِيافاً .

(١) هذا خرف أسطورى . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللَّهْبُ : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع ألْهَابٌ ولُهوبٌ .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت في نهاية الأرب هكذا :

تيممت لها أبتغى العلم عندها وقد رد علم الطائفين إلى لِهَبٍ

بتوارثونه كابرأ عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبلَ ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يَغْرِضُ لهم ، حتّى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمَعْتِه صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شىء رآه وهو فى صَوْمَعْتِه ، يزعمون أنّه رأى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو فى صَوْمَعْتِه فى الرَّكْبِ حين أقبلوا ، وَغَمَامَةٌ تَطِلُّه من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلِّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وَتَهَشَّرَتْ أغصانُ الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتّى استظلَّ تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صَوْمَعْتِه وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً بامعشرِ قُرَيْشٍ ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلُّكم ، وصغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرُّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليوم ! ما كنتَ تصنع هذا بنا ، وقد كنّا نَمُرُّ بِكَ كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بَحِيرَى : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيّفْتُمْ ، وقد أُجِيبْتُ أن أكرمكم ، وأصنعَ لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحدّاثه سنه ، فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظرَ بَحِيرَى فى القوم لم يَرَ الصِّفَّةَ التى يعرفُ ويحدِّثُ عنده ، فقال : بامعشرِ قُرَيْشٍ : لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بَحِيرَى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتىكَ إلا غلامٌ ، وهو أحدُ القوم سناً ، فتخلّف فى رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضُر هذا الطعامَ معكم قال : فقال رجل من قُرَيْشٍ مع القوم : واللّات والعزى ، إن كان

لَلْوُثِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرَى ، جَمَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحِدُّهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى ، فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَوْا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْفَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَعْضُهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا فَرَّغَ ، أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرَى : مَا هُوَ بَابُنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَ حَيًّا ، قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهَ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَنْ رَأَوْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لِيَبَغْتَهُ شَرًّا ، فَإِنَّهُ كَأَنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام
 فزعوا فيما روى الناس : أن زُريرا وتما ودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -
 قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر
 الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروا لله
 وما يجدون فى الكتاب من ذكروه وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم
 يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه
 وانصرفوا عنه . فشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يكلؤه ، ويحفظه
 ويحوطه من أذى الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان
 رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم
 جوارا ، وأعظمهم حِلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من
 الفحش والأخلاق التى تُدسُّ الرجال ، تنزها وتكرها ، حتى ما اسمه فى قومه
 إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكرلى - يُحدث عما كان
 الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني فى غلمان قريش ننقلُ حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ،
 كلنا قد تعرّس ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبتى ، يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل
 معهم كذلك وأذبر ، إذ لَكُمى لا كِم ما أراه ، لكمة وجيعة ، ثم قال :
 شدّ عليك إزارك . قال : فأخذته وشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على
 رقبتى وإزارى على من بين أصحابى .

قصة بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِير الزُّهْرَى أَنَّ بَحِيرَى كَانَ حَبْرًا مِنْ يَهُودِ تَيْمَاءَ^(١) ، وفى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمُه : سَرْجِسُ ، وفى المعارف لابن قُتَيْبَةَ ، قال : سُمِعَ قبل الإسلام بقاليل هاتِفٌ يَهْتَفُ : أَلَا إِنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : بَحِيرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّئْبَى^(٢) وَالثَّالِثُ : الْمُتَنَظَّرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال القُتَيْبِيُّ : وكان قَبْرُ رِبَابِ الشَّئْبَى ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : المطرُ الضَّعِيفُ^(٣) .

وقال فيه : فَصَبَّ^(٤) رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعمه . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يقال : صَبَبْتُ - بكسر الباء - أَصَبْتُ ، ويذكر عن بعض السَّلَفِ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يوسف : ٣٣

(١) بليد فى أطراف الشام ، بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق .

(٢) هو فى المعارف : أرباب بن رثاب من عبد القيس .

(٣) نص قول ابن قتيبة فى المعارف : وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره ، ونص كلامه عن الرسول - كما زعموا - صلى الله عليه وسلم - : وأخر لم يأت بعد . النبي (ص) ، ص ٣٠ تحت باب : من كان على دين قبل مبعث النبي (ص) ، وهو خبر مصنوع ولا شك

(٤) وفى رواية - كما جاء فى الطبرى وشرح الحشنى - ضَبٌّ ، وفسرها الأخير بقوله : تعلق به وامتسك .

وفي غير رواية أبي بَحْرٍ : ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أى :
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كَأَنَّ فَوَادِي فِي يَدِ ضَبَّتَتْ بِهِ مُحَاذِرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ

فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك ابنَ تسع سنين فيما
ذكر بعضُ من أَلَّفَ في السَّيَرِ ، وقال الطَّبري : ابنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنة (١) .

من صفات ختم النبوة :

وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام : كان كأثر المِحْجَمِ يعني : أثرَ
المِحْجَمَةِ القَابِضَةِ على اللحم ، حتى يكون نائِثًا . وفي الخبر أنه كان حوله
خِيْلَانٌ فيها شَعَرَاتٌ سَوْدٌ . وفي صفته أيضا أنه كان كالْتَفَاحَةِ ، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ
وفسره الترمذى تفسيراً وهم فيه فقال : زِرُّ الْحَجَلَةِ يقال : إنه يَبِضُّ له فتوهم
الْحَجَلَةُ مِنَ الْقَبِجِ (٢) وإنما هي حَجَلَةُ السَّرِيرِ ، واحدة : الْحِجَالُ ، وزرُّها الذي
يدخل في عُرْوَتِهَا - قال على - رضوانُ الله عليه - لأهل العراق : يا أشبَاهَ الرجال :

(١) في الطبري : وهو ابن تسع سنين ، وقبل : ثلاث عشرة . حكاه أبو عمر
وقال ابن الجوزي ، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وفي سيرة مغلطاي : وشهر

(٢) هو الحجل ، وفي اللسان أنه الكروان ، وأنه معرب ، وهو بالفارسية .
كبح معرب ؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، وقد ضبط
البخاري الحجل بضم الحاء ، وقال : إنه من حجل الفرس بضم الحاء وسكون الجيم ، الذي بين
عينيه ، وهو بعيد لأن الذي بين العينين اسمه الغرة لا الحجل ، والنحجيل في القوام.

ولارِجَالٍ، وَيَأْطَافُ الْأَحْلَامَ. وَيَعْقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١). وفي حديث آخر: كان كَبِيضَةَ الْحَمَامَةِ، وفي حديث عِيَّاذِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو، قَالَ: رَأَيْتُ خَاتِمَ النَّبُوَّةِ، وَكَانَ كَرُّ كَبَةِ الْعَنْزِ. ذَكَرَهُ النَّمَيْرِيُّ مُسْنَدًا فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ، فَهَذِهِ خَمْسُ

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وقد رواها المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة، ونسبها إلى علي. وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفي المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذال الطير، مفردا: طغامة وفي نهج البلاغة: وحلوم الاطفال وعقول ربات الحجال. برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما في النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ». انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلمي أو عباد بدلا من عيَّاذ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي «ص»، غاطبه يهودى، فسقط رداؤه عن منكيه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عيَّاذ. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، جلست بين يديه، فوضع يده على رأسي، فأمرها على وجهي وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقة عنز وهذه رواية ابن منده والطبراني، ومن تبعهما وسنده ضعيف، والخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركة العنز، وفي سنده من لا يعرف الإصابة باختصار. هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر في الفتح ماورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أبي خيثمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شيء، ولا يفتر بشيء مما وقع في صحيح ابن حبان؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك.

روايات في صفة الخاتم : كالنفاحة وكَبَيْضَةِ الحَمَامَةِ ، وَكَزِيرِ الحَجَلَةِ ، وَكَأَثَرِ المَحْجَمِ
وَكُرْكَبَةِ العَنْزُورِ رواية سادسة : وهى رواية عبد الله بن سَرْجِسَ : قال : رأيت
خاتم النبوة كالجُفْعِ يعنى : كالمَحْجَمَةِ ، [وهى الآلة التى يجتمع بها دُمُ الحِجَامَةِ
عند المصِّ] لا كَجُمُعِ الكَفِّ ، ومعناه كعنى الأول أى كأثر الجُفْعِ . وقد
قيل فى الجُفْعِ : إنه جُمُعُ الكَفِّ : قاله القَتَيْبِيُّ (١) : والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبى سعيد الخُدْرَى - رضى الله عنه - وقد سئل عن
خاتم النبوة : فقال : بَضْعَةٌ ناشِرة (٢) هكذا : ووضع طَرَفَ السَّبَّابَةِ فى مَفْصِلِ
الإبهام ، أو دون المَفْصِلِ ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفى صفته أيضاً
رواية ثامنة ، وهى رواية من شبهه بالسَّلْمَةِ (٣) ، وذلك لِتُنُوتِهِ ، وقد تقدم
حديث ، فيه عن أبى ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً ببيان وضع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقانى فى شرح المواهب عن تفسير السهلى . وهو تسكف
والمتبادر فى تفسير ابن قتيبة ، وقد تبعه عليه عياض ، والنووى والمصنف وغيرهم ،
ص ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم . وحكى ابن الجوزى وابن دحية كسرهما ، وجزم
به فى المفهم . والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن
سرجس فى مسلم ومسنده أحمد .

(٢) حديث الخُدْرَى رواه الترمذى فى الشمائل .

(٣) حديث السَّلْمَةِ رواه البيهقى ، وبضعة ناشِرة : قطعة لحم مرتفعة ، وتروى
بضعة بفتح الباء ، وضما وكسرهما ، انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ ، ولاحد عن
الخُدْرَى : لحم ناشِز بين كتفيه ، والبيهقى ، والبخارى فى التاريخ عنه : لحم ناتئ
وأحد وابن سعد من طرق عن أبى رُمثة ، والسَّلْمَةُ : زيادة تحدث فى البدن كالقعدة
تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة .

متى كان ، وروى الترمذى^(١) في مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلّوا رحالهم : فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتخذلهم الراهب : وهم يحلون رحالهم : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ . فقال : إنكم حين أشرفتم من العمبة لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجدا : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بنجاتم النبوة أسفل من غُضْرُوف كتفه . ويقال : غُضْرُوف مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الإبل - قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جاس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة ، فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم والخرائطي وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا بُعث إليه بآناس ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك ^(١) هذا ، قال : أَقْرَأْتُمْ أمراً أراد الله أن يقضيه : هل يستطيع أحدٌ من الناس رَدَّه ؟ قالوا : لا ، قال : فبأيِّعوه ^(٢) وأقاموا معه . قال : أنشدكم بالله أيكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رضى الله عنهما - وزوَّده الراهب من السكك والزيت ^(٣) ، قال

(١) في لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفي المواهب وشرحها ما يأتي : ج ١ ص ١٩٥ : « فلم يبق طريق إلا بعث إليها بآناس ، وأنامذ أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم ؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطي ج ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبي « ص » ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفاً على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ج ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله « ص » لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي ، والآيات التي جعلت آيات له - كما ورد في القرآن والإنجيل والتوراة - لا تتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق النورانية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبي أمي اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلاني والزرقاني في المواهب وشرحه : « وضعف الذهبي الحديث - حديث بحيرى - لقوله في آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبري وغيره ، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون ، ولا اشتري =

أبو عيسى : هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجحيين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي « ص » ، وهو مرافق مع
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن
خلق ، وأبو بكر كان صبيا ، وقال في تلخيص المستدرك بعد ما ذكر تصحيح
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعا ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعته منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته
وانفراده . وفي رواية الترمذى لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة
نصرانى ، وتارة بحيرى ، وأخرى سرجس وغيره !! هذا وبصرى التى في القصة بلده
بالشام ، وهى قصبة كورة حوران . ولا ريب في أن قصة بحيرى مخترعة وإفك
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى في هذه المهلكة مؤرخ
ينسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولأجَّ في مكة وما حولها من القرى ،
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحي الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد
القرآن — لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحي ١١ .

هذا وفي رواياته متناقضات ، فبحيرى من يهود تيماء ، كما جاء في بعض السنن
للزهري ، وفي مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو في سن التاسعة ==

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْهُ
بُقُرَّةَ حُرِّ الْوَالِدِينَ كِرَامِ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّذْتُ مَطِيَّتِي
لَتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ
بِكى حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا
وَأَمْسَكَتْ بِالْكَفَيْنِ فَضَلَ زِمَامِ
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَفَرْتُ غُبْرَةً
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سِجَامِ
فَقُلْتُ : تَرُوحَ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
مَوَاسِينَ فِي الْبُأْسَاءِ غَيْرَ لَثَامِ
فَرُحْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
شَامِي الْهَوَى ، وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَامِي

= أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذى يتوجه إلى الراهب فى رواية ، وبحيرا هو الذى ينزل فى رواية ، والراهب مجهول الاسم فى رواية ، والراهب سرجس ، أو جرجيس ، أو جرجيس فى رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود فى رواية ، وعدد الروم سبعة ، وعدد هم تسعة فى رواية . هذا والكاتب الهندى خدا بخش - على ما فى قوله من اتهام لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس يرى من إفسكه - يحكم بزييف هذه القصة فيقول : : ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ، وهى من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ ، ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أمورا مذهلة ترينا إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتراة ، فانظر كتابه (الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ سيدىو - رغم اعتداله : : وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب فى سنة ٥٨٢ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها ببحيرى الذى كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول غستاف لوبون عن قصة ببحيرى : (وتقول القصة : إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية ، فتعرف فى بصرى براهب نسطورى فى دير نصرانى ، فتلقى منه علم التوراة) ص ١٢٠ حضارة العرب . وذكر هذا فى مثل هذا الأسلوب الهادى الذى يختال بأنه سكبنة من اليقين يفتح قلب من لا يعنى لهذا الباطل الصريح !!

فلما هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامَ
فَجَاءَ بِحَيْرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِداً لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
فَقَالَ : انْجَمُّوا أَصْحَابَكُمْ لَطْعَامَنَا فَقُلْنَا : جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامٍ (١)
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرَ .

مِفْظُهُ فِي الصَّغَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا يَلْعَبُ
مَعَ الْغُلَمَانِ ، فَتَعَرَّى فَلَاكُمَهُ لَا كَمُ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُزْرُومًا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
لِتَقْفِيَهُمُ الْحِجَارَةُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَحْمِلُهَا عَلَى
هَاتِقِهِ ، وَإِذَا رَهُ مَشْدُودًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِمَنِ الْعَبَاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بَنَ أَخِي !
لَوْ جَعَلْتَ إِذَا رَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَفَعَلَ نَفْسِيًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا رَى
إِذَا رَى ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِذَا رَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِذَا رَكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : وَإِنِّهِ لِأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَغَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ : فَمَحَمَّدٌ عَلَيْهِ
أَنْ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَغَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِهَالِهِ هُنْدَ
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

(١) تَبَدُّو فِي الشَّعْرِ رَائِحَةُ الْوَضْعِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَصْرَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ سَمَةٌ ،
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامٍ .
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عبيدة النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حرب الفجار بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، أجار لطيمة للنعمان ابن المنذر ، فقال له البرّاض بن قيس ، أحد بني صمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة : أتجبرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحّال ، وخرج البرّاض يطلب غفنته ، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البرّاض ، فقتله في الشهر الحرام ، فذلك سُمي : الفجار . وقال البرّاض في ذلك :

وداهية تهمّ الناس قبلي شدّدت لها - بني بكر - ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالصروع
رفعت له بذى طلال كفي فخرّ يمدّ كالجدع الصريع

وقال لبید بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغ - إن عرضت - بني كلاب وعامر والخطوب لها موالى
وبلغ إن عرضت بني تمير وأحوال القتل بني هلال
بأن الوافد الرّحال أمسى مقبياً عند تيمن ذي طلال

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهم في الشهر الحرام بِمُكَاطَ ، فارتحلوا ، وهوازنُ لَا تَشْعُرُ ، ثم بلغهم الخبرُ فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التَمَّوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقومُ مُتَسَانِدُونَ ، على كُلِّ قَبِيلٍ من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ من قَيْسٍ رئيسٌ منهم .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجه أعمامُه معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : كنت أنبئُ على أعمامى ، أى : أُرَدُّ عنهم ، نَبِيلَ عَدُوِّهم ، إِذَا رَمَوْهم بها .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الْفِجَّارِ ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإِنَّمَا سَمِيَ يَوْمَ الْفِجَّارِ ، بما استحلَّ هذان الحَيَّان : كِنَانُهُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ فِيهِ الْمُحَارِمُ بَيْنَهُم .

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ بن أُمَيَّةَ بن عُبْدِ شَمْسٍ ، وكان الظَّفَرُ في أولِ النهار لَقَيْسٍ على كِنَانَةِ ، حتى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِكِنَانَةِ على قَيْسٍ .

قال ابن هشام : وحديثُ الْفِجَّارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ ، وإِنَّمَا مَنَعْنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قَطْعُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ تجعلهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكبرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فتقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سِلْعَتَهُ التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه مَيْسِرَةٌ ، فكان مَيْسِرَةٌ - فيما يزعمون - إذا كانت الهَاجِرَةُ ، واشتدَّ الحرُّ ، يرى مَلَكَ كَيْنٍ يُظِلُّانَهُ من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بما لها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريياً . وحدثها مَيْسِرَةٌ عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إضلال المَلَكَ كَيْنٍ إِيَّاهُ ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسِرَةٌ بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يَا بَنَ عَمٍّ ، إني قد رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ ، وَسِطَتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ ، وَحُسْنِ خَلْقِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسبا ، وأعظمهنَّ شرفا ، وأكثرهنَّ مالا ، كلُّ قَوْمِهَا كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

وهي خديجة بنت خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصمِّ بن رِزَاحَةَ بْنِ حَجَرَ بْنِ عَبْدِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، فخرج معه عُمَةُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فخطبها إِيَّاهُ ، فتزوجها .

قال ابن هشام : وأصدقها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجِرَة كالقتالِ والمُقَاتَلَة ، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ، فَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الْفِجَارَ ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها المسعودي ، آخرها : فِجَارُ الْبَرَاضِ ^(١) للذكور في السيرة ، وكان لسكنانة ولقيس فيه أربعة أيام منذ كورة : يوم شَمَطَة ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قَيْدُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ وَسُفْيَانُ وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنَاهُ أُمَيَّةٌ أَنْفُسَهُمْ كَيْ لَا يَقْرُوا ، فَسُمُّوا : الْعَنَابِسُ ^(٢) ، ويوم الْحَرِيرَةِ عند نخلة ، ويوم الشَّرِبِ انهمزت قيسٌ إِلَّا بَنِي نَضْرٍ مِنْهُمْ ، فَانْهَمَوْا ، وَإِنَّمَا لَمْ يِقَاتِلْ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — مع أَعْمَامِهِ ، وَكَانَ يَنْبُلُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَانَ بَلَغَ سِنَ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ حَرْبَ فِجَارٍ ، وَكَانُوا أَيْضاً كُلُّهُمْ كُفَّاراً ، وَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنٍ أَنْ يِقَاتِلَ إِلَّا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا .

(١) هي : فِجَارُ الرَّجُلِ ، أَوْ فِجَارُ بَدْرِ بْنِ مَعْشَرٍ ، وَفِجَارُ الْقُرْدِ ، وَفِجَارُ الْمَرْأَةِ ، وَالْأُولَى بَيْنَ كِسْنَانَةٍ وَهَوَازِنَ . وَالثَّانِيَةُ أَيْضاً : بَيْنَهُمَا ، وَالثَّالِثَةُ : بَيْنَ قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وَكَانَتْ الْبَرَاضُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِسْنَانَةٍ كُلِّهَا وَبَيْنَ هَوَازِنَ . وَتُسَمَّى : ثَلَاثَةُ الْفِجَارَاتِ . الْأُولَى : أَيَّامُ الْهَجَارِ الْأُولَى . أَمَّا الْبَرَاضُ فَالْفِجَارُ الْآخِرُ .

(٢) الْعَنَابِسُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ، وَالْعَنَابِسُ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْلَادُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَكْبَرِ ، وَهُمْ سِتَّةٌ ، مِنْهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ السَّهْلِيُّ وَالْآخِرُونَ هُمْ : أَبُو حَرْبٍ وَعَمْرُو وَأَبُو عَمْرٍو ، وَسَمُّوا بِالْأَسَدِ ، وَالْبَاقُونَ يُقَالُ لَهُمْ : الْإِعْيَاصُ

وَالْأَطِيمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبَرْءَ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لِيَبِيدَ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

ضع تنوين العلم :

وقول البراءض : رفعتُ له بذى طَلَّالٍ كَفَى . فلم يَصْرِفْهُ ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتدرك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحبُ هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وَضْعًا لطريق ، أو جانب مضافٍ إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسنُ من هذا كله أن يكون طَلَّالُ اسْمًا مذكراً علماً ، والاسمُ العلمُ يجوز تركُ صرفِهِ في الشعرِ كثيراً ، وسيأتى في هذا الكتاب من الشواهدِ عليه ما يدلُّ على كثرتِهِ في الكلام ، ونؤخرُ القولَ في كشفِ هذه المسئلةِ وإيضاحِها إلى أن تأتى تلك الشواهدُ . — إن شاء الله — ووقع في شعر البراءض مُشَدَّدًا ، وفي شعر لَبِيدٍ الذى بعد هذا مُخَفَّفًا ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يُقَلْ : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه قَمَالٌ من الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنثور مُشَدَّدًا ، وكذلك تقييدُ في كلام ابن

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فدك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعماتها إلى تمامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بَحرٍ (١).

من تفسير سمر البرافه :

وقوله في البيت الثاني : وألحقتُ الموالى بالضرُوع (٢). جمع : ضرُوع ، هو في معنى قولهم : لثيمٌ راضعٌ ، أى : ألحقتُ الموالى بمنزلتهم من اللثوم . ورضاعُ الضرُوع ، وأظهرت فسالتهم (٣) وهتكتُ بيوتَ أشرافِ بني كلابٍ وضرَحائهم .

وقول لييد : بينَ تيمَنَ ذى طلالٍ . بكسر الميم وفتحها ، ولم يصرِّفه لِوَزَنِ الفعل ، والتعريف ؛ لأنه تَفْعِل ، أو تَفْعَل من التيمَن أو التيمِن .
أفهر أمر الفجار :

وكان آخرُ أمرِ النِجارِ أن هَوازِنَ وكنانة تواعدوا للعام القابل بِمُكَاطَظَ فجاءوا للوعدِ ، وكان حربُ بن أميةَ رئيسَ قُرَيْشٍ وكنانة ، وكان عتبةُ بن ربيعةَ يتيمًا في حجرِهِ ، فضنَّ به حربٌ ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبةُ بغيرِ إذنيه ، فلم يَسْمَعُوا إلَّا وهو على بعيره بين الصَّفَّين ينادى : يا مَعشَرَ مُضَرَ ، عَلَّامَ تقاتلون ؟ فقاتله هَوازِنُ : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصالح ، على أن ندفعَ إليكم ديةَ قَتَلائكم ، ونَعْفُو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفعُ إليكم رَهْنًا مِنَّا ، قالوا : ومَنْ لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومَنْ أنت ؟ قال : عتبةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، فرَضُوا ورضيت كِنانُهُ ، ودفعوا إلى هَوازِنَ أربعين رَجُلًا : فيهم : حكيمُ بن حزامٍ [بن خُوَيْلِد] ، فلما رأَت بنو عامر بن صعصعة الرَهْنَ

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للنخشي .

(٢) في السيرة : وأرضعت .

(٣) الفسل من الرجال : الرذل .

فى أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الفِجَارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قریشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرد : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان فى لفظ الخبر : قَطَّ ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لا تُعَمَّرُ فى العادة هذا العُمُرَ الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ فى العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يحىء نبي إِلَّا أن تُصِحَّ رواية من قال فى هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهى رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيرا المتقدم ذكره .

(١) ومن حديث حرب الفجار نفس ما يأتى : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب والبز وأشباههما . القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد فى حضور النبي د ص ، حرب الفجار حديث يعتد به .
(٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكلوبة ، فادعى أحدهم وهو =

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها :
هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسَطِ ، مَقْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسَطُ
من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر
الشَّهَادَةِ . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ الْقَبِيلَةِ أَعْرَفُهَا ، وَأَوَّلَاهَا بِالصِّمِّ وَأَبْعَدُهَا
عن الأطراف والوسيط ، وأَجْدَرُ أَنْ لَا تُضَافَ إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ ؛ لِأَنَّ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ
قَدْ أَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَكَانَ الْوَسَطُ مِنْ أَجْلِ هَذَا مَدْحًا فى النسب
بهذا السبب ، وأما الشَّهَادَةُ فنحو قوله سبحانه : (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) وقوله :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣
فكان هذا مدحًا فى الشَّهَادَةِ ؛ لِأَنَّهَا غَايَةُ الْعَدَالَةِ فى الشَّاهِدِ أَنْ يَكُونَ وَسَطًا
كَالْبِرَّانِ ، لَا يَمِيلُ مَعَ أَحَدٍ ، بَلْ يُصَمِّمُ عَلَى الْحَقِّ تَصْمِيمًا ، لَا يَجْذِبُهُ هَوًى ،
وَلَا يَمِيلُ بِهِ رَغْبَةٌ ، وَلَا رَهْبَةٌ مِنْ هَهْنَا ، وَلَا مِنْ هَهْنَا ، فَكَانَ وَصْفُهُ بِالْوَسَطِ
غَايَةً فى التَّزْكِيَةِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَظَنُّ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَعْنَى الْأَوْسَطِ : الْأَفْضَلُ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَقَالُوا : مَعْنَى الصَّلَاةِ الْوُسْطَى : التُّنْضِيلُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ
فى جَمِيعِ الْأَوْصَافِ لَامَدْحٌ وَلَا ذَمٌّ ، كَمَا يَقْتَضِي لَفْظُ التَّوَسُّطِ ، فَإِذَا كَانَ وَسَطًا فى
السَّمَنِ ، فَهِيَ بَيْنَ الْمُمِخَّةِ ^(١) وَالْعَجْفَاءِ . وَالْوَسَطُ فى الْجَمَالِ بَيْنَ الْحَسَنِاءِ

== نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحيًا يعقوبيا يدعى : بحيرى أمدأ
محمدًا بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٢٠٣ - الحضارة الإسلامية ،
ويزعم « أندريا داندولو » ، أن هذا الراهب النسطورى « نسبته إلى فرقة مسيحية »
أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدًا فى هذا . وكلها مقتربات من تن فرية خبيثة
انظر خدا بخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر نحاء مشددة مفتوحة : السمينه
وفى المثل : بين الممخة والعجفاء .

والشَوْهَاءُ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أنقل من مُغْنٍ وَسَطٍ على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مُجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وأكفى ، وذلك أيضاً مما يُمتنع . قال الجاحظ : وإنما السكرَبُ الذى يَجْتُمُّ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الغناء القاتر الوَسَطُ الذى لا يُمتنع بِمُسْنٍ ، ولا يُضحك بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ الناس . أى : أفضاهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العِلْمِ ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله الحمود .

من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أُسْدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابنِ إسحاق أن خُوَيْلِداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمُّها عمرو بن أُسْدٍ ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمُنُّ لا يُوزَنُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يُقْدَعُ أنفه ، فأنكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

الطَّبْرِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ — قَالَ : إِنْ عَمَرُو بَنَ أَسَدَ هُوَ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ خُوَيْلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفِجَارِ ، وَخُوَيْلِدُ ابْنِ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي نَازَعَ تَبَعًا الْآخَرَ حِينَ حَجَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرِّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوَيْلِدٌ ، وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنَّ تَبَعًا رُوِيَ فِي مَنْامِهِ تَرْوِيحًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ فِي سِيَرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ سِيرَةِ أُلْفَتِ فِي .

= وزرع إسماعيل ، وَضَعِيَهُ مَعَهُ أَى مَعْدَنَهُ وَأَصْلَهُ ، وَعَنْصَرَ مَضَرَ ، وَجَعَلْنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ ، وَسُؤَاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وَجَعَلْنَا الْحِسْكَامَ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ إِنْ ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَوْزَنُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ ، فَإِنَّ الْمَالَ ظَلَّ زَائِلٌ ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ ، وَقَدْ خُطِبَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا . وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَخُطِبَ جَلِيلٌ ، ص ٩٨ = ١٦ نِهَايَةِ الْأَرْبِ . وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ صَدَاقَهَا كَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشِيئًا ، وَقَالَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي السَّمْطِ الثَّمِينِ : إِنَّهُ كَانَ عَشْرِينَ بَكْرَةً وَفِي الْمُنْتَقَى : أَرْبَعُمِائَةَ دِينَارٍ . وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ نَوْفَلَ خُطِبَ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَفَضَّلَنَا عَلَى مَا عُدَدْتَ ، فَتَحَنَّنَ سَادَةً الْعَرَبِ وَقَادَتَهَا ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا تَنْكُرُ الْعَشِيرَةَ فَضْلَكُمْ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَرْمَكُمْ وَشَرَفَكُمْ ، وَقَدْ رَغَبْنَا فِي الْإِتِّصَالِ بِجَبَلِكُمْ وَشَرَفِكُمْ ، فَاشْهَدُوا عَلَى يَامَعَاشِرِ قُرَيْشٍ بَأَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ ، قَدْ أَحْبَبْتَ . أَنْ يَشْرَكَكَ عَمُّهَا ، فَقَالَ عَمُّهَا : اشْهَدُوا عَلَى يَامَعَاشِرِ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ أَنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَاوَرْدِيُّ أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذى كان يَتَجَرُّ معه فى مالٍ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَّةَ حَدِّثْ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وكانت تُسَكِّرُ مُمَّها وتُتَحِفُهُمَا (١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَعْدِثَةٌ (٢) — وهى السكاهنة — كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟! فوالله ما فى قريش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْنًا لها ، فرجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاطبا لخديجة مُسْتَعْجِيا منها ، وكان خويلدٌ أبوها سكران من الخمر ، فلما كَلَّمَ فى ذلك أنسكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَضَمَّخَتْهُ بِخُلُوقٍ (٣) فلما صحا من سُكْرِهِ قال : ما هذه الحُلَّةُ والطَّيْبُ ؟ فقيل : إنك أنسكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنسكرك ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأَمْضَاهُ ، ففى هذا الحديث أن أباهما كان حيا ، وأنه دى أنسكحها . كما قال ابن إسحاق . وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لَا تَزْهَدِى خَدِيجَ فى مُحَمَّدٍ نَجْمٌ بَصِيءٌ كَابِضَاءُ الْفَرَقْدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهزمة : البر والطف والطفرة .

(٢) كانت من مولات قريش ، يقال : يستنشى الأخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَعْدِثَةٌ علم امتلك السكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : لطح الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب : « كما ضياء الفرقد ، بدلا من « كإضاء الفرقد » .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكْنَى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطَّيِّب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبرُ بَنِيهِ : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطَّيِّب ، والطاهرُ فلهكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : ماريةُ القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن كهيعة ، قال : أم إبراهيم : ماريةُ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم التي أهداها اليه الْمُتَوَقِّسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصَنَاءَ .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قولِ الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكُ يَطْلُونه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانه ، أو كما قال :

فَجَعَلَ وَرَقَةً يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةٌ فِي ذَلِكَ :

لَحِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ مُجُوجًا	إِيَّاهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّسِيجُ
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
يَبْطُنُ الْمَكَنَّيْنَ عَلَى رَجَائِي	خَدِيشَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
بِمَا خَبَرْتَنِي مِنْ قَوْلِ قَسٍّ	مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَمُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا	وَيُخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ	يَقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْتَمِ مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْتَمِ مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالْيَسْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكْنِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى تَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّهُ فِتْنَى سَيَلْتَمِي	مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةٌ حُرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنكحها منه ، ذكره ابن إسحاق في آخر الكتاب .

أولاده من خديجة :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّي بالطاهر ، والطَّيِّبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمه الذي سُمِّي به أولُّ هو : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقع في مُسْنَدِ الْفَرَّايْنِ أن خديجة دخل عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يا رسول الله دَرَّتْ لُبَيْنَةَ القاسمِ فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوَّنَ على ، فقال : إن له مُرْضِعًا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون على ، فقال : إن شئتَ أسمعُكَ صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله . قولها ، لُبَيْنَةُ هى تصغير لَبْنَةٍ ، وهى قِطْعَةٌ مِنَ اللَّبَنِ ، كَالْعُسَيْلَةِ ، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبْنَةُ وَالْعَسَلَةُ وَالشُّهْدَةُ على هذا المعنى . قال المؤلف : وهذا من فتمَّها — رضى الله عنها — كرهت أن تُؤْمِنَ بهذا الأمر مُعَايِنَةً ، فلا يكون لها أَجْرُ التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وإِنَّمَا أَتَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ . وهذا الحديث يدل أيضاً على أن القاسمَ لم يهلك فى الجاهلية . واختافوا فى الصُّغْرَى وَالْكِبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، غير أن أُمَّ كَلْثُومٍ لم تسكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصحُّ فى فاطمة أنها أصغرُ من أُمَّ كَلْثُومٍ (١)

(١) فى نسب قريش ص ٢١ : و فولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية هم هكذا الأول فالأول ، ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون ابنه إبراهيم ، وفى زاد المعاد : وقد قيل فى كل واحدة منهم إنها أسن من اختها ، وقد ذكر عن ابن عباس : رقية أسن الثلاث ، وأم كلثوم أصغرهن

فمريجة ومجبري وتسميها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير
المتنبي . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى مجبري الراهب ،
واسمهُ سَرَجِس (١) فيما ذكر المسعودي ، فسأته عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ يا سيدة نساء قريش أني لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بغلي وابن عمي
محمد أخبرني أنه يأتيه ، فقال : قُدُّوس قُدُّوس ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّبٌ ، فإنه
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ، ولا أن
يتسمى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتي ذكره ، اسمه : عَدَّاس
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ ! أني لهذه البلاد أن يُذكرَ فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاس مثل مقالته الراهب ،
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً و يقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجم
من حَجَر . كذا قيده الدارقطني (٢) ، وأخوه : حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر ،

(١) استغلت الصليبية هذا الإفك المفقري ، فهنت القديسة العظيمة خديجة
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الحسن أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطني ص ٦٢ وفي نسب
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : وأمها : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عبد بن معيص ، وضبط خجر بضم الحاء .

وأما حَجْر بسكون الجيم ففي حَى ذَى رُعَيْنٍ وإليه ينسب الحَجْرِيُون ، وأما حَجْر بكسر الحاء ، ففي بنى الدِّيَّان: عبدُ الحَجْر بن عبد المَدَّان ، وهم من بنى الحارث ابن كعب بن مَذْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت زائدة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مُنْقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأمها قِلَابَة ، وهى العِرْقَة بنت سَعِيد بن سَعْد^(١) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَيٍّ وأمها : أُمَيْمَة بنت عامر بن الحارث بن قَمَر^(٢) .

من تزوجت هديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبي هالة ، وهو هند بن زُرَّارَة ، وقد قيل فى اسمه : زُرَّارَة ، وهند : ابنه ، ابن النَّبَّاش من بنى عَدِيٍّ ابن جِرْوَة بن أُسَيْد^(٣) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِي بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيْد بالقشديد ، كذا قال سيبويه فى النسب إلى أُسَيْد . وعدى بن جِرْوَة ، يقال

(١) فى نسب قريش : ه قلابَة ، وهى العِرْقَة بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ . وأما قلابَة بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعِرْقَة انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ . وفى نسب قريش . وفى نسب هالة جدة خديجة المذكور فى ابن هشام مخالفة لما فى نسب قريش ، فهو فى هذا كما يأتى هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) فى نسب قريش : ه أُمَيْمَة بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

(٣) فى مشابه القبائل لابن حبيب : ه أن كل شىء فى العرب أُسَيْد - بفتح الهمزة وكسر السين سوى أُسَيْد بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير . ص ٤٥١ ج ٢ الزهر .

إن الزُّبَيْرَ صَحَّفه ، وإنما هوى عِذَى بن جِرْوَةَ ، وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عَتِيق ^(١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عَتِيق ، كذا قال ابن أبي خَيْثَمَةَ ، وقال الزُّبَيْرُ : ولدت لعَتِيقٍ جاريةً اسمُها : هِنْدُ ^(٢) وولدت لهند أبي هَالَةَ ابناً اسمُه : هِنْدُ ^(٣) أيضاً ، مات بالطاعون طاعون البَصْرَةِ ؛ وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً ، فشغل الناسُ بجنازتهم عن جنازته ، فلم يوجد من يحملها ، فصاحت نادبته : واهِنْدُ بن هِنْداه !! واربيِّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تبق جنازةٌ إلَّا تُرِكَتْ ، واحتُمِلَتْ جنازته على أطراف الأصابع إعظاماً لربيِّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره الدُّوْلَابِيُّ ، ولخديجة من أبي هَالَةَ ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهرُ ، واسم الآخر : هَالَةُ . واختلف في سنَّه - صلى الله عليه وسلم - حين تزوّج خديجة فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنةً ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنةً ^(٤) .

مارية وإبراهيم :

فصل : وذكر أن خديجة - رضى الله عنها - ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلَّهم إلَّا إبراهيمَ ، فإنه من مارية التي أهداها إليه المَقَوْسُ ،

(١) وقيل : إن عتيق تزوجها بعد أبي هالة والقولان في الإصابة .

(٢) قيل : لأنها أسلمت ولها صحبة .

(٣) صحابي روى حديث صفة النبي شهد بدرا ، وقيل : أحدا . وذكر الدارقطني وابن بكار أنه قتل مع علي يوم الجمل .

(٤) في البيهقي والحاكم أن عمره كان خمسا وعشرين ، وعمرها خمسا وثلاثين .

وقد تقدم اسمُ الْمُتَوَقِّسِ ، وأنه جُرْنُجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُتَوَقِّسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حاطبِ بن أبي بلتعةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلى أبي رُهمِ الْغِفَارِيِّ ، واسم أبي رُهمِ : كَلْثُوم بن الْحَصَيْن . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سِيرِينَ ، وهى التى وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّان ابن ثابتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُتَوَقِّسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَابُورُ ، وبغلةً تسمى : دُلْدُلُ ، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتُوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنة ستَ عَشْرَةَ فى خلافةِ عُمَرَ - رضى الله عنه - وكان عُمر هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جنازتها بنفسه ، وهى ماريةُ بنتُ شَمُونِ (١) الْقَبْطِيَّةُ من كُورَةِ حَنْنَ . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - غمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْراً فى سنة عَشْرِ من الهجرة فى اليوم الذى كُسِفَتْ فيه الشمسُ ، وكانت قابلهُ ، سَمَى امرأَةَ أبى رافعٍ ، وأرضعته أُمُّ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَةِ امرأَةَ الْبَرَاءِ بن أَوْسٍ ، وسَمَى : هى مَوَلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلهُ بنى فاطمةَ كُلَّهم ، وهى غَسَلَتْها مع أسماء بنت عُمَيْسَ الْخُثَمِيَّةِ ، وغَسَلها معهما عَلِيُّ بن أبى طالب - كَرَّمَ الله وجهه - وفى الْمُسْتَد من طريقِ أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد فى نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له مارية ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء، حتى نزل جبريل عليه السلام، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم (١).

ز. حمزة ورقة :

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصى ، ولا عقب له (٢) ، وهو أحد من آمن بالنبي —

(١) في زاد المعاد : أن الطيب والظاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذى ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد في العام الثامن من الهجرة . وأن الذى بشره به هو أبو رافع مولاه ، فوهب له عبدا ، أما الحديث المروى عن طريق أنس ، ففيه ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفي روايات الحديث أن مابورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا ١٩١ وقد اختلف في مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضا : إنه ابن عمها ، وهو خصى ، ويقول ابن أبي الحديد — على تشيعه — في شرحه انهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها في سورة النور ، وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التى في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبلى . وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة . ص ٤٤٢ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الامالى المعروف باسمه ، فافترض صحة الحديث ، وزاح بزول الفاظه انظر ص ٥٤ ج ١ أمالى المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبي كبير : منب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص ٧٧ م ٧ نسب قریش ، ٢٥٦ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، وَهُوَ حَدِيثٌ فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَلَكِنْ يُقَوِّيه مَا يَأْتِي بَعْدَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَأَيْتُ الْفَسَّ يَعْنِي ، وَرَقَّةً وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ حَرِيرٌ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي ، وَصَدَّقَنِي ، وَسَيَأْتِي بَقِيَّةٌ مِنْ خَبَرِهِ (٢) فِيمَا بَعْدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَقَدْ أَلْفَيْتُ لِلْحَدِيثِ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي وَرَقَّةٍ إِسْنَادًا جَيِّدًا غَيْرَ الَّذِي ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاذٍ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، كَمَا بَلَّغْنَا فَقَالَ : رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ (٣) ، فَقَدْ أَظُنُّ أَنَّ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُ عَلَيْهِ الْبَيَاضَ ، وَكَانَ يَذْكُرُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيَسْبِّحُهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

(١) يقول ابن عساکر : « لَا أَعْرِفُ أَحَدًا قَالَ إِنَّهُ - أَى وَرَقَةَ - أَسْلَمَ .

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَقَالَ : إِنَّهُ مُنْقَطِعٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحَدٌ عَنْ طَرِيقِ ابْنِ لُحَيْعَةَ ، وَلَا يَعْتَدُ بِحَدِيثِ يَرُوى عَنْ طَرِيقِهِ . وَهَكَذَا كُلُّ حَدِيثٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ إِسْلَامِ وَرَقَةَ أَوْ آخِرَتِهِ ، فَهُوَ ضَعِيفٌ وَحَسْبُنَا مَا وَرَدَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ .

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم : أنا النذير ، فلا يفرزكم أحد
لا تعبدن (١) إلها غير خالقكم فإن دعواكم (٢) فقولوا : بيننا جدد (٣)
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا (٤) سبح الجودي والجود
مُسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى (٥) ملكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشأته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تنعن عن هُرمز يوماً خزائنه وأخلد قد حاولت عادً فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد (٦)
أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافدٌ يقد
خوض هنالك موزودٌ بلا كذب لا بد من وزده يوماً كما وردوا (٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما اعتقد - من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالحاء لا بالجيم » .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد ، وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبيات تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي
الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجة — رضى الله عنها — عن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم :

بِالرَّجَالِ اصْرِفِ الدَّهْرَ وَالْقَدَرِ (٢)	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها	أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر (٣)
نخبرنني بأمر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره	جبريل : إنك مبعوث إلى البشر
فقلت : علّ الذي ترّجى ينجزه	لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أنانا منطلقا عجبنا	يقف منه أعلى الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني	في صورة أكلت في أهيب الصور
ثم استمر فكان الخوف بذعرني	مما يسلّم من حولى من الشجر

== سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبل سبحانه الجودى والجد
والبيتان الاخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش
ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الاغانى .

(٢) فى الإصابة ، وصرف الدهر .

(٣) فى الإصابة

هذى خديجة تأتيني لأخبرها وما لنا بخفى الغيب من خبر

فقلت : ظني وما أدرى أَيْصَدُقَنِي أَنْ سَوْفَ تُبْعَثَ تَتَلَوُ مُنْزَلَ الشُّورِ
وسوف أُبْلِيكَ إِنْ أَغْلَمْتَ دَعْوَتَهُمْ مِنْ الْجِهَادِ بِلَا مَنٍّْ وَلَا كَدَرٍ
متى يقصر به المفرد :

فصل : وفي شعر وَرَقَّة :

بِطْنِ الْمَسْكَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا

ثَنِيَّةٌ مَكَّةَ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ ؛ لِأَنَّ لَهَا بِطَاحًا وَظَوَاهِرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ
الْبِطَاحِ ، وَمِنْ أَهْلِ الظُّوْهِرِ فِيمَا قَبْلَ ، عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي
تَثْنِيَةِ الْبُتْمَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَيِّتُ بَغْرَاتٍ . يُرِيدُ : بَغْرَةً وَبَغَادِينَ .
فِي بَغْدَادَ ، وَأَمَّا التَّثْنِيَةُ فَكَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ وَالْحُمَتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارِ^(١)

وَقَوْلُ زَهِيرٍ : وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ^(٢) . وَقَوْلُ وَرَقَّةَ مِنْ هَذَا : بِيْطَانِ

(١) فِي اللِّسَانِ : الرَّقَّةُ : الرُّوضَةُ ، وَرَقَّةُ الْوَادِي حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ ، وَأَجْرٌ :
جَمْعُ جَرَوْ ، وَجَمْعُ الْعَرَسِ وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ وَرَجُلُهَا ، وَلِبْوَةُ الْأَسَدِ : أَعْرَاسُ
وَقَدْ اسْتَعَارَهُ الْهَذَلِيُّ لِلْأَسَدِ فَقَالَ :

لَيْتَ مَهْزَبُشْ مُدِيلٌ حَوْلَ غَابَتِهِ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : الْبَيْتُ لِلْمَلِكِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْخُزَيْمِيِّ وَقَبْلَهُ .

يَا مِي لَا يَعْجِزُ الْإِيَّامُ بِجَهْرِيٍّ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَاءُكُمْ وَفَرَسَاسِ
الرِّزَامِ الَّذِي لَهُ زَمْبَرٌ ، وَالْفَرَسُ الَّذِي يَدُقُّ عُنُقَ فَرِيْسَتِهِ

(٢) الرَّقْمَانُ — كَمَا فِي اللِّسَانِ — رَوْضَتَانِ بِنَاحِيَةِ الصَّهْبَانِ ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ زَهِيرٌ .
وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ

الْمَكْتَنِينَ . لَا مَعْنَى لِإِدْخَالِ الظَّوَاهِرِ تَحْتَ هَذَا اللَّفْظِ ، وَقَدْ أَضَافَ إِلَيْهَا
الْبَطْنَ ، كَمَا أَضَافَهُ الْمُبْرِقُ حِينَ قَالَ :

بِطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٌ وَمَقْتُونٌ .

وإنما يقصد العربُ في هذا الإشارةَ إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارةَ إلى
أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المفزى ، وقد قالوا : صِدْنَا
بَقَنْوَيْنِ ^(١) وهو قنّا اسم جبل ، وقال عَنَتْرَةٌ .

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدِّ حُرْضَيْنِ ^(٢) .

وهو من هذا الباب في أَصَحِّ القولين ، قال عنترة أيضا ،

بُعْزَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْعَيْلِ ^(٣)

(١) في القاموس : الْقَنْسَوَانُ . جيلان

(٢) الدُّ حُرْضَانُ : موضعان أحدهما : دحرض ، والآخر : وسيع وقال
الجوهري : الدُّ حُرْضَانُ : اسم موضع . وقال : وسيع ودحرض ماءان ثنأهما
بلفظ الواحد ، وببت عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدِّ حُرْضَيْنِ ، فَأَصْبَحْتُ

زَوْرَاءَ تَنْفَرُ عَنْ حِجَاضِ الدَّيْلِ

(٣) في المراصد : عُنَيْزَةٌ . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : بَرْعَى مِيلَيْنِ مِنْ
الْقَرِيَتَيْنِ بِطْنِ الرَّمَةِ ، وَعُنَيْزَةٌ مِنْ أَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ قَرِبَ سَوَاحِ ، وَقُرَى عُنَيْزَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ
وَعُنَيْزَتْنِ ثُنْيَةٌ الَّتِي قَبْلَهُ . قِيلَ : هُوَ مَوْضِعٌ آخَرُ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي قَبْلَهُ ، ثَنَى كَمَا
قَالُوا فِي عِمَايَةِ : عِمَايَتَانِ ، وَفِي رَامَةِ : رَامَتَانِ وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ .

وَالْعَيْلُ بِالْعَيْنِ لَا بِالْأَيْنِ . فِي الْمَرَاصِدِ . وَاللَّسَانُ : الْعَيْلُ : مَوْضِعٌ فِي شَعْرِ عَنَتْرَةٍ .

كَيْفَ الْمَزَارِ وَقَدْ تَرَجَّعَ أَهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْعَيْلِ

وَعُتِّيزَةُ اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كَلَاهُمَا (١)

وإنما هو مِرْبَدُ البصرة . وقولهم :

تَسَالَنِي بَرَامَتَيْنِ سَلَجَمَا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عَشِيَّةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كَلَاهُمَا عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
والمِرْبَدُ : المِسْكَانُ الَّذِي يَحْبَسُونَ فِيهِ الْإِبِلَ وَبِهِ سَمِي مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ وَبِهِ كَانَتْ
مُفَاخِرَاتُ الشُّعْرَاءِ ، وَجَالَسَ الْخُطَبَاءَ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ إِنَّهُ عَنَى
بِهِ سَكَّةَ الْمِرْبَدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَالسَّكَّةُ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي تَمِيمٍ جَعَلَهُمَا الْمِرْبَدَيْنِ كَمَا يُقَالُ
الْأَحْوَصَانِ وَهُمَا : الْأَحْوَصُ وَعُوفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ، وَاللَّسَانُ الْمُرَاصِدُ ، يَأْقُوتُ ،
(٢) رَامَةٌ : مَنْزِلٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَبَعْدَهُ بِمَرْحَلَةٍ أُخْرَى دِيَارُ بَنِي تَمِيمٍ ،
وَقِيلَ : جَبَلُ بَنِي دَارِمٍ ، وَرَامَةٌ أَيْضاً مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَلِلسَّلْجَمِ عِدَّةُ مَعَانٍ مِنْهَا
أَنَّهُ نَبْتٌ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَقُولِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ السَّلْجَمُ : مَعْرَبٌ وَأَصْلُهُ بِالسِّينِ
وَالْعَرَبُ لَا تَسْكُلُمُ بِهِ إِلَّا بِالسِّينِ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ سَيُيُوهُ بِالسِّينِ فِي بَابِ عِلَلٍ
مَا يَجْعَلُهُ زَائِداً فَقَالَ : وَتَجْعَلُ السِّينَ زَائِداً إِذَا كَانَتْ فِي مِثْلِ سَلْجَمٍ . وَقِيلَ لِرَامِي .
لَمْ يَزِرْعَمْ السَّلْجَمَ ، فَقَالَ مُعَانِدَةٌ لِقَوْلِهِ :

تَسَالَنِي بَرَامَتَيْنِ سَلْجَمَا

بَاقِي لَوْ سَأَلْتَ شَتَا أَمَّا

جَاءَ بِهِ السَّكْرَى أَوْ تَجَشَّمَا

لَوْ أَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئَا أَمَّا

وَفِي اللَّسَانِ ، فَأَمَّا لِكُثْرَتِهِمْ مِنْ ثَنِيَّةٍ رَاصَةٍ فِي الشُّعْرِ فَعَلَى قَوْلِهِمُ الْبَعِيرُ ، ذُو عَثَانَيْنِ .
كَأَنَّهُ قَسَمَهَا جَزَائِنَ . وَيَقُولُ ابْنُ سَيِّدَةَ إِنَّهَا سَمِيَتْ رَامَتَيْنِ لِلضَّرُورَةِ لِأَنَّهُمَا لَوْ
كَانَا أَرْضَيْنِ لَقِيلَ : الرَّامَتَيْنِ ، .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرَكَ مَرَّةً ، وفي التنزيل : ([لقد كان لِسَابًا في مَسْكِنِهِمْ آيةٌ . جَنَّاتٍ [عن يمين وشمال) إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ الآية . السكهف : ٣٢ ، وفي آخرها : (ودخل جَنَّتَهُ) فأفرد بعد مائتي ، وهي (١) هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول في هذه الآية يسمع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضوحك . معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فلما أخاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في البيضاوي : « أفراد الجنة ، لأن المراد . ما هو جنته ، وهي مامع به في الدنيا تلبيها على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولا اتصال كل واحد من جنتيه بالآخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة . وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر ، وفى أسماء البارى سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ . ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أُمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نوره الوقاية فى إبه وأهوائها :

فصل : وفى شعر ورقة : فياليتنى إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردى . وهو فى لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلّ وَلَقَنَّ ولأن بمعنى واحد ، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكّد حذف النون من لعلنى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكان لاجتماع النونات ، وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل : ﴿أَعْلَى أَرْجَع إِلَى النَّاسِ﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، ومجىء هذه الياء فى ليتى بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمّر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا فى المخفوض : مَنَّى وعَتَّى بنونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذا الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض ، وفى حال النصب .

مول نغرم صدره المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الماء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة للمصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، وتناهى في تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿ أكان للناس عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا [إلى رجلٍ منهم] ﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿ لَا يَبْغُونَ عنها حِوْلاً ﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿ ولم يَجِدُوا عنها مَصْرِفاً ﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿ لَوَلَّيْت منهم فراراً ﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مُعَوَّلٌ ، فيحسن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و [محمد بن يزيد] المبرِّد أيضاً في ضَرْباً زِيداً ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْباً هاهنا في معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رُبِطَ هذا الباب وتفصيله .

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقي الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول ؛ فذلك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه (م ١٧ - الروض الأنف ج ٢)

حُسْنُ قول ورقة : أن أرى منه خُرُوجًا ، أى : أرى خروجا منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، لكن حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فرجًا ونُجْرًا ، فَمِنْ أمرنا : متعلق بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُنْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةَ رَائِحُ	وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحُ (١)
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ	كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَرْتُ عن محمد	ينخبها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذى وجهت ياخيرَ حُرَّةَ	بِفُورٍ وبالنجدين حيث الصَّاحِصُ (٢)
إلى سُوقٍ بُصْرَى في الركاب التى غدت	وهُنَّ من الأحمال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)
نُفِّرْنَا عن كلِّ خيرٍ بعلمه	ولاحق أبوابُ أهْنٍ مَفَاتِحُ

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هى أكال يقع في الشجر والاسنان ، وهى الصدع في العود .

(٢) الفور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بنى سليم . والنجد : ما خالف الفور أى تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصاحص : جمع صحص الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقفص : الموت السريع والقعاص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهْمُونَ بذلك ، لِيُسَقِّفُوا بها بنيانها ، وإنما كانت رَمَما فوق القامة ، فأرادوا رَفَعَهَا وتَسْقِيفَهَا ، وذلك أن نفرا سرقوا كنزا للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُوَيْكَا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : ففُطِعت قريشُ بده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْكَا وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّةَ لرجل من تجَّار الروم ، فتحطَّمت ، فأخذوا خَشَبَهَا فأعدَّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبضيَّ نَجَار ، قَبِيها لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصْنَعُها وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يهدى لها كل يوم ، ففَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، وكانت مما يهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا اخْزَأَّتْ وَكَشَّتْ ، وفتحت فاهها ، وكانوا يهاونها . فبينما هي ذات يوم تَشَرَّقُ على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع

بأن ابن عبد الله أحمدَ مُرْسَلٌ إلى كلِّ مَنْ ضُمْتُ عليه الأباطح
 وظنِّي به أن سوف يُبْعَثَ صادقا كما أُرْسِلَ العبدان هُودٌ وصالح
 وموسى وإبراهيمُ حتى يُرى له بهائمٌ ومنشورٌ من الذكر واضح
 ويتبعه حَيَّا لُوِيَّ جماعة شياهم والأشقيون الجحَّاجُ (١)

بِعثَ اللهُ إِلَيْهَا طَائِراً فَاخْتَطَفَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ لَمْ نَرْجُو أَنْ
يَكُونَ اللهُ قَدْ رَغِيَ مَا أَرَدْنَا ، عِنْدَنَا عَامِلٌ رَفِيقٌ ، وَعِنْدَنَا خَشَبٌ ، وَقَدْ كَفَانَا
اللهُ الْحَيَّةَ .

فَلَمَّا أَجْعُوا أَمْرَهُمْ فِي هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهَبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ
عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِدٌ : ابْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . فَتَنَاولَ
مِنَ السَّكْبَةِ حَجْراً ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
قَرِيشَ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّباً ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرُ بَنِيٍّ
وَلَا بَيْعُ رِبَاً ، وَلَا مَظْلَمَةٌ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ يَنْحَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ الْوَالِدَ بْنَ
الْمُعْبِرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي تَجِيحٍ السَّكِّيُّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ هُصَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . أَنَّهُ رَأَى ابْنَ الْجَعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ
بْنَ عَمْرِو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا ابْنُ الْجَعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ
عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ عِنْدَ ذَلِكَ : جَدُّ هَذَا ، يَعْنِي : أَبَا وَهَبٍ الَّذِي أَخَذَ حَجْراً مِنْ
السَّكْبَةِ حِينَ أَجْمَعْتَ قَرِيشٌ لِهَدْمِهَا ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَقَالَ
عِنْدَ ذَلِكَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ : لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّباً . لَا تُدْخِلُوا
فِيهَا مَهْرَ بَنِيٍّ ، وَلَا بَيْعَ رِبَاً ، وَلَا مَظْلَمَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

فَإِنْ أَبْقَى حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبْشِرُ الْوَدِّ فَارَحِ
وَلَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ — فاعلمي عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَاطِعِ

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفاً ، وله بقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنخت مطيئى غدت من نداه رخلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤى بن غالب إذا حصلت أنسابها في الذوائب
أبي لأخذ الضيم يرتاح للندى توسط جداه فروع الأطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه من الخبز يملوهم مثل السباب

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، ابني عمرو بن هضيص بن
كعب بن لؤى . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن
العزى بن قصي ، ولبنى عدي بن كعب بن لؤى وهو الحطيم

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا
أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع - قال
ابن هشام : ويقال : لم ترغ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية
الركنتين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء ، فقد رضى الله صنعنا ،
فهدمنا . فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ،
حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضهم بعضها .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض مَنْ يَرَوِي الحديث : أن رجلاً من قُرَيْشٍ ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرَيْنِ منها لِيَقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَها ، فاتَّهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن قُرَيْشًا وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذُو بَكَّةَ ، خلقتها يوم خلقتُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، وصَوَّرْتُ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حُنَفَاءَ ، لا تَزُولُ حتى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا ، مُبَارَكٌ لأهلها في الماءِ واللبنِ » .

قال ابن هشام : أَخْشَبَاهَا : جَبَلَاهَا .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مَكَّةُ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ ، لَا يُحْلِلُهَا أَوَّلُ مِنْ أَهْلِهَا » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليثُ بن أبي سُلَيْمٍ أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً ، يَحْصُدْ غَيْطَةً ، ومن يزرع شراً ، يَحْصُدْ نَدَامَةً . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْنَ الحسنات ! أَجَلٌ ، كما لا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبِ » .

قال ابن إسحاق : ثم إنَّ القبائل من قُرَيْشٍ جَمَعَتِ الحِجَارَةَ لبنائها ، كلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ على حِدَةٍ ، ثم بَنَوُهَا ، حتى بلغ البُنيان موضعَ الركن ، فاخْتَصَمُوا فيه ، كلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الأُخْرَى ، حتى تَحَاوَرُوا

وتحالفوا ؛ وأعدّوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَةَ مَمْلُوءَةً دِماً ، ثم
تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم
في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فَسَمُّوا : لَعَقَةُ الدِّم ، فمكثت قُرَيْش على ذلك
أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فرغم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
محزوم ، وكان عامِئذٍ أسنَّ قُرَيْش كلها ، قال : يا معشر قُرَيْش ! اجعلوا
بينكم - فيما تختلفون فيه - أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم
فيه ، ففعلوا : فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ،
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه
الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ
فَوَضَعَهُ فِي يَدِهِ ، ثم قال : لِنَأْخُذْ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثم ارفعوه
جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضِعَهُ ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيْش تسمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل
عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنيان ، وبنوها على ما أرادوا ، قال
الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ
الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ إِلَى الثُّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَحْيَانًا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبُنَا الْبِنَاءُ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جَاءَتْ عُقَابٌ تَحْلُبُ لَهَا انْصِبابُ
 فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ خَلَّتْ لَنَا الْبُنْيَانَ ، لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
 فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
 غَدَاةَ تَرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا ثِيَابُ
 أَعَزَّ بِهِ الْمَلِكُ بَنِي لُؤْيٍ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
 وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَمُرَّةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
 قَبِيلَانَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ النُّوَابُ

قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وَلَيْسَ عَلَى مَسَاوِينَا ثِيَابُ

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تُكْسَى الْقَبَاطِي ، ثُمَّ كُسِيتِ الْبُرُود . وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا الدِّيَابِجُ : الْحِجَّاحُ بْنُ يَوْسَفَ .

بنيان الكعبة

ففى خبرها أنها كانت رَحْمًا فوق القامة . الرَّحْمُ : أَنْ تُنْضَدَ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ ^(١) كما قال :

رُزِثُهُمْ فِي سَاعَةِ جَرَعَتُهُمْ كُتُوسَ الْمَنَايَا تَحْتَ صَخَرٍ مُرَضِّمٍ

وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غيرُ مُبَيَّنٍ لِمَقْدَارِ ارْتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطَّيْنُ يَجْعَلُ بَيْنَ سَاقِ الْبِنَاءِ ، وَيَمْلِطُ بِهِ الْحَائِطُ .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقاً ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ^(١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجْمرها ، فطارت شرارة من المِجْمَر ^(٢) في أستارها ، فاحترقت ، فشاورا بن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حَجَرًا فَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهَوًّا ^(٣) . فأمرهم أن يُقَرُّوا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم .

الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : ودفنوه . أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جلت يطوف بها ، فلما استتم بنائها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجر فيها ، وذلك لحديث حدثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حدثنان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً^(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجر أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسا من تخليط أبي خبيب^(٢) بشئ ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع^(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والفسائى والترمذى .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الخبيان

(٣) القبايع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخمة ، ولقد لقب الحارث بهذا

لأنه اتخذ ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولى عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقبايع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض : ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب فى =

فحدثناه عن عائشة، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم،

== عنقها حين ماتت، فخرج إلى الناس، فقال: انصرفوا رحمكم الله، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم، فاستحسن ذلك منه. يقول عنه ابن سبة: وكان الحارث ابن عبد الله شريفاً كريماً ديناً وسيداً من سادات قريش، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة. انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ وص ١١٤ المجلد الأول من الأغاني طبع لبنان.

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاده في طوله فأفره، وأما ما زاد فيه من الحجر، فردّه إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه، فنقضه وأعادّه إلى بنائه. وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا مخشيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها، فقال الحارث: بل أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قالت: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حدائنه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، وأراها قريباً من سبعة أذرع. هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم، وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض، شرقياً وغريباً، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا. قال: تعززا ألا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط. وفي رواية: أن عبد الملك قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا تقل هذا يا أمير المؤمنين؛ فإنني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير. ويقول ابن كثير: فهذا الحديث

فندم ، وجعل يَنْسُكُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ
أَبَاخِينِيْب ، وما تَحْمِلُ من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ،
وأراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور في ذلك ، فقال مالك بن أنس :
أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ تَجْعَلَ هَذَا الْبَيْتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بَعْدَكَ ، لَا يَشَاءُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيْرَهُ ^(١) فتذهب هيئته من قلوب الناس ، فصرفه عن
رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى في أيام جُرْهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان
قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما
وَهَى مِنْهُ ، وَجِدَاراً بُنِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ ، بَنَاهُ عَامِرُ الْجَارُودِ ^(٢) ، وقد تقدم هذا
الخبر ، وكانت الكعبة قبل أن يبنها شيثٌ عليه السلام خيمةً من يا قوتة حمراء
يطوف بها آدم ، ويأنس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى
موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق في
غير رواية البُكَائِيِّ . وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فلما

== كالقُطُوعِ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ ؛ لِأَنَّهُ قَد رَوَى عَنْهَا مِنْ طَرُقٍ صَحِيحَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى
صَوَابِ مَا فَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَلَوْ تَوَكَّلْنَا لَكُنَّا جَيِّدًا . وَلَكِنْ بَعْدَ مَارْجِعِ الْأَمْرِ إِلَى
هَذَا الْحَالِ ، فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُغَيِّرَ عَنْ حَالِهِ .

(١) نقل النووى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدي ، وأن
ما لسكا قال : مالك يا أمير المؤمنين . لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء
أحد أن يهدمها إلا هدمها .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قريش ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣ . وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى ، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ^(١) ، فذلك حرّمها . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حرّم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أتينَا طَائِعِينَ ، حرّم صيدها وشجرها وخلّاها إلا الإذخر ^(٢) ، فلا حرمة إلا لى طاعة ، جعلنا الله ريم أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الاحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتى أحياناً بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتا ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فإلها لم تحرم ؟ !

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . د إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فبى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : د إن إبراهيم حرم مكة ، وإلى أحرم ما بين لابتها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . د اللهم إنى أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم إبراهيم مكة ، وفى حديث رواه البخارى : د إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . . =

سبب آفة بنيان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خير آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِٱلْبَقَرَةِ : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتاً ، وفي كل أرض بيتاً ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتاً ، كل بيت منها منّا صاحبه ، أى : في مقابلته ، لو سقطت اسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فذلك القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس (١) .

= وفي هذا نظر ، فالتة جل شأنه هو الذي يحل ويحرم لا النийون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » ، في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحميه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلمها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء (١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودَّ لون بنيه ، فاسودَّ كُوشُ بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا (٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت رُبوةً من مَدَرَةِ (٣) وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك (٤) .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء . هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموى أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس الحبشة وقيل عن باقوم القبطى لأنه كان مولى سعيد بن العاصى بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان فى سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محركة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذى لا رمل فيه واحدة مدرة :

(٤) لم يرد هذا فى نقل صحيح .

وَبُذِّكِرَ أَنَّ يَغْرُبَ قَالَ لَهودٍ عليه السلام : أَلَا نَبْنِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَبْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ اسْمَعِيلُ بِنَكَّةٍ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّتهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ^(١) ، وَظَلَّلَتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْفَةِ ^(٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عَلَمًا عَلَى قِبْلَتِهَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ ، كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحَجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنًا ، وَطَوْرُ زَيْتَا ^(٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودَى وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ ^(٥) ، وَتُبْنَانٌ ^(٦) وَحِرَاءٌ وَهِيَ بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمْعُهُ مِنْ آثَارِ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ ، فَشَاكِلَ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعُمُودِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رَوَاةِ هَذَا : رِيحٌ خَجُوجٌ ، وَلَهَا رَأْسَانِ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى مَكَّةَ ، فَطَوَّاتِ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَلَى الْجُحْفَةِ . وَالْخَجُوجُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَرَّ ، أَوِ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي مَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى يَبْنِي عَلَى أُسْطُورَةٍ رَأْيَا وَحْدَيْهِ السَّكِينَةُ لَيْسَ لَهُ سَنَدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ دَجَلَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَادِدِ ، لِبَنَانِ جَبَلَانِ قَرِبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَاكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمُبْرَكُ بَرَكَ الْقَبِيلُ بِهِ

وعليكم السكينة^(١) » فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم^(٢) » ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لأبرءا من استلمهما من الحرس والجذام والبرص^(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئاً كتبه فى صكٍّ ، وألقمه الحجر الأسود ، ولذلك يقول المستمل له : إيماناً بك ، ووفاء بعهدك^(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فاتموا .

(٢) لا يعتمد بمثل هذا . وفى البخارى : « فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبى حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى بيده الشفاء لا الركن اليماني . إنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ١١

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف = (١٨ م - الروض الأنف ٢٠)

من اللبن ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسمى : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودعا فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

= (ولما أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) وقال : (وجعلكم خلفاء الأرض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : أأنت بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدكم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - وما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراك ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة له) ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطاهرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . أأنت بربكم ؟ » قالوا : بلى شهدنا . فكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلق الذر ، فقرروهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله عما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : ولما أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه =

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سودّته خطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن
أبويه يهودانه وينصرّانه ويمجّسانه ، حتى يسودّ قلبه بالشرك ، لما حال عن
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فأسودّ من الخطايا قلب ابن آدم
بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت
الخطايا سببا في ذلك حكمّة من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنيان الكعبة
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرزين بن معاوية ، ومن
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باغنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، لئلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،
وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،
وأنها تناولت من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد
آدم ، فهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل نقل على بطلانه
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسهيلي رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الأساطير

اليماني فسُمي باليماني - فيما ذكر القَتَبِيُّ - لأن رجلا من اليمين بناه اسمه : أبيُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ وراثَةً بقيةَ ما أبقي أبيُّ بنُ سالم

مول بناء المسجد الحرام :

وأما المسجدُ الحرامُ فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشتري تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبنى المسجدَ المحيطَ بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دورا أخرى ، وأغلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زاد في إنقائه ، لاقى سَعَتَهُ ، وجعل فيه عمداً من الرُخَامِ ، وزاد في أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّةَ ، واحتملت من جُدَّةَ على العجل إلى مكةَ ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ ، وقد كنا قدَّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر بن كلابٍ ممن كساها الديباجَ قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد في حُلِيِّها ، وصرف في مِيزَابِها وسَقْفِها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطَلَةَ من جزيرةِ الأندلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزبرجدٍ ، وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسَّخَ تحتها ، فضرَبَ منها الوليدُ حِلِيَةَ

للكعبة، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زاد أيضا في إتيان المسجد، وتحسين هيئته، ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل إلى الآن. وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليل على أن رباع أهل مكة ملك لأهلها، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا، وفي ذلك اختلاف.

كنز الكعبة والنجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق دُونِكَا الذي سرق كنز الكعبة، وتقدم أن سارقا سرق من مالها في زمن جُرهم، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجر فخبس فيها، حتى أخرج منها، وانزع المال منه، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدي، بيضاء البطن سوداء العنق، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين، وهي التي ذكرها ابن إسحاق، وكان لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا اخزألت^(١) أي : رفعت ذنبا، وكسبت أي : صوّتت^(٢). وذكر ابن إسحاق أن سفينة رماها البحر إلى جدة، فتحطمت، وذكر غيره عن ابن منيّه أن سفينة خجّتها الريح إلى الشعبية، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. والشعبية بضم الشين ذكره البكري، وفسر الخطابي خجّتها : أي دفعها بقوة، من الريح الخججوج أي : الدفوع.

(١) في الأصل، وفي شرح السيرة للخشي: اخزألت بالخاء، وهو خطأ صوبته من نسخ أخرى للسيرة ومن اللسان والقاموس.

(٢) وللخشي: الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض. وفيه السيرة. تشرق: أي تبرز للشمس.

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذکر غيره أنه كان عابجا (١)
فى السفينة التى خبّتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)
وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - من طَرَفَاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحية والدابة :

فصل : وذکر خبر العُقَابِ ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة ،
وقال غيره : طرحها الطائر بالحجُونِ ، فالتصمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن
المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ،
واسمها : أَقْصَى ، فيما ذَكَر ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو النَّقَّاشُ ، وهو من
أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى
عليه السلام سأل ربّه أن يُرِيّه الدابة التى تُكَلِّمُ الناسَ ، فأخرجها له من
الأرض ، فرأى منظرا هالكا وأفرغه ، فقال : أَى رَبِّ : رُدَّهَا ، فَرَدَّهَا (٣) .

لم نزع :

وذکر ابن إسحاق حديثَ الحَجَرِ الذى أُخِذَ من الكعبة ، فوثب من يد
أخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بالعمول فى حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كسفار العجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبأ قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح
السيرة للخشنى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتد به . والدابة تطلق على الإنسان .
فلنقف عند القرآن والنقاش بكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح .

فلمعت بركة كادت تخطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ،
وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترغ ، وهى كلمة تقال
عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا
الموطن فيُنفى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فذلك تكلموا بها ،
وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو
مُحال في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ
بها (١) ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً
لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم ترغ ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صبر أبي لرب : وذكر قولهم : لا تُدخلوا في هذا البيت مهر
بغى وهى الزانية ، وهى قول من البغاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز
عندهم أن يكون على وزن فعيل ، لأن فعيلاً بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث
كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو :
امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا بيع رباً يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية ، كما
كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرماً عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الرّوع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم إنه لم يرد قول صحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقانى على المواهب : اللهم لم
ترع . أى : لم تفرع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة
السهلى الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الخشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن
كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقى فيهم الحجُّ والعُمرة وشيء من أحكام الطلاق .
والمُتَّقِ وغير ذلك . وفى قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .
البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر النوى طوله مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذى وجد مكتوباً فى الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة .
لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فى الجامع عن الزهرى أنه قال : بلغنى أن قريشاً
حين بنوا الكعبة ، وجدوا فيها حجراً ، وفيه ثلاثة صُفُوح^(١) فى الصَّفْحِ
الأول : أنا الله ذوبكة صُفَّتْها يوم صُفَّتْ^(٢) الشمس والقمر إلى آخر
كلام بن إسحاق ، وفى الصَّفْحِ الثانى : أنا الله ذوبكة ، خلقت
الرحم ، واشتت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَدَتُهُ ،
وفى الصَّفْحِ الثالث : أنا الله ذوبكة^(٣) ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان
الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه ، وفى حديث ابن إسحاق :
لا يُحِثُّها أول من أهابها ، يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال .

(١) فى البداية : أصفح ، وهو أنسب وصفة الشيء : جانبه

(٢) فى البداية : صنعها وهو يناسب رواية : خلقتها التى فى السيرة

(٣) فى البداية : . وإنى أنا الله ، فى جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة .
ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففياً ذكر السهلى وابن هشام ما يدل .
على هذه النسبة . وإن كانت كلمات حق . ففى الإصحاح الخامس والسادس والسابع
من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم » - إلى تبته ، لحديث رواته
أبو داود والترمذى « أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها . منى
اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بقتته » .

فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْن بن مُدَيْرٍ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن
أبي ربيعة :

أَلَا مَنْ لَقِبَ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ

يعنى بالحل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

مولد الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن ، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوى أسنانكم ، فكاد ينير شراً فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحسن منهم التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر . وذكر ابن إسحق أيضاً أنهم أفضوا إلى قواعد البيت ، وإذا هم خُضِرُ كالأُسْنَمَةِ ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب : كالأُسْنَةِ ، وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كَأُسْنَمَةِ الإبل ، وتشبيهها بالأُسْنَةِ لا يشبه إلا في الزُرْقَةِ ، وتشبيهها بأُسْنَمَةِ

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عبد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت
العقاب . إلى قوله : تَتَلَبَّبُ لها انصباب . قوله : تَتَلَبَّبُ ، يقال : اتلأب
على طريقه إذا لم يُعَرِّجْ يَمْنَةً (٢) ولا يسرّة ، وكأنه منجّوت من أصلين كما تقدم
في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وألب : إذا أقام ، وأبّ أيضاً قريب من هذا
المعنى . يقال : أبّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتها ، فكانه مُقِمٌّ
مُسْتَمِرٌّ على ما يتاوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتلأب : التلأبية على
على وزن الطمانينة والقشعريرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوِّنا ثياب . أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى

(١) عند أبى ذر الخشنى فى تفسير تشبيهها بالاسنة . وأراد أن الحجارة دخل
بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، ومن رواه كالاسنة
فهو جمع سنان الرمح شبهها بالاسنة فى الخضرة ، وفى القصيدة البائية فى السيرة .
الدوايب : يريد الانساب الكريمة . والسيائب : جمع سبيبة وهى ثياب رفاق بيض
فشبهه الشحم الذى يعلو الجفان بها . عن الخشنى ، والحطيم : سعى حطما ؛ لأن
الناس يزدهون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضا ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه
عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تجاوزوا : انحازت كل
قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هى كلمة سعى بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا
تتأب : تتابع فى انقضائها

(٢) وفى القاموس : استقام وانتصب

حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبَل القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخُمس رأياً رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطَّان مكة وساكنها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حَقِّنَا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيَقْرَوْنَ أنها من المشاعر والحجَّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفَيِّضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرَمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نعظم غيرها ، كما نُعَظِّمُ نحن الخُمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلَدُوا من العرب من ساكنِ الحِلِّ والحَرَمِ مثلَ الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يحلّ لهم ما يحلّ لهم ، ويَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم . وكانت كُنَانَةُ وَخَزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ النخعي : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن مَعْدِيكَرِب :

معنى الحديث الصحيح في نقلناهم الحجارة إلى السكبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءً ، ويرون ذلك دِيناً ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَات ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعلة من السَّوَاءِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا بَتَثْلِيثَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسُ

قال ابن هشام : تثلِيث : موضع من بلادهم ، والشَّيَار : الحسان . يعنى بالأحامس :
بَنِي عامر بن صَعْصَعَة . وبعباس : عباس بن مِرْدَاس السُّلَمِي ، وكان أغار
على بَنِي زُبَيْد بَتَثْلِيث . وهذا البيت في قصيدة لعمرؤ .

وَأُنْشَدْنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِي فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّمَا بَنُو عَبْسٍ الْمَغْشَرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحَسِ

لأن بني عَبْس كانوا يوم جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فِي بَنِي عامر بن صَعْصَعَة .

ويومُ جَبَلَةَ : يومٌ كان بين بني حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تَمِيم ،
وبين بني عامر بن صَعْصَعَة ، فكان الظَّفَرُ فيه لبني عامر بن صَعْصَعَة على بني
حَنْظَلَةَ ، وقُتِلَ يومئذ لَقَيْطُ بن زُرَّارَةَ بن عُدُس ، وأَسِرَ حَاجِبُ بن زُرَّارَةَ بن
عُدُس ، وانهزم عَمْرُو بن عَمْرُو بن عُدُس بن زَيْدُ بن عبد الله بن دَارِمِ بن
مالك بن حَنْظَلَةَ . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرَ بن عَمْرٍو إِذْ دَعَا: يَا دَارِمَ

وهذا البيت في قصيدة له :

نَمِ التَّقْوَا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظَّفَرُ لِحَنْظَلَةَ عَلَى بَنِي عامر ، وقُتِلَ
يومئذِ حَسَّانُ بن مُعَاوِيَةَ السَّكِنْدِيُّ ، وهو أَبُو كَبْشَةَ . وأَسِرَ زَيْدُ بن الصَّعِقِ

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجى طفيل بن مالك على قُرُول رَجَلارَ كُوضِ الهَزامِ
ونحنُ ضَرَبْنَا هامةَ ابنِ خُوَيْلد يزيد على أمِّ النِراخِ الجَواثِمِ
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ حَضَبْنَا لابنِ كَبْشَةَ نَاجِه ولاقى امرأَةً في ضَمَّةِ الخَيلِ مِصْقَعَا
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلَة ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من
استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا :
لا ينبغي للحُمس أن يَأْتَقِطُوا الأَقِطَ ، ولا يَسَلُّوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا
بيتاً من شَعَرٍ ، ولا يَسْتَظِلُّوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأَدَم ما كانوا
حُرُمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام
جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجاً أو عَمَّاراً ، ولا يطوفوا
بالبيت إذا قَدِمُوا أوَّلَ طَوافهم إلا في ثياب الحُمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً
طافوا بالبِيت عُرَاءً ، فإن تَكَرَّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

ثياب الحُمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسَّها هو ، ولا أحدٌ غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : الآتَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُرَاءً ، أما الرجال فيطوفون عرَاءً . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مُقَرَّجاً عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

وَمَنْ طَافَ مِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا مِنَ الْحِلِّ أَلْقَاهَا ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَذْكُرُ شَيْئاً تَرَكَهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَلَا يَقْرُبُهُ - وَهُوَ يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزْناً كَرَّيْتُ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ يَقُولُ : لَا تُمَسُّ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قريشاً ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّمُوا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت . حين طافوا عُرَاءً ، وحرَّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » الأعراف : ٣١ : ٣٣ . فوضع الله تعالى أمرَ الحُجْس ، وما كانت قُرَيْشُ ابتدعت منه ، عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ، عن عَمِّهِ نَافِعِ بن جُبَيْرٍ عن أبيهِ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ . قال : لقد رأيت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإِنه لواقفٌ على بَهِيرٍ له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

الحُجْس

فصل : وذكر الحُجْس ، وما ابتدعته قُرَيْشُ في ذلك ، والتَّحَمُّسُ : التشدد ، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهبَ التَّزَهُدِ والتَّأَلُّهِ (١) ، فكانت نساؤهم

(١) في البداية أنهم لقبوا بهذا من الشدة في الدين والصلابة ، لأنهم عظموا الحرم تعظيماً زائدا بحيث التزموا بسببه ألا يخرجوا من ليلة عرفة . . فكانوا لا يقفون بعرفات مع عليهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة

لَا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْلُثُونَ السَّمْنَ، وَسَلَّ السَّمْنُ أَنْ
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَبِرْهَةَ :

إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ مُحَيَّسَةٌ نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسَلُّوْهَا (١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شياراً جِيادُنا . البيت :
شياراً من الشارة الحسنة يعنى : سماناً حسناً وبعد البيت :

وَلَسَكُنْهَا قِيدَتْ بِصَعْدَةٍ مَرَّةً فَأَصْبَحْنَا مَائِمِينَ إِلَّا تَكَارُسًا (٢)

وَأَشْدَ أَيْضًا : أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبَسَ (٣) . أَجْذِمَ : زَجَرَ
معروفٌ للخيول وكذلك : أَرْحَبُ ، وَهَبٌ وَهَقِطٌ وَهَقِطٌ وَهَقَبٌ (٤) .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تشرح ، وإنما حُبست للنجس أو القسم
(٢) تَكَارَسَ الشَّيْءُ : تَوَاقَمَ وَتَلَازَبَ ، وَنَاصَبَتْ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي السَّيْرِ
بِالْيَاءِ وَالْيَاءُ مَعًا — كَمَا يَقُولُ الْخَشَنِيُّ — مَعْنَاهَا وَهِيَ بِالْيَاءِ : عَارَضَتْ ، وَأَرَدَتْ
الْمَسَاوَاةَ فِي الْمَنْزِلَةِ ، وَقَدْ يَكُونُ نَاصَبَتْ : بِمَعْنَى إظهار العدَاوة ، وَتَثْلِيثُ
مَوْضِعٍ بِالْحِجَازِ قَرَبَ مَكَّةَ

(٣) فِي السَّيْرِ : « الْمَعْشَرُ الْجَلَّةُ ، الْجَلَّةُ : الْعِظَاءُ ، وَمَنْ رَوَاهُ الْخَلَّةُ ، فَعْنَاهُ الَّذِينَ
يَسْكُنُونَ الْحُلَّ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْمَعْشَمُ — وَزَنْ مَقْعَدٌ — بَدَلًا مِنْ مَعْشَرٍ »

(٤) هَقِطٌ : تَكَرَّرَ مِنَ الطَّامِعِ ، وَفِي اللِّسَانِ : أَرْحَبِي أَيْضًا ، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَادَّةِ
هَبٍ إِلَّا « هَبَّ إِذَا زَجَرَ » ، وَفِي مَادَّةِ رَحَبٍ رَوَى بَيْتُ السَّكَيْتِ بْنِ مَعْرُوفٍ
نَعَلَهَا هَبِي وَهَلَا وَأَرْحَبِي وَفِي أَبْيَاتِنَا وَلَنَا افْتَلَيْنَا

يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة^(١) هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيسُ بَجْرانَ ، وهو ابنُ الجُونِ الكِنْدِيِّ وأخُ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حَسَّانَ بنَ وَبَرَةَ ، وهو أخو النعمان لأُمِّه ، وفي أيام جبلة كان مولدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولِثْنَتَيْنِ وأربعين سنةً من ملكِ أَذُوشِرَوَانَ بنِ قُبَاذَ ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مَضَتْ من ملكِ أَذُوشِرَوَانَ المذكور ، فبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمانِ عشرة سنة .

عرس والمحنة والطلس :

وذكر زُرارة بن عُدُس بن زيد ، وهو : عُدُسٌ بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عُدُسٍ في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحِلَّةَ وهم ماعدا الحُتْسَ ، وأنهم كانوا يطوفون عُرَّةً إن لم يجدوا ثيابَ أَحْمَسَ ، وكانوا يَقْصِدُونَ في ذلك طَرَحَ الثياب التي اقترفوا فيها الذنوبَ عنهم ، ولم يذكر الطلْسَ من القرب ، وهم صِنْفٌ ثالث غير الحِلَّةَ ، والحُتْسَ كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلَسًا من الغُبَارِ ، فيطوفون بالبيت في تلك الثيابِ الطُلْسِ ، فسُمُّوا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في ٢٥ من نهاية الارب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغاني بتسع وخمسين سنة ، وفي النقااض بسبع وخمسين . وأم الفراخ : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الارض ، وسيأتى تفسير السهيل لهما ، وهو مخالف للخشني

اللقى :

فصل : وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حَزَنَا كَرَّيْ عَالِيهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَبْدَى الطَائِفِينَ حَرِيمٌ
حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شىء مُطْرَح ، فهو لَقَى .
قال الشاعر يصف فرخ قَطَاً :

تَرَوِى لَقَى فِي مَنَاصِفِ (١) تَضَرُّهُ الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْقَصِرُ

تَرَوِى بفتح التاء أى : تَسْتَقِى لَهُ ، ومن اللَّقَى : حديث فاختة أم حكيم
ابن حزام ، وكانت دَخَلَتِ السَّكْبَةَ وهى حامل مُيَمَّ بِحَكِيم بن حزام ، فأجاءها
الْمَخَاضُ ، فلم تستطع الخروج من السَّكْبَةِ ، فوضعت فيها ، فَلَقَّتْ فى الأنطاع
هى وجنينها ، وَطَرَحَ مَشْرِهَا (٢) وثيابها التى كانت عَالِيَهَا ، فَبَعِثَتْ لَقَى
لأنقرب .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة : اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويذكر

(١) البيت لابن أحر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تمول ،
ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه الخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَة بنت عامر بن صَعَصَعَة ، ثم من بنى سَلَمَة بن قُشَيْرٍ ، وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذكرت له عنها كِبَرَة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَدًا وحُزَنًا على ذلك قال المؤلف : إن كان صحيح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أُمًّا للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تَكْرِمَة من الله لنبيه وعِلمًا منه بغيرته ، والله أَغْيَرُ منه .

أُسطورة :

ومما ذكر من تَعَرَّيهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تَلَذُّذًا واستمتاعا ، فاصق عَضُدُهُ بِعَضِدِهَا ، ففرعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدهما على فَلَک عَضُدِهِ من عَضُدِهَا ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا لله التوبة ، ففعلوا ، فانحل أحدهما من الآخر (١)

قرزل وطفيل :

وأشد للفرزدق :

ومنهن إذ نجى طُفَيْل بن مالك على قُرْزُلٍ رَجَلَارَكُو ضَ المَهاثِم (٢)
قُرْزُل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قُرْزُل ، وقُرْزُل : القيد سمي الفرس به ، كأنه يتقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في التقائض : أرخى : ورجل .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هَذَا هُوَ : وَالِدُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ،
وَأَخُو طَفِيلٍ هَذَا : عَامِرٌ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَسَنَدُ كَرِّ لَمْ تُسَمَّ مَلَاعِبُ ، وَنَذَكَرُ
إِخْوَتَهُ وَأَلْقَابَهُمْ فِي السِّكِّتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الرَّهَامَةُ :

وَقَوْلُهُ : عَلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْجَوَانِمِ . يَعْنِي : الْهَامَةُ ، وَهِيَ الْبُومُ ، وَكَانُوا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ خَرَجَتْ مِنْ رَأْسِهِ هَامَةٌ تَصِيحُ : اسْقُونِي
اسْقُونِي ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِنَارِهِ . قَالَ ذُو الْإِصْبَعِ الْمَدَنَوَانِي :
أَضْرِبْ بِكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي (١)

سُورَةُ بَيْتِ جَبْرِ :

فَصَلْ : وَأَنْشُدِ الْجَرِيرَ :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لَابْنَ كَنْبَشَةَ تَاجَهُ وَلَاقَى أَمْرًا فِي ضَمَّةِ الْخَيْلِ مِصْمَعًا

وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ هَذَا الْبَيْتَ . الْمَرْوُوفُ فِي الْلُغَةِ أَنْ - الْمِصْمَعُ :
الْخَطِيبُ الْبَائِعُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ ، لَكِنْ يُقَالُ فِي الْلُغَةِ : صَقَعَهُ : إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى
شَيْءٍ مُضْمَتٍ يَابَسَ ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، فَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِصْمَعٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ

(١) الْبَيْتُ مِنْ مَيْمُونِ قَصَائِدِهِ ، وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنْهُ :

يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْعَتِي

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مضطجع كما يقال : مضطجع في الحديث : إن سعدا
مُخْرَبٌ^(١) ، يعني [ابن] أبي وقاص.

ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى :
﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية . «الأعراف : ٣٠»
فقوله : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا » إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا
طعام أحمس ، وخذوا زينتكم : يعني اللباس ، وَلَا تَتَعَرَّوْا ، ولذلك افتتح بقوله :
يا بني آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ يُخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة ،
أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : سترُ العورة ،
كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ،
فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَامًا وَتَصَدِيَةً ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا
يطوفون عُرَاةً ، ويصفقون بأيديهم ويصفقون ، فالسكاء : الصغير ، والتصدية
التصفيق^(٢) قال الراجز : وأنا من غرِّ الهوى أضدئ . ومما نزل من أمر
الخمس : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تتشابه ألفاظه هنا بالخشنى فى شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح
فسكون ، وحرب - بوزن منبر - ومحارب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبى حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخلطوه
بذلك على النبي ، ص ، صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ عَتَبَةُ بَابٍ وَلَا غَيْرَهَا ، فَإِنْ احتَاج أَحَدُهُمْ إِلَى حَاجَةٍ فِي دَارِهِ تَسْتَمُّ الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الْبَقَرَةُ : ١٨٩ (١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لَا يَقُوتَهُ ثَوَابُ الْحَجِّ ، وَالْوُقُوفُ بعرفة . قال جَبْرِ بْنُ مُطْعِمٍ حِينَ رَأَاهُ واقفاً بعرفة مع الناس : هَذَا رَجُلٌ أَحْمَسُ ، فَمَا بِهِ لَا يَقِفُ مَعَ الْحُمْسِ حَيْثُ يَقِفُونَ (٢) ؟ !

(١) فِي هَذَا وَرَدَ عَنِ الْإِبْرَاهِيمِ فِي الْبُخَارِيِّ : « كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادُوا حُدُومَ سَفَرٍ ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرِيدُ سَفَرَهُ الَّذِي خَرَجَ لَهُ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يَقِيمَ ، وَيَدْعُ سَفَرَهُ لَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ ، وَلَكِنْ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ قَبْلِ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » . الْآيَةُ . أَقُولُ : وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى مَفْهُومِ الْآيَةِ وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ : كَانَ أَهْلُ يَثْرِبَ إِذَا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَيُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَذْنَى إِلَى الْبِرِّ . وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدْنِيَّةٌ . (٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يَسْمُونَ : الْحُمْسَ ، وَسَاءَتْ الْعَرَبُ يَقِفُونَ بعرفات ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتَ ، ثُمَّ يَقِفُ بِهَا ، ثُمَّ يَفِضُ مِنْهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ =

إخبار الكهان من العرب ، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
والكُهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أمّا الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى .
فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم
فيه ، وأمّا الكُهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجنّ فيما سترق من
السمع إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن
والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكْرُ بعضِ أموره ، لا تُلقى العربُ لذلك فيه
بالأ ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون .
فعرّفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه .
حُجبت الشياطين عن السَّمْع ؛ وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تُقعد
لاستراق السمع فيها ، فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجنّ أن ذلك لأمرٍ حدث من

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرالى بعرفة . فذهبت
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس
ما شأنه هنا ، وأخرجه البخارى ومسلم ، ثم رواه البخارى من حديث موسى
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هي الإفاضة
من المزدلفة لرمى الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجِّبوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَأَمْنًا بِهٖ . وَأَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ؛ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۚ ۝ إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۚ ﴾ الجن : ١ - ٦ ثم ٩ ، ١٠

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لئلا يُشْكَلَ الوحيُ بشيء خبير السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لو قُوع الحُجَّة ، وقَطَعَ الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۚ قَالُوا : يَاقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجلُ من العرب من قريش وغيرهم .

إذا سافر فنزل بطن وادي من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة من شرّ ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الضيق والسفة . قال رؤبة بن العجاج .

إِذ تَسْتَبِي الهَيَّامَةَ الْمُرْهَقَا

[رَمَقَتْنِي رِيْمٌ وَحِيدٌ أَرْشَقَا]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : طلبك الشيء حتى تدنو منه . فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصْبَصَنَ وَأَقْشَمَرَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمْتَصَعْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقِ]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل : رهقت الإنثى أو العسرة ، الذي أرهقتني رهقا شديدا ، أي : حملت الإنثى أو العسر الذي حملتني حملا شديدا ، وفي كتاب الله تعالى : ﴿ فَنَحْشِيْنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ السكف : ٨٠ ، وقوله : ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ السكف : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزيع للرّمي بالنجوم - حين رمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاج - قال : وكان أدهى العرب وأنسكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،
لِما يُصالح النَّاس في معاشهم ، هي التي يُرى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على
حالتها ، فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبيّ الله كُفّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مُلْكٌ
مَلِكٌ ، وُلد مولود ، مات مَوْلودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك
كَذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَنَقِهِ أمرا سمعه سَحَلَةٌ
العرش ، فسَبَّحُوا ، فسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فسَبَّحَ لتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فسَبَّحُوا ثُمَّ
يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فسَبَّحْنَا
لتَسْبِيحِهِمْ ، فيقولون : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل
ذلك ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى سَحَلَةِ الْعَرْشِ ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :
قضى الله في خَنَقِهِ كَذَا وَكَذَا ، لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ ، فيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ
إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فيتحدَّثون به ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ ،
على توهُّمٍ واختلاف ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ السَّكَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فيحدثونهم به ،
فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به السَّكَّانُ ، فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا . ثُمَّ

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُتذفون بها ، فانقطعت
السكّانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي ليثية ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سَهْمٍ يقال لها
الغَيْطَانَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،
فَأَنْقَضَ تحتها ، ثم قال : أَذِرْ مَا أَذِرْ ، . يوم عَقَرُ وَنَحَرَ ، فقالت قُرَيْش حين
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فَأَنْقَضَ تحتها ، ثم قال :
شُعُوبٌ ، ماشُعُوبٌ ، تُصرع فيه كَغَبٍّ لِحُجُوبٍ : فلما بلغ ذلك قريشا ،
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا الأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه
حتى كانت وقعة بدرٍ وأُحُدٍ بالشَّعبِ ، فمرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته .

قال ابن هشام : الغَيْطَانَةُ : من بنى مَرْءَةَ بن عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كِفَانَةَ ،
إخوة مُدْرِجِ بن مرة ، وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لَقَدْ سَمَّيْتُمْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا . بنا والغياطل
فَقِيلَ لولدها : الغياطل ، وهم من بنى سَهْمٍ بن عمرو بن هُصَيْنٍ . وهذا
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ : أن جَنْبًا بَطْنًا

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنَّب : انظرْ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مُتَّكِئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفَّان ، أنه حدَّث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلَّى شَرَّكَه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسَلَّمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سُبْحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ فيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلَّيتَ ما وليتَ ، فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شبيعه ، فقال : ألم تَرِ إلى الجنِّ وإِبلاسهما ، وإياسها من دينها ، ولُحوقها بالقلاص وأخلاصها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذلك يُحدّث الناس : والله إني لَعِنْدَ وثنٍ من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عَجْلاً ، فنحن ننتظر قَسْمَهُ لِيَقْسِمَ لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطُّ أَنْفَدَ منه ، وذلك قُبيل الإسلام بشهر أَوْشَيْعِهِ ، يقول : يَا ذَرِيحَ ، أَمْرٌ نَجِيحَ ، رجلٌ يَصِيحُ ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجلٌ يَصِيحُ ، باسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلِيسَها وشَدَّها الْعِيسَ بأَحْلَاسِها
تَهْوِي إِنْ مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ما مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكُفَّان من العرب .

فصل في الكهانة

رُوى في ماثور الأخبار أن إبليسَ كان يَخْتَرِقُ السَّمَوَاتِ قبل عيسى ، فلما بُعث عيسى ، أو وُلد حُجِبَ عن ثلاثِ سَمَاوَاتٍ ، فلما وُلد مُحَمَّدٌ حُجِبَ عنها كُلُّها ، وقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنُّجُومِ وقالت قريش حين كثر الغدز بالنجوم : قامت الساعة ، فقال عُثْبَةُ بن ربيعة : انظروا إلى الْعُيُوقِ (١) فَإِنْ كَانَ رُمَى بِهِ ، فَقَدْ آنَ قِيَامُ السَّاعَةِ ، وإلَّا فلا ، ومن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رَمَى الشَّيَاطِين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُمِيَ بِهِ الشَّيَاطِين ، حين ظَهَرَ الْقَذْفُ
بِالنَّجُوم ، ثَمَّ لَا يَنْتَبِهُ بِالْوَحْي ، وَلَيْسَ كَوْنُ ذَلِكَ أَظْهَرَ لِلْحُجَّةِ ، وَأَقْطَعَ لِلشَّبهَةِ ،
وَالَّذِي قَالَهُ صَحِيحٌ : وَلَكِنْ الْقَذْفُ بِالنَّجُومِ قَدْ كَانَ قَدِيمًا ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ
فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ . مِنْهُمْ : عَوْفُ بْنُ الْجَزْعِ ، وَأَوْسُ بْنُ حَجَرَ ،
وَبِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ، وَكُلُّهُمْ جَاهِلِيٌّ ، وَقَدْ وَصَفُوا الرَّمْيَ بِالنَّجُومِ ، وَأَبْيَاتُهُمْ
فِي ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي مُشْكِلِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجَنِّ (١) ، وَذَكَرَ
عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذَا الرَّمْيِ بِالنَّجُومِ :
أَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَسَكُنْهُ إِذَا جَاءَ الْإِسْلَامَ غُلْظٌ وَشُدُّدٌ ، وَفِي قَوْلِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ الْجَنِّ : ٨
الآيَةُ وَلَمْ يَقُلْ : حُرُسَتْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ
عَالَيْهِ وَسَلَّمَ - مُلِئَتْ حُرُسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ، وَذَلِكَ لِإِمْنِ حَرَمِ أَمْرِ الشَّيَاطِينِ ، وَتَخْلِيطِهِمْ ،
وَلِتَسْكُونَ الْآيَةُ أَبْيَنَ ، وَالْحُجَّةُ أَقْطَعَ ، وَإِنْ وَجَدَ الْيَوْمَ كَاهِنٌ ، فَلَا يَدْفَعُ ذَلِكَ
بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَرْدِ الشَّيَاطِينِ عَنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ التَّغْلِيطَ
وَالْتَشْدِيدَ كَانَ زَمَنَ النَّبُوءَةِ ، ثُمَّ بَقِيَتْ مِنْهُ ، أَعْنَى مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بِقَايَا سِيرَةِ

(١) انظر ص ١٨٤ ط ٢ ١ كتاب القرطبي الذي هذب فيه ابن مطرف
الكتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة
« وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقضا ن النجوم في كل
عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته » انظر
ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،

بدليل وجودهم على الذُّور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهَّان فقال : ليسوا بشيء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيقرؤها في أذن وليه قرَّ الزَّجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ، ويروى : قرَّ الدَّجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيقرؤها في أذن وليه ، كما تُقرُّ القارورة ، ومعنى يُقرُّها : يصبُّها ويُفرِّغها ، قال الرازي :

لَا تُفَرِّغَنَّ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنى لم يُخْطِئْهُ ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لَا تُتْبِعُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن : أَيْتَبِعُ بِصَرَدِ السُّكُوبِ ، فقال : قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ ، قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لَا تُتْبِعْنَهُ بِصَرَى .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) وفي رواية : قرَّ الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء .

مُنْذَرِينَ، قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أُتْرِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْأَحْقَافِ: ٣٠. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ^(١). وَفِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: مِنْ بَعْدِ مُوسَى، وَلَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ عِيسَى ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ^(٢). وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْتَدَاتِ. وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَاعِزٌ، وَمَنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجَدْتُ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْسِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ النَّعْسَانِيِّ فِي فَضْلِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاحٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَكَفَّهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقُ اشْهَدْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَيَكْفِنُكَ وَيَدْفِنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقُ، وَهَذَا سُرَّقُ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمَرُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّيِّدِيِّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْرِبُهَا كَجَمْعِ الْمَذَكِرِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ الْقَوَافِلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ لِأَنَّهُ تَهْوِيَةٌ خِيَالٍ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مِنْ بَعْدِ مُوسَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابٌ تَشْرِيعٌ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَّا الْإِنْجِيلُ فَيَذَكِّرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يَمُشُونَ فَرُفِعَ لَهُمْ إِعْصَارٌ ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارٌ أَعْظَمُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلٌ ، فَعَدَّ رَجُلٌ مِنْهُمَا إِلَى رِدَائِهِ فَشَقَّهُ ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ : أَيُّكُمْ دَفَنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : إِنْ كُنْتُمْ ابْتَغَيْتُمُ الْأَجَرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ . إِنْ فَسَقَتَا الْجِنَّ اقْتَتَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، فُقُتِلَ عَمْرُو ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ !!

ابن عمرط والجئن :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُدُونَ بَرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد رُوي في معنى ذلك عن حجاج ابن علاط السَّعَمِيِّ ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ ابْنِ حَجَّاجٍ (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة : وحكى السهيلي في الروض الأنف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن علاط : وهو والد نصر الذي خلق عمر رأسه ، فنفاه من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلي فهوئته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فسكن بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى ماتت كلفا بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصماني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

== ياليت شعري عن نفسي أزهقة مني ، ولم أقض ما فيها من الحاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الاخلاق ذي كرم سهل المحيا كريم غير جفاج
تتميه أعراق صدق حين تنسبه ذي نجات عن المكروب فراج
سامي النواظر من بهزله كرم تضى سنته في الحالك الداجي
نعم الفتى في سواد الليل نصرته لياثس أو للمهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجي

قالوا : فدعا عمر بالمرأة وهى الذلعة . لقب فريعة بنت همام أم الحجاج - وضربها
بالدرة ضربات ، ثم سأل عنها ، فلم يخبر عنها إلا بخير ، وأتى بنصر ، وأمر بشعره خلق .
ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلمي ، فكان ما كان منه بما ذكره
السبيل مختصراً — كما جاء في خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر
بهذه الايات :

قل للإمام الذى تخشى بواذره مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى فتننت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجي

الخ قالوا : فبكى عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعث عمر
إلى المرأة : لم يبلغنا عنك إلا خير ، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه ، فقالوا : دأصب من
المتمنية ، وبنصر ، فقالوا : دأدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هى
الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى . والبيت الاول يروى : دألا سبيل إلى
خمر فأشربها ، وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصهانى .
والسبيل لكنك ترى الرواية فى الروض دأم لا سبيل الخ . وروى المدائنى وغيره :
هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ورواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب، فأَجَنَّهُم لليل بوادٍ مُحَوِّشٍ مُحَشٍّ، فقال له
الركب: قم خذ نفسك أماناً، ولأصحابك، فحمل يطوف بالركب ويقول:

أَعِيذْ نَفْسِي وَأَعِيذْ صَاحِبِي

مَنْ كُلِّ جَيْءٍ بِهَذَا النَّقْبِ

حَتَّى أَهْوَبَ سَالِماً وَرَكْبِي

فسمع قارئاً: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنْ
أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فَاتَّقُوا، لَا تَتَّقُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ]﴾ الآية .
الرحمن: ٣٣ . فما قدِم مكة خَبَرَ كُفْرَ قُرَيْشٍ بما سمع، فقالوا: أصبت (١)
يا أبا كلابٍ . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه، فقال: والله لقد سمعته
وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة، وأبْدَنِي بِهَا
مَسْجِداً فَهُوَ يُعْرَفُ بِهِ (٢) .

== على أن أو بمعنى: الواو . وروايته: ألا، يستشهد بها النخويون على أن
«ألا» تستعمل للمتنى . ويقول البغدادي: وقال قوم: هذا الشعر مصنوع
إلا البيت الأول «ألا سبيل أخ»، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة، وقال
عن الشعر: «ولا يحق ما فيه من الاختلاف من جمع الجهات حتى في البيت الشاهد،
انظر ص ٥٩ وما بعدها» ط السلفية خزائن الأدب للبغدادي والأمثال
للبيداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ > ٢ ألفه
بإم ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة، وفيها «صبات»، بدلا من «أصبت» وهو الأليق.

(٢) ما ذكره هنا لا سند له. وسنذكر ما ورد من أحاديث حول استماع الجن. روى

البيهقي في الدلائل عن ابن عباس: ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على =

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : قالوا : يافومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد . فأما به ، ولن نشرك بربنا أحداً ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — : (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرة ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلاً ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتي بمقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت .

فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فيث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يحل بين جبلي نخلة فأتوه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض . ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير وقال الترمذي : حسن صحيح . وروى البخاري ، قال : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم، قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خرفاء - وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا: كذا، وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم. وروى أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا في نفر من أصحابه، فرمى بنجم، فاستنار، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سيج حلة العرش، ثم سيج أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حلة العرش. فيقول الذين يلون حلة العرش حلة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطفه الجن السمع، فيرمون، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعقل بن عبيد الله، أربعتهم، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار به. وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

مول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كنا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد^(١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غُظِّدَ وشُدِّدَ — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الأجملاء ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبرٌ منهم عما يروونه في الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقه سارق ، أو خبيثته في مكان خبي^(٢) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تحرُّصاً وتظنُّياً ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .
وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنسان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي .
وقول الله تعالى في سورة الاحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا لافك يفتريه الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلوا (فلما خر تبَّتْ عَيْنَتَا الْجِنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) فالتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل لأنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!

في حديث البخاري ، فيطردون بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة - كما قال عليه السلام - في الحديث الذي قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يتهكم ، ويدعى النبوة ، وخبأ له النبي - صلى الله عليه وسلم - خبيثاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ الدخان : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي - صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر في الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه اندجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلط عليك الأمر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاني خبأت لك خبيثاً وخبأ له . (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : أخساً : فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أعلن أن رسول الله ص ، - على فرض الصحة - قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه مفسر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخِّ الدخانَ بقوة جُعِلَتْ لهم في أسماعهم ليست لنا ، فألقى الكلمة عن لسان صافي وحدها ، إذ لم يُمكن سماع سائر الآية ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : احْسَأْ فلن تعدّوا قدر الله فيك أي : فلن تعدّوا منزلتك من العَجْز عن علم الغيب ؛ وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدرُ دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرّه الخطابي .

الغَيْطَلَةُ الطَّاهِنَةُ وَكَرَاهَتُهَا :

فصل : وذكّر حديث الغَيْطَلَةِ السَّكَّاهِنَةِ ، قال : وهي من بنى مُرَّةَ بنِ عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ أَخِي مُدَلِّجٍ ، وهي : أُمُّ الْغَيَّاطِلِ الذي ذكر أبو طالب ، وسنذكر معنى الغَيْطَلَةِ عند شعر أبي طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفتُهُ في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع . قال : الغَيْطَلَةُ بنت مالِكِ بنِ الْحَارِثِ بنِ عمرو بنِ الصَّعَقِ ابنِ شَنُوقِ بنِ مُرَّةَ ، وشَنُوقُ أَخُو مُدَلِّجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبيرُ .

وذكر قولها : شُعُوبٌ وما شُعُوبٌ ، تُصْرَعُ فِيهَا كَعْبٌ لَجُنُوبٌ . . كَعْبٌ ههنا هو : كَعْبُ بنِ أَوْيٍّ ، والذين صُرِعُوا لجنوبهم بيدرٍ وأحدٍ من أشرف قريش ، معظمهم من كعب بن أَوْيٍّ ، وشُعُوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْعُ شِعْبٍ ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يَدْرَ ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ بيدرٍ وأحدٍ بالشَّعْبِ (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للنسبة لا يصرف ص ٦٨ الحشني

وذكر قول التابع : أَدْرِ مَا أَدْرِ ، وقيد عن أبي عليٍّ فيه رواية أخرى : وما بَدَّر ؟ وهى أَيْبُنُ من هذه ، وفى غير رواية البُسْكَائِيِّ عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النَجَّارِيَّة كان لها تابعٌ من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها فى بيتها ، فلما كان فى أول البعث أتاها ، فقمعد على حائطِ الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبيٌ بتحريم الزَّنا ، فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة^(١) .

ثَقِيفٌ وَلَهَبٌ وَالرَّمَى بِالنَّجُومِ :

فصل : وذكر إنكارَ ثَقِيفٍ للرَّمَى بِالنَّجُومِ ، وما قاله عمرو بن أمية . أحد بنى عِلَاجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح المعنى ، لسكن فيه إبهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل ما فعلت ثَقِيفٌ بنو لَهَبٍ عند فرعهم للرَّمَى بِالنَّجُومِ ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَرُ ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جعفر العَقِيلِي فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لَهَبٍ يقال له : نَهْبٌ أو لَهَيْبٌ^(٢) . وقد تكلمنا على نسب لَهَبٍ فى هذا الكتاب . قال لَهَيْبٌ : حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلتقى السهيلي وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذى يؤكد القرآن أنه باطل . ولتندبر عشرات الآيات فى القرآن التى تنفى علم الغيب عن غير الله . وتابعها : شيطان إنسى بدليل الزنا !!

(٢) فى الأصل : لَهَبٌ أو لَهَيْبٌ ، وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : ولَهَبٌ بالتصغير بن مالك اللهبي ، وأبو عمر يقول : لهب مكبرا وبه جزم الرشاطى ، .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقالت : بأبى وأُمى : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجرَ الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خَطَرُ بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خَطَرُ هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ، فإننا قد فرغنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنْتُونِى بِسَحَرٍ
أُخْبِرْكُمْ أَخْبِر
أَلْخَبِيرِ أَمْ ضَرَر
أَوْ لَأْمَنِ أَوْ حَذَر

قال : فأنصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السَّحَرِ أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص فى السماء بعينه ، فنناديناه : أَخْطَرُ يا خَطَرُ ؟ فأومأ إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابُهُ خَامَرُهُ عَقَابُهُ
عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شَهَابُهُ
زَالِلُهُ جَوَابُهُ

يَا وَيْلَهُ مَا حَالُهُ بَنَيْنَهُ بُلْبَالُهُ
عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّعَتْ حَبَالُهُ
وَعُيِّرَتْ أَحْوَالُهُ

ثم أمسك طويلاً وهو يقول :

يا مَعْشَرَ بَنِي قَحْطَانَ أَخْبِرْكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَيَانِ
أَقْسَمْتُ بِالْكَعْبَةِ وَالْأَرْكَانِ وَالْبَلَدِ الْمُؤْتَمَنِ السُّدَانِ
لَقَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عُنَاةُ الْجَانِ بِثَاقِبٍ بِكَفِّ ذِي سُلْطَانِ
مَنْ أَجَلَ مَبْعُوثٍ عَظِيمِ الشَّانِ يُبْعَثُ بِالتَّنْزِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَبِالْهَدَى وَفَاصِلِ الْقُرْآنِ تَبْطُلُ بِهِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ

قال : فقلنا : وَيَحْتَكَ بِأَخْطَرِ إِنْكَ لَتَذْكُرُ أَمْرًا عَظِيمًا ، فإِذَا تَرَى لِقَوْمَكَ ؟ فقال :

أَرَى لِقَوْمِي مَا أَرَى لِنَفْسِي أَنْ يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَسَبِ الْإِنْسِ
بُرْهَانُهُ مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ يُبْعَثُ فِي مَكَّةَ دَارِ الْخُسِ
يُخْصِمُكُمْ التَّنْزِيلُ غَيْرَ اللَّبْسِ

فقلنا له : يَا خَطَرُ ، وَمَنْ هُوَ ؟ فقال : وَالْحَيَاةُ وَالْعَيْشُ . إِنَّهُ لَمِنْ قُرَيْشٍ ، مَا فِي حِلْمِهِ طَيْشٌ ، وَلَا فِي خَلْقِهِ هَيْشٌ ^(١) يَكُونُ فِي جَيْشٍ ، وَأَيُّ جَيْشٍ ، مِنْ آلِ قَحْطَانَ وَآلِ أَيْشٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : بَيْنَ لَنَا : مَنْ أَى قُرَيْشٍ هُوَ ؟ فقال : وَالْبَيْتُ ذِي الدُّعَامِ ، وَالرَّكْنُ وَالْأَحَامِ ، إِنَّهُ كَيْنَ نَجْلِ هَاشِمٍ ، مِنْ مَعْشَرَ كُرَائِمٍ ، يُبْعَثُ بِالْمَلَا حِمٍ ، وَقَتْلُ كُلِّ ظَالِمٍ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا هُوَ الْبَيَانُ ، أَخْبَرَنِي بِهِ رِئِيسُ الْجَانِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْجِنِّ الْخَبَرُ . ثُمَّ سَكَتَ وَأَغْنَى عَلَيْهِ ، فَمَا أَفَاقَ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) لَيْسَ فِي طَبِيعِهِ وَسَجِيَّتِهِ قَوْلٌ فَبِيحٌ .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوءة ، وإنه
لَيُبْعَثُ يوم القيامة أمة وحده (١) .

أصل ألف إصابه :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيده بكسر الهمزة
من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي الغساني ، ووجهه
أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة
وإسادة] ، والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصب مثل : بجل وجمالة ،
معنى كلمة أيش والأشائم :

وقوله : من آل قحطان وآل أيش ، يعنى بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من
قحطان . وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى
أيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن
أيش ، ومعناه : أى شئ أى شئ عظيم فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين
الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شئ زيد ،
وأيش فى معنى : أى شئ ، كما يقال وَيْلَهُ فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف .

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السبلى
أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده
ضعيف ، ورواه مجهولون ، وعارة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث .
(٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى : وأما وزن قوله : ويلمه .
فإن حكيت أصله ، فوزنه (فَعْلُ غَلْه) وإن وزنت على ما صار إليه بعد
التركيب فثالثها (فيعللة) يسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت :
فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه
، فامأ وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شئ ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفا ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البيهقي .
وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم ، وهو الماء في البئر ، فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحوْم أيضا : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرَاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنَبًا وهم حَيٌّ من النّمين اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنَبٌ هم من مذحج ، وهم : عَيْدُ الله ، وَأَنَسُ الله ، وزَيْدُ الله ، وَأَوْسُ الله ، وجُعْفَى ، والحكم ، وجِرْوَة ، بنو سعد العشيرة ^(١) بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أدَد ، وسُمُّوا : جنبا لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء = أن يكون قولهم : (ويله) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتموين ، أو لم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغاق ، فبقى : ويله) ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن الشجري ، أنها تنال بضم اللام وكسرهما ، وانظر ص ٢٥١ > ٣ خزائن البغدادى ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها تنال المستجاد وللداهية .
(١) في جمهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحكم - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لامهات شق ، وجعنى وعائذ الله ، وأوهن الله ، وزيد الله . وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

وزيدا بنى سعد العشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . وذكر في موضع آخر خلافاً في أسمائهم ، وذكر فيهم بنى غلّ بالعين ، وليس في العرب غلّ غيرهِ ، قال مهمل :

أُنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْجِبَاهُ مِنْ أَدَمَ

مَهْنِي فُلْتُ فِي وَشِيْعِهِ

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أ كُنت كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) فِيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلْتُ فِيَّ هُوَ مِنْ بَابِ حَذَفِ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ خِلْتُ وَظَنَنْتُ ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ : مَنْ يَسْمَعُ يَخَلِّ ، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ أَحَدِ الْمَفْعُولِينَ مَعَ بَقَاءِ الْآخَرِ ، لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حَكْمُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، فَإِذَا حُذِفَتِ الْجُمْلَةُ كُلُّهَا جَازَ ؛ لِأَنَّ حَكْمَهُمَا حَكْمُ الْمَفْعُولِ ، وَالْمَفْعُولُ قَدْ يَجُوزُ حَذْفُهُ ، وَلَكِنْ لَا يَدُ مِنْ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ ، فِي قَوْلِهِمْ : مَنْ يَسْمَعُ يَخَلِّ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَفِي قَوْلِهِ ، خِلْتُ فِيَّ دَلِيلٌ أَيْضًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : فِيَّ ، كَأَنَّهُ قَالَ : خِلْتُ الشَّرْفِيَّ أَوْ نَحْوَهُ ، هَذَا وَقَوْلُهُ : قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَرِّ أَوْ شَيْعِهِ أَيْ : دُونَهُ بِقَلِيلٍ ، وَشَيْعَ كُلِّ شَيْءٍ : مَا هُوَ تَبَعٌ لَهُ ، وَهُوَ مِنْ

(١) فِي الْإِشْتِقَاقِ لِابْنِ دُرَيْدٍ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَذْحِجٍ (وَمِنْ بَطُونِهِمُ ابْنُ مَتْبَهٍ ابْنُ حَرْبٍ وَابْنُ يَزِيدٍ وَالْحَارِثُ وَالْفُحْلُ وَسَيْحَانُ وَشُمْرَانُ وَهَفَّانُ يُقَالُ لَهُمْ جَنْبٌ لِأَنَّهُمْ جَانَبُوا قَوْمَهُمْ) ص ٤٠٥ .

(٢) يُقَالُ : خِلْتُ بِالْكَسْرِ إِخَالَ وَهُوَ الْإِفْصَاحُ ، وَابْنُ الْأَسَدِ يَقُولُونَ : أَخَالَ بِالْفَتْحِ وَهُوَ الْقِيَاسُ . الْمَعْنَى : مَنْ يَتَسَمَّعُ أَخْبَارَ النَّاسِ وَمَعَايِمَهُمْ ، يَقَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ .

الشَّيَاع وهي : حَطَب صغار تجعل مع الكبار تبعالها ، ومنه : المُشَيِّعَة ، وهي :
الشاة تنبع الغم ، لأنها دونه في القوة .

جليح وسواد بن قارب :

والصوت الذي سمعه عمر من العجلي جليح^(١) سمعت بمض أشياء
يقول : هو اسم شيطان ، والجليح في اللغة : ما تطاير من رؤس النيات ، وخف
نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جايحة ، والذي وقع في السيرة : ياذريح ، وكأنه
نِدَاء للعجل المذبح لقولهم : أحمر دَرِيحِي ، أي : شديد الحمرة ، فصار وصفا
للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جايح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن
العجل قد جُليح أي : كشف عنه الجلد ، فأنه أعلم ، وهذا الرجل الذي كان كاهنا
هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن السكبي ، وقال غيره : هو
سدوسي^(٢) وفيه يقول القائل :

أَلَا لِلَّهِ عِلْمٌ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنَبِي سَوَادٍ
أَنْبَنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ^(٣)

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالي في أماليه ، وروى غير
ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه ، وأن عمر مازحه ، فقال : ما فعلت :

(١) هذه رواية البخاري .

(٢) قال ابن حبيب : كل سدوس في العرب مفتوح إلا سدوس بن أجمع
ابن أبي عبيد بن ربيعة بن نصر .

(٣) في الأمالي (وتحسب أن سيمد بالعناد) والخبر كما قال مطولا في الأمالي
ص ٢٨٩ ط ٢ والشعر منسوب إلى عارف الشاعر . وهو كلام فحسب
كلام لا يحنو عليه عقل ، ولا يصلح له دين

كَمَا نَتُّكَ يَا سَوَادُ! ففَضِيبٌ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَكْلِ الْمَيْتَاتِ ، أَفْتَعِيرُنِي بِأَمْرِ تَبْتُ مِنْهُ ؟! فَقَالَ عُمَرُ حِينَئِذٍ :
اللَّهُمَّ غَنِّرَا . وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْخَدِيثِ سِيَّاقَةً حَسَنَةً وَزِيَادَةً مَفِيدَةً ،
وَذَكَرَ أَنَّهُ حَدَّثَ عُمَرَ أَنَّ رَئِيَّةً جَاءَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مَتَوَالِيَاتٍ ، هُوَ فِيهَا كَانَهَا بَيْنَ النَّائِمِ
وَالْيَقْظَانِ ، فَقَالَ : قُمْ يَا سَوَادُ ، وَاسْمَعْ مَقَالَتِي ، وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ ، قَدْ بُعِثَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ ،
وَأَنْشَدَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ الْمِيَالِي ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَافِيَتُهَا
مُخْتَلَفَةٌ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا	وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَفْتَابِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى	مَا صَادَقُ الْجِنَّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَيْسَ قُدَامَاهَا (١) كَاذُ نَابِهَا

وَقَالَ لَهُ فِي الثَّانِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا	وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى	مَا طَافَهُ الْجِنُّ كَأَنْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا (٢)

(١) فِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ : قَدَامٌ ، وَهُوَ صَحِيحُ الْمَعْنَى أَيْضًا .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ، وَفِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ : مَا مَوْضُوعُهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا -
وَاسْمُ بَعِينِيكَ إِلَى رَأْسِهَا . وَفِي السَّيْرَةِ الْحَلَبِيَّةِ : مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا ، وَارْمِ
بَعِينِيكَ إِلَى رَأْسِهَا ، بَدَلًا مِنْ : مَا طَافَهُ الْجِنُّ الْخَ وَلَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ الْخَ .

وقال له في الثالثة :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَنَفَّارِهَا (١) وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهَيَّوْهُ إِلَى مَكَّةَ تَبْعِي الْمَدَى مَأْمُونُ الْجِنِّ كَكَفَّارِهَا (٢)
فَارْحَلْ إِلَى الْأَتَمِينَ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَدُبَّارِهَا (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشده ما كان من الجنى رَئِيَّةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أَتَانِي نَجِيٌّ بِمَدِّ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ (٤) وَلَمْ يَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ نَبِيٌّ (٥) مِنْ لَوْئِيٍّ بِنِ غَالِبِ
فَرَفَعْتُ أَذْيَالَ الْإِزَارِ وَشَمَّرْتُ بَنِي الْعَرِمَسِ الْوَجْنَاهُ جُولِ السَّبَاسِبِ (٦)
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .

(٣) في الخصائص : مأْمُونُو الْجِنِّ كَكَفَّارِهَا .

(٤) في الخصائص : درمى ، وليل وهجمة .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمّرت عن ساقى الإزار ، ووسطت فِي الذَّعْلِبِ الْوَجْنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ
وَالْعَرِمَسِ : النّاقَةُ الصَّلْبَةُ . وَالْوَجْنَاءُ : الْعَظِيمَةُ الْوَجْنَتَيْنِ . وَالْهَجُولُ : جَمْعُ
هَجَلٍ : الْمَطْمَنُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالسَّبَاسِبِ : جَمْعُ سَبَسَبٍ ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ مِنَ
الْأَرْضِ ، أَوْ الْأَرْضُ الْبَعِيدَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ . وَالذَّعْلِبُ بِكسر الذال واللام أَوْ الذَّعْلَبَةُ :
النّاقَةُ السَّرِيعَةُ .

وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَرِسِيلَةً^(١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِي الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
قُمْرًا نَابِغًا يَا نَبِيَّكَ مِنْ وَحْيِ رَبَّنَا^(٢) وَإِنْ كَانَ فَمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ^(٣) فَتِيلاً عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

- (١) فِي الْخُصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهُ وَرِسِيلَةً إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى الشَّرْعِي الْمَحْكَمِ الَّذِي يَنْبَغِي الشَّرْكَ ، وَيُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيلَةَ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالْإِتِّهَامُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى الشَّرْكِي الَّذِي يَنْبَغِي الْإِيمَانَ ، فَهُوَ أَنْ تَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .
- (٢) فِي الْخُصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى ، وَفِي رَوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ .
- (٣) فِي الْخُصَائِصِ : سَوَاكُ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا عَنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلَنْتَدَبِرَ مَعَاقُولُهُ سُبْحَانَهُ : « مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، وَغَيْرُهَا . مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا الْبَيْتُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مُوضُوعَةٌ ، وَأَنَّ الْقِصْدَةَ مُصْنُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينَ صَحَابِيٍّ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينَ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَالْبَيْتُ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « بِمُغْنٍ » ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْبَاءَ الزَّائِدَةَ . فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْتَفَى بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَاكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لِنَافِذٍ . النَّفْيُ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ فَهُوَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى الْكُوفِيُّونَ هُوَ الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِئَةٌ حِجَازِيَّةٌ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعْتَ ذُو . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْحَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عُمَرُو - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - بِنَحْوِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ لَهُ صُحْبَةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ ، وَهَنَّاكَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُشِيرُ حَوْلَهُ الشُّكُّ ، بَلْ فِي أَفْظَاظِهِ نَفْسَهَا . وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدْبِرُ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (لَئِنْ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

سواد وروس عند وفاة الرسول « ص » :

واسود بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سواد ، فقال : يا معشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعضوا بغيرهم ، ومن شقاءهم ألا يتعضوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يَسْعَ الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأودع قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنع منكم عُدَّة ولا عدد ، وكل بلاء مَنسِي إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ، وإنما كفَّ نبي الله عنكم ما كفَّكم عنه ، فلم تروا إخراجين مما فيه أهل البلاء ، داخِلين مما فيه أهل العافية ، حق قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم ونقيبكم فَعَبَّرَ الخطيبُ عن الشاهد ، ونَقَّبَ النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جَوَلةٌ فإن تسكن ، فالسَّلامَةُ منها : الأناة ، والله يُحِبُّهَا ، فأجَبُوهَا . فأجابهُ القوم وسمِعوا قوله ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

== لا تروهم ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية . يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلص ، وهذه جمع قلوص : الفتية من النياق ، والاحلاس : جمع جلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى الرجل من الدبر ، وأبلس الرجل : سكت ذليلاً أو مغلوباً ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص السيوطي > ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشي ، وبلوغ الأرب > ٣ ص ٢٣ ، ٣٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى إِلَهِ عَلَيْهِ - مَا يَعْتَادُ
حُزْنًا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُخَامِرًا أَوْهَلُ لِمَنْ فَقْدُ النَّبِيِّ فَوَادُ ؟
كُنَّا نَجْلُ بِهِ جَنَابًا مُمْرِعًا جَفَّ الْجَنَابُ ، فَاجْدَبَ الرُّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاوُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجْدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ ، وَكَانَ عِيَانُهُ خُمَا تَضْمَنَ سَكْرَتِيهِ رِقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحِرْنُهُ بَاقٍ لَعَمْرُكَ فِي النُّفُوسِ تِلَادُ
إِنِّ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ : تَقْدُونُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النُّفُوسُ بِبَذْلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا ، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيًّا لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاهُ سَوَادُ
أَتَى أَحَازِرَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بِنَا - أَوْتَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ فَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبِ زِدْتُمْ ، وَبِئْسَ لِمُنْيَةٍ زِدَادُ

هذه قريش

فَتَعَجَّبَ الْقَوْمَ شِعْرُهُ ، وَقَوْلُهُ : فَاجَابُوا إِلَى مَا أَحَبَ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خَبَرُ
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَ وُلِدَتْ وَرَأَاهَا أَبُوهَا زَرَقَاءُ
شَيْمَاءَ (١) أَمْرَ بَوَادِيهَا ، وَكَانُوا يَتَدُونُ مِنَ الْبَنَاتِ مَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ
فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحُجُونِ لَتُدْفَنَ هُنَاكَ ، فَلَمَّا حَفَرُهَا الْحَافِرُ ، وَأَرَادَ دَفْنَهَا سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ :
(١) صَافِيَةِ الْبَيَاضِ فِيهَا شَامَةٌ ، تَعْطِيهَا جَمَالًا .

لَا تَذُنُ الصَّبِيَّةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ الْهَاتِفَ يَهْتَفِ بِسَجْعٍ آخَرَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ : إِنْ لَهَا لِسَانًا ، وَتَرَكَهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةً قُرَيْشَ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِبَنِي زُهْرَةَ : إِنْ فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تَلَدٌ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بَنَاتِكُمْ ، فَعَرَضْنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عَرَضَتْ عَلَيْهَا أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ، فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تَلَدٌ نَذِيرًا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ مِنْهُ بِسِيرًا ، وَأَوْرَدَهُ بِطَوَالِهِ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ ، وَفِيهِ ذَكَرَ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْئُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيُخْبِرُكُمْ النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) لَيْسَ صَدَقَ النَّبِيُّ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَكْذِبَ لَهُ . وَتَصْدِيقُ مِثْلِ هَذِهِ الْمَفْتَرِيَّاتِ تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ لِنَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ . وَإِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُلًا ، فَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْإِيمَانَ قَبْلَ النَّبِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ بِالْأَمَلِ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَكَيْفَ تَنْسِبُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ طَوَائِفِ الْوُثْنَةِ ؟ ! هَذَا وَبَعْضُ اللَّغْوِيِّينَ يَقُولُ عَنْ جَهَنَّمَ : إِنَّهَا مَعْرَبَةٌ ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ أَصِيلَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ مِثْلُ الْجِيمِ - يَقَالُ : رَكِيَّةٌ جَهَنَّمَ أَوْ جَهَنَّمَ : بَعِيدَةُ الْقَعْرِ وَحَدِيثُ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو هُوَ فِي الْبَدَايَةِ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ قَتَادَةَ . وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ سَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ يَهُودًا كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَبِ كَسَفَرُوا بِهِ وَجَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ وَبَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَدَاوُدَ ابْنِ سُلَيْمَةَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ أَهْلُ شَرِّكُمْ وَتُخْبِرُونَنَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَتَصِفُونَهُ بِصِفَتِهِ ،

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مادعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، إِيَّا كُنَّا نَسْمَعُ من رجال يهود ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نَلَيْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ تَقَارِبُ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنَ الْبَقَرَةِ : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ قَدْ نَفَثَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) . الْبَقَرَةُ : ٧٩

قال ابن هشام : يَسْتَفْتِحُونَ : يَسْتَنْصِرُونَ ، وَيَسْتَفْتِحُونَ أَيْضًا : يَتَشَاكُمُونَ ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، فَقَالَ سَلَامٌ بِنَ مَشْكَمَ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ : مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كَانَتِ الْيَهُودُ تَسْتَنْصِرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نَعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى الْيَهُودُ : كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ .

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) . الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلمة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : نخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه شيئاً ، على برودة لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ونحك يا فلان !! أو ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، وبود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنوير فى الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطعنونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : ونحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنا من أحدثهم شيئاً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حى بين أظهرنا ، فأمنأ به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ونحك يا فلان !! ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال :

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سفيّة وأسيد بن سفيّة وأسد ابن عبيد نفر من بني هذيل ، إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : قلن رجلاً من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهيثبان ، قدّم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا فحطّ عنا الطرّ قلنا له : اخرج يا ابن الهيثبان فاستسقى لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تقدّموا بين يدي تخرّجكم صدقة ، فتقول له : كم ؟ فيقول : صاع من تمر : أو مدّين من شعير . قال : فتخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرّتنا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يبرح يحلبه ، حتى تمرّ السحابة ونسقي ، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حصرته الوفاة عندنا . فلما عرّف أنه ميّت ، قال : يا معشر يهود ، ما تروته أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إياك أعلم ، قال : فإني إنما قدّمت هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظلم زمانه ، وهذه البلدة مهاجرة ، فكنت أرجو أن يبعث ، فأتبعه ، وقد أظلم زمانه ، فلا تستبقنّ إليه . يا معشر يهود ، فإنه يبعث بشفك الدماء ، وسبي التمراري والنساء بمن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شيايا أحداثا : يا بني قريظة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيثبان ، قلوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو يصفه ، فزّلوا وأسلوا ، وأخزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

حديث - لمخز :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سَئِمَةَ بن سَلَامَةَ بن وَقْشٍ ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نَسِجِي : مبعوثٌ قد أظْلَمَ زمانُهُ إلى آخر الحديث ، وإيس فيه إشكال ، وابن وَقْشٍ يقال فيه : وَقْشٌ . بتحريك القاف وتسكينها ، والْوَقْشُ : الحركة (١) .

حديث ابن الهيثبان وبنو سَعِيَّة :

فصل : وذكر حديث ابن الهَيَّيْبَانَ (٢) ، وما بَشَّرَ به من أَمْرِ النَبِيِّ — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سببَ إسلام ثعلبة بن سَعِيَّة وأَسِيد بن سَعِيَّة وأَسَدَ بن سَعِيَّة ، وهم من بني هَذَل ، والهَيَّيْبَانَ من المسلمين بالصفات ، يقال : قُطْنٌ هَيَّيْبَانٌ أى : مفتنٌ ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وَقْشٍ أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير د ج ٦ ص ٤٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودي هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات في أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطبقونه مكان يطبقونه . ووضع كلمة نحو مكان : إلى في قوله : إلى مكة . وذكر : ومتى نراه بدلا من : متى نراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والليس والخفيف والراعى والتراب وزيد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيفان . بتضعيف الياء مع فتحها - وقوله في حديث ابن الهيثبان : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر - أطل زمانه : أشرف وقرب .

تَطِيرُ اللَّغَامَ الْهَيَّيَّانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُمَيْرٍ تَنْفِيهِ أَشْدَقُهَا الْهَدْلُ (١)
 وَالْهَيَّيَّانَ أَيْضًا : الْجَبَانُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْاِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ
 ابْنُ سَعْنَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الْمَدَنِيُّ ،
 عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَغَازِي عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ
 يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :
 الدَّارُ قُطْنِي : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
 وَبَنُو سَعْنَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
 قَائِمَةٌ ﴿ آلَ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةَ ، وَسَعْنَةُ أَبُوهُمْ يَقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ
 بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءُ الْمَنْقُوطَةُ بَاثْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَدَى الرِّمَةِ يَصِفُ لِإِبْلَاءٍ وَإِزْبَادٍ مَشَافِرَهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجِي
 الْعِشْرُ : يَخْرُجُ مِثْلُ رِمَاةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ الْقَرْ ، فَشَبَّهَ لَغَامَهَا بِهِ . . .
 وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَاللَّغَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعِشْرُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،
 يَحْشَى فِي الْخَادِ . وَالْهَدْلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظَمُ الشَّفَةِ
 وَاسْتِرْخَاؤُهَا . وَهَذَا : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوسِ : خَبِيْ عِشْرُ تَبْقِيَةٍ وَهُوَ خَطَأٌ .
 (٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ
 الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شَعْبَةَ . وَفِي مُسْنَدِ أَحَدٍ عَنْ
 ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
 الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
 أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ . فَنَزَلَتْ : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 — إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

سنة الجبر وإسلام :

وأما سُنَّةُ بالنون ، فزيد بن سَعْنَةَ حبر من أحبار يهود ، كان قد دأب
النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي
يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُظْلَمُونَ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد
عمر ، ودار ، كأنه في فَلَّك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا
لرسول الله يا عدُوَّ الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى
غير هذا منك أحوَجُ يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيَبُّعَةِ ، قم
فأَقْضِهِ عَنِّي ، فو الله ما حل الأجلُ ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعْتَهُ ، وفي حديث
آخر : أنه قال : دعه ؛ فإنَّ اصحاب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم^(١)
لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان
يحمده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من جِلْمِهِ ما رأى أسلم ، وتوفي غاز يامع رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تَبُوكَ ، ويقال في اسمه : سَعْنَةُ
بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب
أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن
حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ،
قال زيد بن سَعْنَةَ : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت
إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حله جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا
حلباً . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السرى
الراوى له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد
كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قنادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهان من أهل قَرْيَةٍ يُقال لها : جَبّ ، وكان أبي دِهْمَان قَرِيبَهُ ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لم يزل به حُبُّهُ إِيَّايَ حتى حبَسَنِي في بيته كما تُحبَسُ الجارية ، واجتهدت في الجوسية حتى كنتُ وَطَنَ النار الذي يوقدها ، لا يتركها تَحْبُو ساعة . قال : وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة ، قال : فشُغل في بُنيانٍ له يوماً ، فقال لي : يا بني ، إني قد شُغِلْتُ في بُنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها ، فاطَّلَعْهَا - وأمرني فيها ببعض ما يُريد - ثم قال لي : ولا تَحْتَبِسْ عني ؛ فإنك إن احتبست عني كنتَ أهم إلي من ضيعتي ، وشغلتني عن كل شيء من أمري . قال : فخرجت أريد ضيعةً التي بعثني إليها ، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلُّون ، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبَسَ أبي إِيَّايَ في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم ، أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتني صلاتهم ، ورغبتُ في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحهم حتى غرَبَت الشمسُ ، وتركت ضيعة أبي فلم آتِها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبي ، وقد بعث في طلبي ، وشغلتني عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي .

بنى أين كنت؟ أولم أكن عهدي إليك ما عهدي؟ قال : قلت له :
يا أبت ، مررتُ بأناس يَصْأُون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ،
فوالله ما زلت عندهم حتى غرَبَت الشمس ، قال : أى بُنى ، ليس في ذلك
الدين خيرٌ ، دينك ، ودينُ آبائك خيرٌ منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه
لخيرٌ من ديننا . قال : تخافني ، فجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قَدِم عليكم ركبٌ من الشام
فأخبروني بهم . قال : فَقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تُجارٌ من النصارى ،
فأخبروني بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى
بلادهم ، فأخبروني بهم : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبروني بهم ،
فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم ، حتى قَدِمَت الشام فلما قَدِمَتُها
قلت : مَنْ أَفْضَلُ أَهل هذا الدين ؟ قالوا : الأُسقف في الكنيسة .

قال : فجئته ، فقلت له : إني قد رَغِبْتُ في هذا الدين ، فأحببت أن
أكون معك ، وأخذُك في كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلي معك ،
قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجلٌ سَوءٌ ، يأمرهم بالصدقة ،
ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزته لنفسه ، ولم يُعطِ المساكين ،
حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب وورق . قال . فأبغضته بغضا شديداً ، لما رأيته
يَصْنَع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا
كان رجلَ سَوءٍ ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جثثوه بها ، اكتنزها
لنفسه ، ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً . قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُئنا عليه ، قال : فأرَيْتهم موضِعَه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءة ذهباً وَوَرَقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندْفنه أبداً . قال : فصَابوه ، ورجعوه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلّي الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حَضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : أى بُنىّ ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدّلوأوتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلّا رجلاً لمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وَغُيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أقيمُ عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيرَ رجلٍ على أمرٍ صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى بالحق بك ، وقد حضركَ من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : يا بنىّ ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنتُ عليه ، إلّا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وغيَّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .
صاحباي ، فقال : أرقم عندي ، فأثمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأثمتُ مع
خير رجلٍ ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ،
إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فألى من
توصى بي ؟ وبيم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا
آمرُك أن تأتيه إلا رجلاً بمعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن
عليه ، فإن أحببت فإنه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيَّب لحقت بصاحب معمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أرقم
عندي ، فأثمت عند خير رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حضر ، قلت
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى
فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فألى من توصى بي ؟ وبيم تأمرني ؟ قال : أي
بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرُك به .
أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات
لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمه خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيَّب ، ومكنت بمعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بي
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي

عنده وغُصِمَتِ هذه ، قالوا : نعم فَأَعْظَمْتُهُمْ مَوْهَا ، وحمّلوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودى عَبْدًا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبي ، ولم يَحَقِّقْ فى نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمِّ له من بَنى قَرَابَةِ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، ففرقتها بِصَفَةِ صاحبي ، فأقمت بها ، وبُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرقِّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لفى رأس عَذْقٍ لسيدي أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيدي جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمِّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلَةٍ ، والله إنهم الآن لاجتمعون بِقُبَاءٍ على رجل قَدِمَ عليهم من مكَّة اليوم ، يزعمون أنه نبيّ .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زبَد بن كَيْث ابن سَوْد بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضَاعَة ، أم الأوس وأَخْرَجَ .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بها ليلُ من أولاد قَيْلَةٍ لم يَحِدْ عليهم خَلِيطٌ فى مُحَالِطَةٍ عَتَبَا
مَسَامِيحُ أَبْطَالٍ يُرْأَحُونَ لِلندَى يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتموها أخذتني العُرُواء . قال ابن هشام : العُرُواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرخضاء ، وكلاهما محدود - حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . قال : قلت : لاشيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذؤوبو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقررت به إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحوّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئت به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنيتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببيقيع القرقيذ ، قد نزع جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رأيته رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

اسْتَدْبَرْتُهُ ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَنْدِيتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَتَنِي رَدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ . .
فَنَظَرْتُ إِلَى الْخِتَامِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلَهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،
كَأَنَّكَ حَدَّثْتُكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقْءُ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدَرُوهُ أُخِذَ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَاسَلْمَانَ .
فَسَكَتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أَخِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعِينُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،
وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثَةُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ،
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ .
فَأَتَنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضْعُفُ بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا
فَرَّغْتُ جُمْتُه ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،
فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،
حَتَّى فَرَّغْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ :
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْأَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ
الْمُسَكَاتِبُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا على ؟ فقال : خذها ، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أخذت حرّاً ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبّد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفيتهم منها . فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّ ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثني من آتاهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حدثت عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحب عمورية قال له : أنت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيظتين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستحيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مستحيزاً من إحدى الغيظتين إلى الأخرى ، فغشيهم الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل ،

إِلَّا مَنْكِبُهُ . قَالَ : فَنَتَوَلَّاهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَى ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ
اللهُ ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْخَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَنَّهُ
فَهُوَ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - لِسُلَيْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سُلَيْمَانُ ، أَتَقْدِرُ لِقَيْتَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

حديث - السمان :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سُلَيْمَانَ بَطُولَهُ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ
هَكَذَا قَيْدَهُ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ (١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعَسْكَرُ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ : مَوْضِعُ الْعَسْكَرِ أَوِ الْخَيْلِ (٢) ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوُتِعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِ : فَتَحَ الْهَمْزَةُ هُوَ الْآكُثَرُ وَالْأَشْهَرُ .

(٢) فِي الْبَكْرِيِّ : إِصْبَهَ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ ، فَعْنَاهُ : بَلَدُ
الْفَرَسانِ ، وَقَالَ : إِنَّ إِصْبَهَ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَاكَ ، فَعْنَى الْأَسْمِ :
الْعَسْكَرُ ذَاكَ . وَفِي الْمُرَادِ : لِأَنَّهَا لَمْ تَنْظَرْ مَعْرَبٌ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشِ ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِ - مَدِينَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأَصْبَهَانَ : اسْمٌ لِلْأَقْلِيمِ بِأَسْرِهِ ، وَكَانَتْ
مَدِينَتَهَا أَوَّلًا : جِيٍّ ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رآني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استَدْبَرْتُهُ ، ورأيت في حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحبيها له بالفَقِير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّفْقِير .

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ (١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّةٌ ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي الحَفِيرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : دَرِيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ، ثم قَسِيلَةٌ ، ثم أَشَاءَةٌ ، فإذا فاتت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي العُضِيدُ ، والكَتِيلَةُ ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمِنَتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَبِثَةٌ ، وهي الجُنَائِثُ وَالْهَرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بِلُغَةِ عَمَانَ ، وَعَيْدَانَةٌ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ (٢) بِالْمَسْكَانِ ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها نازرة : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعَلَانَةٌ .

وَمِنْ الْفَسِيلَةِ حَدِيثُ أَنَسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —

(١) فِي الْحَشْنَى . أَحْبَبَهَا بِالْفَقِيرِ ، أَيْ : بِالْحَفْرِ وَبِالْفَرْسِ ، يُقَالُ : فَقِرَ الْأَرْضُ : إِذَا حَفَرَهَا ، وَمِنْهُ سَمِيَتْ الْبُرُ : فَتَمِيرًا . وَقَالَ الْوَقْشِيُّ : الصَّوَابُ هُنَا : التَّفْقِيرُ . وَأَرَادَ الْوَقْشِيُّ هُنَا : الْمَصْدَرُ . وَهُوَ الْأَحْسَنُ . وَالْفَقِيرُ أَيْضًا : الْبُرُ تَغْرَسُ فِيهَا النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ ، وَالْمَسْكَانُ السَّهْلُ يَحْفَرُ فِيهِ ، وَيَخْرُجُ الْمَاءُ مِنَ الْقَنَاةِ (٢) لَزِمَ الْمَسْكَانُ ، فَلَمْ يَبْرَحْهُ .

قال : إن قامت الساعة ، وبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فَنَافَرِسَهَا^(١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقِّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُداوِلُونَهُ سَيْدًا بعد سيد^(٢) .

من فقه عربيّ لسلحمان :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئًا ، فجاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أيا أكل الصدقة ، أم لا ، فلم يَسْتَلْه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحرُّ أنت أم عَبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المُهْدِي ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلحمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْتَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حُجَّةٌ على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألتُ سيدتي أن تهبَ لي يوماً ، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحد في مسنده ، والبخارى في الأدب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سليمان بضعة عشر من رب إلى رب .

صاعين من تمر ، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيته لا يأكل الصدقة ، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر ، فعملت فيه على ذلك ، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه ، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق ، والصدقة التي قال النبي عليه السلام : لا تحلُّ لحمد ، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع ، قاله الشافعي ، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع ، وهو معنى قول مالك .

وقال الثوري : لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم ، لأن موالى القوم من أنفسهم ، بذلك جاء الحديث . وقال مالك : تحل لمواليهم ، وقالت جماعة ، منهم أبو يوسف : لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم ، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١) .

(١) في حديث رواه مسلم : إنا لا نأكل الصدقة ، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوى : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة . ويقول القسطلاني : والحكمة في ذلك صيانة منصب الشريف عن أوساخ أموال الناس : ويقول الزرقاني عن الصدقة ، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه . ص ٢٢٠ وما بعدها ج ه المواهب اللدنية . أما الهدية فكان يقبلها ، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب ، فقسمها في ناس من أصحابه ، وعزل منها واحداً لحمة بن نوفل . وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء ، فكساه رسول الله بردة وكان أصحابه يهدون إليه ، فيكافئهم أضعافها . وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معناها . دهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة ، وما يصلح الأرض . فطن النار =

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأنبت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبُه .
الذي مات في تلك الأيام : كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي - صلى الله
عليه وسلم . قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كلثوم بن الهدم ^(١) ، ثم مات بعده أسعد بن
زُرارة .

فصل : وذكر ابن إسحاق في مكاتبة سلمان أنه قَرَّرَ لثلاثمائة وديةً
أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم
تمت منها وديةً واحدة ، وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق
غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وديةً واحدة ، وغرس رسول الله -

==خادها . الاسقف في الكنيسة : هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال :
أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمزة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح
العين : النخلة . وبكسرهما : السكاسة وهي عنقود النخلة وبها ليل جمع لول ، السيد .
يراحون : يهتزون . النحب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ .
يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن مالك بن الأوس الانصارى الأوسى . ذكر ابن عقبة وغيره أنه
النبي د ص ، نزل عليه بقاء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على
سعد بن خيشمه . قال الواقدي : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث في بيت سعد .
ابن خيشمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبی :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني مَنْ لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيرًا من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعوا لمريض إلا شفى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتني يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناده هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عماره ^(١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا تَكْارَةَ في مَتْنِهِ ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأُمُّهُ وامرأة أُخْرَى عند الجذع الذي فيه الصليب يَتَكَيَّئَان ^(٢) ، فكلمهما ، وأخبرهما أنه لم يُقْتَل ، وأن الله رفعه

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتني الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الأثير في البداية .
ض ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صافية لا يجوز ترددها . والتدبر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار كسكل البشر : هو السلام على يوم وُلِدَتْ ، ويوم أُمُوتَ ، ويوم أُنْصَبَتْ حيا ، كما قالت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سينزل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام^(١) ، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== أين جاء الطبرى وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لئن صح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذى جاءوا يطلبونه ليصلبوه ، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشيوخان والترمذى وأحمد ، أما ترجمه فقد ذكره ابن الجوزى فى كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض فى دلالة بما تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذى ورد فى الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذى ورد فى البخارى مؤكدا أن بين يدي الساعة أى : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أى القتل — وكالحديث الذى شكافه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر فى حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشحناء والتباغض والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا شرًّا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذى يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب ووقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني فعلت وفعلت ، وعلمت أنهم غيروا ؟

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرُيش يوماً في عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدبرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، نخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وإيكم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرُ نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

فأمَّا ورقة بن نوفل فاستحکم فی النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

حبيبة بنت أبي سفيان مُسْلِمَةً ، فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانياً .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ؛ قال : كان عبيد الله ابن جعش — حين تنصّر — يَمْزُجُ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فَقَعْنَا وَصَاحَاتِنَمْ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتَمسون البصر ، ولم تُبصروا بعد ، وذلك أن وَلَدَ الْكَلْبِ إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صَاحاً ؛ لينظر . وقوله : فَقَعَّ : فتح عينيه .

قال ابنُ إسحاق : وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عليّ بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النّجاشيّ عمرو بن أميّة الضّمريّ ، فخطبها عليه النّجاشيّ ؛ فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة دينار . فقال محمد بنُ عليّ : ما نرى عبد الملك بن مروان وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أمّنها للنّبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص .

قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فَقَدِمَ على قَيْصَرَ ملك الروم فتنصّر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديثٌ ، منعني من ذكره ما ذكرتُ في حديث حرب الفجار .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن مُنْقِل فوقف ، فلم يدخل في
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميثة والدم
والذبايح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد
رب إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت
أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن مُنْقِل شيخا كبيرا
مُسْنِدًا ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسُ زيد
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم
لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد
على راحته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن مُنْقِل
ومُعمَر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
أنتم غير لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحده .

وقال زيد بن عمرو بن مُنْقِل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم
في ذلك :

أرباً واحداً ، أم ألف ربٍّ أدين إذا تقسّمت الأمورُ
عزّلتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلدُ الصبورُ
فلا العزى ، أدين ولا ابنتيها ولا صنتى بنى عمرو أزورُ

ولا هُبلاً أدينُ ، وكان رباً لنا في الدهر إذ حامي يسير
 عجبتُ . وفي الأيالي مُعجباتُ وفي الأيام يعرفها البصير
 بأن الله قد أفضى رجالاً كثيراً كان شأنهم الفجور
 وأبقى آخرين ببر قوم قيريل منهم الطفل الصغير
 وبيننا المرء يعثرُ ثاب يوماً كما يتروح الغصن المطير
 ولكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبي الرب الغفور
 فتقوى الله ربكم احفظوها متى ما تحفظوها . لا تبوروا
 ترى الأبرار . دارهم جنان وللكنار حامية سعيبر
 وخزي في الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هي لامية بن أبي
 الصلت في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز
 البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إلى الله أهدى مدحتي وثنائيا وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
 إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ، ولا رب يكون مدائيا
 ألا أيها الإنسان إياك والردى فإنك لا تخفي من الله خافيا
 وإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا
 حنانيك إن الجن كانت رجاءهم وأنت إلهي ربنا ورجائيا
 رضيت بك . اللهم رباً فلن أرى أدين إلهاً غيرك الله ثانيا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
 قُلْتَ لَهُ : يَا ذَهَبُ وَهَارُونَ فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيًا
 وَقَوْلَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ بِلَا وَتَدٍ ، حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَاهِيَا
 وَقَوْلَا لَهُ : أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ بِلَا عَمَدٍ ، أَرْفَقَ - إِذَا بَكَ بَانِيَا
 وَقَوْلَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا مُنِيرًا ، إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
 وَقَوْلَا لَهُ : مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً

فِيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا -
 وَقَوْلَا لَهُ : مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي النَّزَى

فِيُصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
 وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رِئُوسِهِ وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
 وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا وَقَدْ بَاتَ فِي أَعْصَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا
 وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَا أَكْثِرُ - إِلَّا مَا غَفَرْتَ - خَطَايَا
 فَرَبِّ الْعِبَادِ أَلْقِ سَيِّبَا وَرَحْمَةً عَلَيَّ ، وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا
 وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو يَعَانِبُ امْرَأَتَهُ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَضْرَمِيِّ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسِمُ الْحَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ أَحَدُ الصَّدَفِ ، وَاسِمُ الصَّدَفِ :
 عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ السَّكُونِ بْنِ أَشْرَسَ بْنِ كِنْدِيِّ ، وَيُقَالُ : كِنْدَةُ بْنُ
 ثَوْرَ بْنِ مُرْتَعٍ بْنِ عَقْبَرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مِهْسَعِ
 ابْنِ عَمْرٍو ابْنِ عَرِيبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ ، وَيُقَالُ : مُرْتَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
 زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ .

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فكانت صفية بنت الحزرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج، وأرادته، آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكل صفية به، وقال: إذا رأيتيه قد همَّ بأمر فأذيني به - فقال زيد:

لَا تَحْبَسْنِي فِي الْمَوَا	نَ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْمَوَا	نَ، مُشِيعٌ ذُلُّ رِكَابِهِ
دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ	لَكَ وَجَائِبٌ لِلخَرْقِ نَابُهُ
قَطَاعُ أَسْبَابِ نَزْلِ	بَغِيرِ أَقْرَانٍ صِغَابِهِ
وَإِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَا	نَ الْعَيْرُ إِذْ يُوهَى إِهَابُهُ
وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَذِلُّ	بِصَكَ جَنْدِيهِ صَلَابِهِ
وَأَخِي ابْنُ أُمِّئِي، ثُمَّ عَمِّي	لَا يُوَاتِنِي خَطَابُهُ
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُوءِ	قُلْتِ: أَعْيَانِي جَوَابُهُ
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ: مَا	عِنْدِي مَقَاتِحُهُ وَبَابُهُ

قال ابن إسحاق: وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل: أن زيدا إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبيك حقاً حقاً، ثم بعداً ورقاً.

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
إِذْ قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَسَّسْنِي فَإِنِّي جَائِمٌ
الْبَرِّ أَبْنَى لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرُكُمْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أَبْنَى لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرُكُمْ قَالَ : قال
، وقوله : « مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا ثَقَلَا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ ، أَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْمِزْنَ تُحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجته إلى أعلى مكة ، فنزل حِراءَ
مقابل مكة ، ووَكَّلَ به الخطابُ شُبابا من شباب قريش وسفهاء من سفاههم ،
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا
بذلك ، آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ،
وَأَنْ يُتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى فِرَاقِهِ . فقال - وهو يعظم حرُمته على مَنْ اسْتَحَلَّ
منه ما اسْتَحَلَّ مِنْ قَوْمِهِ :

لَا تُحَرِّمُ إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّهٗ وَإِنَّ بَنِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بَنِي مَضَلَّةَ

ثم خرج بطابدين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميمنة من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطب ديننا ما أنت بواجده من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فاتحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرخص شيئاً منهما ، فخرج سريعا ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد نخم ، عدوا عليه فقتلوه - فقال ورقة بن نوفل بن أسديبكيه :

رَشِدْتَ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا	تَجَنَّبْتَ نَوْرًا مِنَ النَّارِ حَامِيًا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ	وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الْعَوَاغِي كَاهِيًا
وَأَذْرَاكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ	وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيًا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا	تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيًا
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ	مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى الدَّارِ هَاوِيًا
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ	وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاوِيًا

قال ابن هشام : يُروى لِأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ البيتان الأولان منها ، وآخرها

بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوئان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

ذكر هربث ورقته بن نوفل :

فصل : وذكر حديث ورقة بن نوفل (١) ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح (٢) بن عبد الله بن قُرَظ بن رِزاح (٣) بتقديم رباح على

(١) نسب ورقة ، هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وقد تقدم الكلام عنه . وفي الصحيحين ما يدل على أنه لقي النبي ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله إلى الإسلام . وحديث رؤية النبي لورقة في الجنة حديث منقطع ، وحديث أنه سأل رسول الله « من » عن كيفية مجيء الوحي ، وأنه قال : يأتيني من السماء وجناحه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر . هذا مروى عن طريق روح بن مسافر ، وهو أحد الضعفاء ، والحديث في روايته سماع ابن عباس من ورقة ، وابن عساكر يقول : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحدا قال : إنه أسلم .

(٢) في الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رباح .

(٣) في الإصابة بعده : ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب . وإليك ما ذكر المصعب الزبيري عن هذا النسب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ٣٤٦ نسب قریش، ورزاح بكسر الراء وفتحها . والفتح عند الدارقطني . وقد وردت عن زيد عدة أحاديث ، منها ما رواه البخاري ، وفيه : « كان يحيي الموءودة يقول للرجل ، إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكتفيكها مؤنتها ، فياخذها ، فإذا ترعرعت قال لابيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها » .

وحديث إسناد ظهره إلى الكعبة - وسيأتي في الروض - أخرجه البخاري من

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية :

وأم زيد هي : الحليداء بنت خالد القهنية ، وهي امرأة جده نُفَيْل ولدت له الخطَّاب (٢) فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مُباحا في الجاهلية بشرع متقدم (٣) ، ولم تسكن من الحرُمات التي انتَهَكوها ، ولا من العظام التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقا ، والنسائي من طريق أبي أسامة ، والبخاري من طريق علي بن مسهر كلهم عن هشام ، وزادوا فيه : « يحيي الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، فأنا أكفيك مئوتها » ، وورد في رواية الطبراني أنه كان يسجد للكبعة بدلا من راحته وقال عنه ابن دريد في الجهرة : رفض الاوثان في الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عز وجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من لحم أو جذام .

(١) والحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيدا هو الذي سأل ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسمودي وقد اختلط ، وبقيّة رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نفيل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فِكِنَانَةٌ تزوج امرأة أبيه خُزَيْمَةَ ، وهى بَرَّةٌ بنت مُرٍّ ، فولدت له النَّضْرَ بن كِنَانَةَ ، وهاشمٌ أيضا قد تزوج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضعيفة^(١) ، ولسكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم — لأنها لم تلد جدًّا له ، أعنى : وافدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح^(٢) ، ولذلك قال سبحانه : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) النساء : ٢٢ . أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاستثناء ألا يُعَابُ نسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وليعلم أنه لم يكن فى أجداده من كان لِفَيْئَةٍ^(٤) ولا من سفاح . ألا نرى أنه لم يقل فى شيء نهى عنه فى القرآن : إلا ما قد سلف ، نحو قوله : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا) ولم يقل إلا ما قد سلف : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) الإسراء : ٣٠ . ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا فى شيء من المعاصى التى نهى عنها إلا فى هذه ، وفى الجمع بين الأختين ؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوبُ بين راحيل وأختها لِيَا^(٥) فقوله : إلا ما قد سلف

(١) يقول المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص ١٧ : « وكانت ضعيفة بنت هاشم عند عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فولدت له عبد يغوث ، وعبيد يغوث ، » (٢) لا ريب فى طهارة نسبه الشريف ، ولا ريب فى أنه كان من نكاح صحيح بين عبد الله أبيه وأمنة أمه . لكن هذه الأحاديث التى ترفع هذه الملكية ، حتى آدم أحاديث ضعيفة ، ولهذا لم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فلا تراها إلا عند ابن سعد وابن عساكر وابن أبي شيبة . وأحسن تعبير عن هذه الحقيقة جزء من حديث أخرجه أبو نعيم : « لم يلتق أبواى قط على سفاح » .

(٣) لا يجوز قصر الآية على ما ذكر وحده .

(٤) الزَّانَا ، وتقال بكسر الغين وفتحها .

(٥) هما فى سفر التكوين : راحيل وليئة ابنتا لابان ، وقصتهما مع يعقوب =

الْتِمَانَةً إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِيقَهُ عَلَى هَذَا الْمَغْزَى، وَهَذِهِ النِّسْكَةُ لَقِنْتَهَا مِنْ شَيْخِنَا
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَعْجَةَ
ابن خُزَيْمٍ [عند الزبير: بَعْجَةَ بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن خالد بن اليَمَعْرِ
بن خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن محبس:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَحَّنَا وَصَأْصَأْتُمْ،
وشرح فَمَحَّنَا بقوله: فَفَقَّحَ الْجُرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،
وَقَالَ الْقَسَالَى: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصَرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنْتَوِطَةً بِأَمْتَيْنِ، لِأَنَّ
الْيَاءَ تَبْدُلُ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا تَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجْلٌ، وَلِرَوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِصِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

بعض الذين تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحُوَيْرِثُ مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،
ثم قال: وَأَمَّا عثمان بن الحُوَيْرِثُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الشَّامِ، وَلَهُ فِيهَا مَعَ قَيْصَرَ خَبْرٌ،
وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ الْخَبْرَ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ الْحُوَيْرِثِ
قَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى قَرِيشٍ إِنْ جَاءُوا

== في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع مقوب وزوجه
غير التي كان يريد بها أولاً، لأنها الكبرى، ثم زوجته ليثة.

(١) في القاموس: يَصَّصُ الْجُرُوءُ: جَصَّصَ. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارهم ، وإلا منعهم ، فأراد قيصر أن يفعل تفرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر إلى الشام ، فأخذ الخبساء ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخدس . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكنى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، ولولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إنَّ مكةَ حَيٌّ لِقَاحٌ لا تدين الملك^(١) ، فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البَطْرِيقُ^(٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموماً ، سمى عَمْرُو بْنُ جَنْمَةَ الْغَسَّافِي الْمَلِك .

اعتزال زبير بن عمر بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان]^(٣) والنَّصَب . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أى لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائم من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القَوَمَس على مائتين ، والمختال .

(٣) ما بين القوسين زدته من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي ، فقدّمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، سُفْرَةً أو قَدَمَهَا إليه النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكَلأَ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ ! إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، وَيَدْبِعُهُ ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلّي أن أدين بدينكم ، فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأتّى أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فأتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأتّى أستطيع ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التنعيم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى السكبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُنحِّي التَّوَهُودَ ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أ كفيك مئوتها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مئوتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النصب ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين اتهمه ببُلْدَح ، فُقِدَّتْ إليه الشفرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قُدِّمت السفرة : لا آكل كل مما لم يُذكر اسم الله عليه : الجواب الثاني ^(١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والانصاب : أحجار كانت حول السكبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لأننا كل ما ذبح على أنصابكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجرم بتلك .

رآه، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح، فالذبايح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبايح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من

وقال الخطابي . كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها للأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله : فذبحنا شاة على بعض الأنصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة وإنما هي من آلات الجزاء التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للعنم ، وكان امتناع زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْر، وعبادة الصُّنْبَان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلًّا بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

زبير وصعصعة والموءودة :

فصل : وذكر خبر الموءودة ، وما كان زيد يفعل في ذلك ، وقد كان صَعَصَعَةُ بن معاويةَ جدَّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لى في ذلك من أجر؟ فقال فى أصح الروايتين : لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المُبَرِّدُ فى السَّكامل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل . والأصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ، وحَسُن إسلامه ، كُتِبَ له كلُّ حسنة كان زَلَفَهَا ، وهذا الحديث أخرجه البخارى ، ولم يَذْكُرْ فيه : كل حسنة كان زَلَفَهَا ، وذكرها الدارقُطنى وغيره ، ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنةُ بعشر أمثالها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من وَاَدَّه إذا أثقله قال الفرزدق :

وَمِمَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَائِدَا تِ ، وَأَحْيَا الْوَيْثِدَ ، فَلَمْ يُوَادِّ

يعنى : جدّه صَعَصَعَةُ بن معاوية بن ناجية بن عِمَال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرةً على البنات ، وما قاله الله فى القرآن هو الحق من قوله : (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) وذكر النقاش فى التفسير : أنهم كانوا يثدّون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو برشاء أو شياء أو

كُشِحَاءُ^(١) نَشَأُوا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا التَّوْبَةُ وَدَّةٌ .
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ^(٢) ﴾ التَّكْوِير : ٨ : ٩ .

العزى :

فصل : وَذَكَرَ شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَفِيهِ : عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .
جَمِيعًا . فَأَمَّا اللَّاتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا الْعُزَّى ، فَكَانَتْ نَحْلَاتٍ مَجْتَمِعَةً ،
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ أُحَيٍّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ — فِيمَا ذَكَرَ — أَنَّ الرَّبَّ يُشَقِّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ
اللَّاتِ ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى ، فَعَظَمُوهَا وَبَنَوْا لَهَا بَيْتًا ، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا
يَهْدُونَ إِلَى السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَسْكِرَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَادِنُهَا : يَا خَالِدُ اخْذَرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمية أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة
حمر ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشبام : من كثرت فى بدنہا الشامات ، والشامة .
علامة فى البدن ، يخالف لونها لون سائرہ ، والكشحاء : الموسومة بالنار فى كشحہا ،
بسبب داء فى كشحہا ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : « كان أهل الجاهلية يدفنون البنات .
ومن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث
سبي بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاخترت
الذى سبها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبيع على ذلك ، غير أن
القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : « ونحن
نرزقكم وإياكم لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : « ونحن
نرزقكم وإياهم . عجل لهم البشارة برزق الوائدين ، فهى فى هذا المقام أولى
بالذكر .

وَنُكِّنَ ، (١) فهدمها خالد وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَيْمُها :
والله لتعودنَّ ولتنتقننَّ مِمَّنْ فعل بها هذا ، فذكر - والله أعلم - أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة
سوداء مُنْتَفِشَةَ الشعر تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَيْمُ ، وهو
يقول : لا تُعْبِدُ الْعُزَّى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوري
في الْمُتَبَعِ . وذكره الأزرقي أيضاً ورزين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرْبِلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ . ألفت في حاشية الشيخ أبي بحر
رَبَلَ الطُّفْلُ يَرْبِلُ إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ،
ومنه أخذ تَرْبِيلُ الْأَرْضِ (٤) . وقوله : كَمَا يَتَرَوَّحُ الْغَصْنُ : أى : يَنْبُتُ
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذي الخلصة
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : لا تفعل ، فإنها مكنعةك ، بضم
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومشتبهما .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإناس كانت تخدع
الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربلوا يربلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،

كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشنى : ربل الطفل يربل بضم الباء

في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشنى : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتفرد :

وقوله : وللكفار حامية سَعِير . نصب حامية على الحال من سَعِير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه في مثله :

لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَلُ (١)

وأنشد أيضاً [لذي الرِّمَّة] :

وتحت العوالي وألقنا مُستَكِنَّةً ظليلاً أعارتها العيون الجاذرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشا حالا من الضمير في « لمية » ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جني في شرح الحاسة والزخشرى في تفسير : « وجعلنا فيها لجاجا سبلا » ، والخبيصى في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشا حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرمانى يرى أن موحشا لا يجوز أن تكون حالا من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لَمِيَّةٌ موحِشًا طَلَلٌ يلوح كأنه خلل
والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهى بطائن يغشى بها أجفان
السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير
عزة كإفعل سيبويه ص ٢٧٦ ج ١ الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه «لعزة موحشا ،
لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذى الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه :
« لمية موحشا ، لأن لمية اسم محبوبة ذى الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣
خزانة الأدب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :
لَمِيَّةٌ موحِشًا طَلَلٌ قديم عفاه كل أسحم مستديم

والعامل في هذا الحال: الاستقرار الذي يعمل في الظرف، ويتعاقب به حرف الجر، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأَخْفَش لا اعتراض فيها؛ لأنه يحملُ النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الفاعل، وأما على مذهب سيديويه، فالسئلة عسيرة جداً؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر في الاستقرار؛ لأنه معرفة، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي. وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا.

من معاني سمر زبير :

فصل : وأنشد أيضاً زبير : إلى الله أهدى مدحى وثنائياً . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والردى . تحذير من الردى ، والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبيده ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإني وإن سبحتُ باسمك ربنا لا أكثُرُ إلا ما غفرت خطايا

معنى البيت : إني لا أكثُر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت « وما » بعد الإزائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إني لا أكثُر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

تفسير هَنَانِيكَ :

وقوله : هَنَانِيكَ بالفتح الثنية ، قال النحويون : يريد هَنَانًا بعد هَنَانٍ ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد هَنَانًا في الدنيا ، وهَنَانًا في الآخرة ، وإذا قيل هذا المخلوق نحو قول طَرَفَةَ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفَنَيْتَ فَاسْتَنْبِقِ بَعْضَنَا هَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فإنما يريد : هَنَانًا دَفْعَ ، وَهَنَانًا نَفْعَ ؛ لأن كل من أَمَل مَالًا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضَرِيرًا ، أو ليجلب إليه خيرًا .

تريضة أربعين :

وقوله : فإن أرى أدين إلها . أى : أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ؛ لأنه في معنى : أعبد إلها .

حول اسم الله :

وقوله : غيرك الله برفع الهاء ، أراد : يا الله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيا أيها ، وتقطع همزته في النداء ، فتقول : يا الله ، ولا يكون ذلك في اسم غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعروفة ، وأعمل بعض

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفينا في غير هذا الكتاب ،
وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج (١) في أخبار
زيد وهو :

أدين إلهما يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً

حذف المنادى مع بقاء الباء :

وفيه : قلت : ألا يا اذهب (٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا
اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا سلمى يا دارمى على البلى (٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) للنزى في السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفي بعض نسخها :
فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ، غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عبد مناة
ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزنة الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب
التي من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفي الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية :
« ولا زال منهلاً بجرعائك القطر » . ويرى الجوهري في الصحاح أن قوله سبحانه :
« ألا يا اسجدوا » بالتحفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء
بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هي للتنبيه ، كأنه قال :
ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التي في اسجدوا ، لأنها
ألف وصل ، وذهبت الألف التي في « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها
« والسين ساكتتان »

وفيه : اذهب وهارون ، عطفنا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا .

تصريف الطمأنات وأشياء :

وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه أَفْلَعَنْتَ ، لأن الميم أصلها أن تسكون بعد الألف ، لأنه من تَطَأْنُ أَى : تَطَأْطَأْ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتسكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين ^(١) . كما هيا . ما . زائدة لَتَكْفَ السكاف عن العمل ، وتهيهما للدخول على الجمل ، وهى : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هى عليه ، والسكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتُ مثل سير زيد ؛ فنُلَّ حالٌ من سَيْرِكَ الذى سرتة ، وفيه : أَرَفِقْ إِذَا بَكَ بَانِيَا . أَرَفِقْ تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رَفِقْتُ ، وبانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أَحْسِنْ بَزِيدٍ مِنْ رَجُلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الاخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستقللت الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الاولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أينقا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازنى ، وجميع البصريين إلا الزيادى منهم . أما الاخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشياء على وزن أشيعاء ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فخنفت الهمزة الاولى .

علم أنك متعجب منه ، وَلِبَسْتَ هَذَا الْمَعْنَى وَكَشَفْتَ مَوْضِعَ غَيْرِ هَذَا - إِنْ شَاءَ
اللَّهُ - وَبَعْدَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافٍ حُوتٍ لِيَالِيَا

بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَوَقَعَ فِي جَامِعِ ابْنِ وَهْبٍ وَهُوَ :

وَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا^(١)

صَفِيَّةُ بِنْتُ الْخَضْرَمِيِّ :

وَذَكَرَ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْخَضْرَمِيِّ ، وَاسْمُ الْخَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمَارٍ^(٢) ،
وَسَيِّمَاتِي ذَكَرَ نَسَبَهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهَا بَعْدُ .

الرَّعْمُوصُ وَالْخَزْمُ فِي الشَّعْرِ :

وَقَوْلُهُ : دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يُرِيدُ : وَلَاجَأَ فِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَأَصْلُ
الدُّعْمُوصِ : سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ كَحَجَّيَةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثٍ
أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : صَفَارُكُمْ دَعَامِيصُ^(٣) الْجَنَّةِ ، وَكَمَا اسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ الْعَصْفُورَ

(١) الْيَقْطِينُ : كُلُّ شَيْءٍ ذَهَبَ بَسْطًا فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ : الْقِرْعُ وَالْبَطِيخُ وَغَيْرُهُمَا .
وَضَاحِيَا : عَارِيَا بَارِزَا لِلشَّمْسِ .

(٢) فِي السِّيرَةِ وَرَدَ اسْمُ الْخَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَادٍ . وَيَقُولُ الْخُشْنِيُّ :
وَالصَّوَابُ : عِمَادٌ لَا عِمَادَ . قَالَهُ ابْنُ الدَّبَاغِ وَابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ الْبَخَارِيِّ فِي الْأَدَبِ . وَقَدْ فُسِّرَ الْخُشْنِيُّ الدُّعْمُوصَ =

حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الآيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ الـ عَيْرُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزَّيْبَرِيِّ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لا أذلُّ أى : يقول العير ذلك بِصَلِّ جَنْبَيْهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها غِيُوهُ وحمله .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرُّ أبغى لالخال^(١) قال ابن هشام : البرُّ أبغى : بالنصب ، والخال : الخَيْلَاءُ والكِبَرُ : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتكيس ،

= بقوله : « دويبة تغوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي يكثر الدلوج في الأشياء ، فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودي ، وقد اختلف

كَمَنْ آثَرَ الْقَائِلَةَ وَالنَّوْمَ^(١)، فهو من : قال يَقِيلُ ؛ وهو ثلاثي ، ولكن لا يُتَعَجَّبُ منه . لا يقال : ما أَقِيلُهُ !! قال أهل النحو : اسْتَقْفُوا عنه : بما أَنْوَمَهُ ، ولِذِكْرِ السر^(٢) في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيدة : إِنِّي مُخْرِمٌ لَا حِلَّةَ . مُخْرِمٌ أَي : ساكن بالحرم ، وَالْحِلَّةُ : أَهْلُ الْحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّةَ . ذكر لقاء زيد الراهب بِمِيقَعَةٍ هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكسر الميم من مِيقَعَةٍ^(٣) ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أخذ من الْقِفَاعِ ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شامَّ اليهودية والنصرانية ، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابَةَ من قُضَاعَةَ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابَةُ : شاممتنا مشامة الذئب الغنم^(٤) ، ثم تنصرف . في حديث ذكره أبو عليّ

(١) تعبیر الحشنى في تفسيرها أبسط ، فقد قال : المهجر الذي يسير في الهاجرة
أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح في القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .
(٢) في المطبوعة : السير .

(٣) في المراسد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً في دار همدان باليمن .

(٤) الخبر في الامالى لابن على القالى ص ٢٩٧ ط ٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرّم القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تسكلمنا . أو شامتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدبي لطيف .

في النوادر ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة
للشكرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة^(١) وما [يكون] صفة
للشكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بعد
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بعد طويلا ، أى : بعدا طويلا ، وإذا حذف
المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا ، وقد تقدم قول سيبويه في ذلك
في مسألة : ساروا رؤيذا ، ونحو هذا : دارى خلف دارك فرسخا ، أى : تقرب
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قريبا مقدرا بفرسخ ، لكان
بمنزلة من يقول : قريبا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثيرا أو قليلا
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لا تعجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم القوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد
سيبويه .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم - فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسَسُ الحواريُّ لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلى ، ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن يَطْرُؤُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَغْزُونَنى ، وأيضاً الرب ، ولكن لا بُدَّ من أن تم الكلمة التى فى التاموس : أنهم أبغضونى بحبائنا ، أى : باطلاً . فلو قد جاء المُنْحَمَّأ هذا الذى يُرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خَرَجَ ، فهو شَهِيدٌ على وأنتم أيضاً ؛ لأنكم قديماً كنتم معى فى هذا ، قلتُ لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَّأ بالشرىائية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلَيْطُس ، صل الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظماً مستطيلاً ، ووضع ميلاً موضع مُسْتَطِيلاً ، فإعرابه كإعرابه ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف فى هذا الباب لم يكن حالاً من الفاعل ، لكن من المصدر الذى يدل الفعل عليه بلفظه نحو : ساروا طويلاً ، وسقيتها أحسن من سقى إبلك ، ونحو ذلك .

بجنس الحوارى :

فصل : وذكر يُحَنَسُ الحوارى^(١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرُ
الحواريين كلَّهم بأسمائهم . وذكر قوله : أبغضتمونى بجاناً ، أى : باطلاً ،
وكذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم علم بجاناً ، كما علمت بجاناً ، أى : بلائناً ،
وفى وصايا الحكماء : شاوِرْ ذوى الأسنان والعقول يُعطوك من رأيهم بجاناً

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد
ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا ،
وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم
عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم
أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضونى .
أنا وأبى ، لكن لىكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم لأنهم أبغضونى بلا سبب .
ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عنده
الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء ..
قد كلمتكم بهذا الكيلا تعتروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى
نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن
أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن
إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ،
وعلى دينونة .. إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون
أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه
لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأموال آتية ، وهذه
البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهناك كثير من البشارات التى
وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المغرضون ترجمة كلمة الفارقليط
لكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا ..

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول الله سبحانه : أنت عَبْدِي ورسولي (١) سَمِعْتُكَ المتوكل ، ليس بِفَقْرٍ ولا غليظ ، ولا سَخَاب (٢) في الأسواق ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضَهُ الله حتى يقيم به المِلَّةَ العَوَّجَاءَ ، فيفتح به عيوننا عُمَيَّا وآذانا نُصْمًا ، وقلوبنا غُلْفًا ؛ بأن يقولوا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

من صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته - صلى الله عليه وسلم - عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أبي كان يحتم على سِفْرِ ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سَمِعْتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ ، وإذا فيه : إنك خيرُ الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قُرْبَانِهِمْ : دماؤهم ، وأناجيلهم : صُدُورُهم ، وهم لا يحضرون قتالاً .

(١) جاء قبله : « إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . (بأبيها ، النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا اللاميين . »

(٢) في رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : « على سفر يقول . على يهود ، والعصويبة .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطالي قال : فلما بلغ محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى الحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ ؟ يُصِرُّ ﴾ : أَيْ نَقَلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي : ﴿ أَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحفظن الله عليهم كتبتن النسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يجب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأنابه يوماً ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود المنسي ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب ، ففتر على الله ، ثم حرقه بالنار .

الله ميثاق التَّيِّبِينَ جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا ذلك إلى مَنْ آمَنَ بِهِمْ ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

قال ابن إسحاق : فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ : أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّبُوءَةِ ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ : الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَقَلْبِ الصَّبْحِ . قَالَتْ : وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخَلُوعَ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُوَيْبٍ ابْنُ الْعَلَاءِ ابْنُ جَارِيَةَ التَّمَمِيُّ ، وَكَانَ وَاعِيَةً ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَابْتَدَأَهُ بِالنَّبُوءَةِ ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسَرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ ، وَيُفِضِي إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا ، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ ، إِلَّا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ . فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَثَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ ، وَهُوَ بِحِجَازٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ .

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبير وهو يقول لُعْبِيدُ بنُ عُمَيْرِ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيَّ :
حَدَّثَنَا يَا عُمَيْدُ ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
النَّبُوَّةِ ، حِينَ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ : فَقَالَ عُبَيْدٌ — وَأَنَا حَاضِرٌ —
يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةِ شَهْرًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّنَتْ بِهِ قُرَيْشٌ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَالتَّحَنُّنُ : التَّبَرُّرُ .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنُورٍ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

قال ابن هشام : تقول العرب : التَّحَنُّنُ والتَّحَنُّفُ ، يريدون الحَنِيْفِيَّةَ .
فَيُبْدِلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ ، كَمَا قَالُوا : جَدَفٌ وَجَدَثٌ ، يريدون القبر . قال رؤية .
ابن العجاج :

لو كان أحجارى مع الأجذاف

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . ويدت أبو طالب في قصيدة
له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : قُمَّ ، في موضع : قُمَّ ،
يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان قال : قال عُبَيْدُ [بن عمير] :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم
 مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من
 شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة ، قبل أن
 يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ،
 حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة
 التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك ، الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي
 أكرمها الله فيها برسالة ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله
 تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم ،
 بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال فغتنني به ،
 حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرساني ، فقال : اقرأ ، قال . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنني
 به ، حتى ظننت أنه الموت . ثم أرساني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا
 أقرأ ؟ قال : فغتنني به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرساني ، فقال : اقرأ ،
 قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل
 ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق .
 اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » : قال :
 فقراأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتبت في قلمي
 كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من
 السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسي إلى
 السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدماه في أفق السماء يقول :

يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرقفت أنظر إليه فما أتقدم .
وما تأخرُ ، وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في
ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورائي ،
حتى بعثت خديجة رُسَلَهَا في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا
واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى نخذا مضيفا إليها ،
فقلت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا
مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقلت : أبشر يا بن عمِّ وائِثبت .
فو الذي نفسُ خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى بن فُصَيٍّ ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر ، وقرأ الكتب ،
وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي
نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ
الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقلولي له : فليثبّت . فرجعت
خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ
بالكعبة ، فطاف بها ، فدقّيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال :
يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ

الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى ، وَلَتُسَكِّدَنَّهَ وَلَتُوَدِّعَنَّهَ ، وَلَتُخْرِجَنَّهَ ، وَلَتَقَاتِلَنَّهَ .
وَلَيْنَ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ أَنْصَرَ يَعْلَمُهُ ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ مِنْهُ ،
فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ
حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأُخْبِرَنِي بِهِ . فَنَجَّاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ :
قِمِّي يَا ابْنَةَ عَمٍّ فَاجْلِسِي عَلَى فِخْذِي الْيَسْرَى ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوِلُ ،
فَاجْلِسِي عَلَى فِخْذِي الْيُمْنَى ، قَالَتْ : فَتَحْوِلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَجَلَسَ عَلَى نَحْذِهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوِلُ .
فَاجْلِسِي فِي حِجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحْوِلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ
فِي حِجْرِهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَحَسَّسْتُ وَأَلْقَتُ حِجْرَهَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا - ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟
قَالَ : لَا ، قَالَتْ يَا ابْنَةَ عَمٍّ ، اثْبُتْ وَأُبَشِّرْ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكَ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : قَدْ
سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا
تَقُولُ : أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُرْعِهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ

ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كمالك ،
وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

منى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ^(١) ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وجبير بن مطعم وقبائح بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك . وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأنثر ، وقد روى أنه نبي لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقبائح بن أشيم : من أكبر ، أنت أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أسن منه ، وولد رسول

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنين وأربعين سنة ، وهو مروي عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فكث بمكة ثلاث عشرة أصبح بما عند أحمد من وجه آخر عنه : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرة ، وأصبح بما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعته في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روث الفيل
ويروى: خزقي الطير، فرأيت أخطر حبالاً ، أى: قد أتى عليه حول ، وفى غير
رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين ؛ فإنى قد ولدت فيه ، وبُعِثت فيه ،
وأُوتيت فيه (١) .

إعراب لما آتيناكم :

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » (٢) الآية . وما فى هذه الآية : اسمٌ مبتدأ (٣)
بمعنى : الذى ، والتقدير : للذى آتيناكم من كتاب وحكمة ، ولا يصح أن
تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم
الاثنين ، فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه ، أحمد ومسلم وأبو
داود . وزيادة : « وأموت فيه ، لا تتفق وهدى القرآن ، فالبشر لا يعرفون :
حتى يموتون حتى النبيون .

(٢) يقول طاووس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أخذ الله
ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً ، وهذا التفسير حق . وتنكير كلمة رسول
فى الآية يؤيده .

(٣) يقول العسكبرى فى إعرابها : « فيها وجهان . أحدهما أن ما بمعنى الذى
وموضعها رفع بالابتداء ، واللام : لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفى
الخبر وجهان . أحدهما : من كتاب وحكمة . أى الذى أو يتموه من الكتاب .
والنكرة هنا كالمعرفة ، والثانى : الخبر : لتؤمنن به والهاء عائدة على المبتدأ . واللام

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ما هذه شرط . والتقدير : لهما آيتكم من كتاب وحكمة لتؤمننَّ به ، وهو ظاهر قول سيديويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمننَّ به ولتنصرنَّ به ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : رسول مُصدق لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

== جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على ما ، من هذا المعطوف فيه وجهان : أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثاني : أن قوله : لما معكم في موضع الضمير ، تقديره : صدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل في مع ، ويجوز أن تكون الهاء في : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيته ، والقول الثاني : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى في قوله : لئن لم يفته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون ما : في موضع نصب بآيتت والمفعول الثاني : ضمير المخاطب ، و من كتاب ، مثل : من آية ، في قوله : ما ننسخ من آية ، وباقي الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣١ لملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ)
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِمْ ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لَنَشُبُّث
الكلام ببعضه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل
وقول سَيِّبَوْنَهُ قَوْلٌ واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على
إن ، يعني : في الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة
والله أعلم .

السبوة وأولو العزم :

وذكر قول ابن إسحق : والنَّبوةُ أُنْقِلَ ومُؤَنةٌ لا يَحْمِلُها ولا يستطيعُها
إلا أهلُ القوة والعزم من الرُّسُلِ ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحق في
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنْبِهٍ وهو
في مسجد مني - وذُكر له يونسُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً
صالحاً ، وكان في خُلُمته ضيق ، فلما حُمِلَ عليه أُنْقِلَ النَّبوةُ ، ولها أُنْقِلَ تَفْسِيخٌ
تَحْتَهَا تَفْسِيخُ الرُّبْعِ تَحْتَ الحِمْلِ الثَّقِيلِ ^(١) ، فألقاها عنه وخرج هارباً ، وفي رواية
عن ابن إسحق : إن أولى العزم من الرُّسُلِ منهم : نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما
نوحٌ فلقوله : (يَا قَوْمِ إِنَّ كَيْدَ كُفْرٍ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ) يونس : ٧١
وأما هود فلقوله : (إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ : مِمَّا تُشْرِكُونَ) هود : ٥٤
وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : (إِنَّا بُرَّاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

(١) الرُّبْع بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، يفتح في الربيع ، وهو أول النتاج
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما يرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحاق : ما بدى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذى ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن يُنزل علىّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يُسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقةً، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحنين فى الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت : عرض فى قول

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم فى الأحزاب فقال : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب : ٧ كما نص عليهم فى سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » الشورى : ١٣ . وقيل لهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجنس .

(٢) فى الترمذى والدارى : قال على : كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبرانى فى الأوسط، وفيه مجهول .

(٣) ورد حنين الجذع فى حديث رواه البخارى والشافعى والترمذى .

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النِّظَام ، فإنه زعم أنه جِسْمٌ ، وجعله الأشعريُّ
اصْطِكاكاً كافي الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت
نفسَ الاصطِكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما
موضع غير هذا ، ولو قَدَّرت الكلام صفةً قائمة بنفس الحجر والشجر ،
والصوت عبارة عنه ، لم يكنُ بدُّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ،
والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون
الحجر به مؤمناً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين
هو عَلمٌ من أعلام النبوة ^(١) ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة
الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليمُ الحجارة أن يكون مضافاً
فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يَفْعُرُونَهَا ، فيكون
مجازاً من قوله تعالى : (واستلِ القربة) ^(٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة
من هذه الصور التى ذكرناها فيها عَلمٌ على نبوته — عليه السلام — غير
أنه لا يسمى معجزة ^(٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدَّى به الخلق ،
فمعجزوا عن معارضته .

-
- (١) ليس لأحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فإنه وحده هو أعلم بالحقيقة .
(٢) القربة — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للوضع الذى يجمع فيه
الناس ، وللناس جميعاً . وبهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .
(٣) يجب أن نسميها بما سمي الله . وهى : آية ، وبهذا تتجاوب الكلمة مع سكونة
القلب والفكر وتقديسهما ، ونخلصها مما دار حول المعجزة من جدال ، واضطرم من
شحناء وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه
لرسل آيات ، لا معجزات فلنقف عند هذا .

مرئول نفعل :

وذكر حديث عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَجَاوِرُ بَغَارِ حِرَاءَ ^(١) وَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، قَالَ : وَالتَّحَنُّنُ : التَّبَرُّرُ . تَفْعَلُ مِنَ الْبَرِّ ، وَتَفْعَلُ : يَفْتَضِي الدَّخُولَ فِي الْفِعْلِ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِيهَا مِثْلُ : تَنَقَّهْ وَتَعَبَّدْ وَتَذَكَّرْ . وَقَدْ جَاءَتْ فِي الْأَفَافِ سِيرَةُ تَعَطَّى الْخُرُوجِ عَنِ الشَّيْءِ ، وَأَطْرَاحِهِ ، كَالثَّأْنِ وَالتَّحَرُّجِ . وَالتَّحَنُّنُ بِالنَّاءِ الْمَثَلَةُ ^(٢) ، لِأَنَّهُ مِنَ الْحَنْثِ ، وَهُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ ، وَكَذَلِكَ

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى، ويقصر ويمد
(٢) في كتاب الاضداد للصغاني : تحنث إذا أتى الحنث ، وإذا تجنبه ، ومثله
في كتاب الاضداد لابن بكر الأنباري ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ،
وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة .
تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل . ص ١٤٥ ، ١٥٤ الاضداد ط
١٣٢٥ هـ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنباري أبي بكر . ويقول الحشني عن رأي
ابن هشام في التحنث وأنه التحنف : « فالجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج
من الحنث أي : الإثم ، كما يكون الثأثم الخروج عن الإثم . لأن تَفَعَّلَ قد تستعمل
في الخروج عن الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي
ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا الأصل في تَفَعَّلَ ما كان مذكورة في مصادر هانظرها
مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضي . وفي الصحيحين أنه جاور بحرام شهرأ . وذكر
ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف
كان يتحنث . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة :
« ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ، وقوله : « ووجدك ضالا فهدى » ، فهي
إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهل عربدت فيه الخطيئة . والمنهوم من كلام ابن هشام
أن هذا التحنث أمر كانت تأتيه قرش في جاهليتها .

التَّقْدَرُ ، إنه هو تَبَاعُدٌ عَنِ الْقَدَرِ ، وأما التَّحَنُّفُ بالفاء ، فهو من باب التَّبَرُّرِ ؛
لأنه من الحنيفية دين إبراهيم ، وإن كان الفاء مُبْدَلَةً مِنَ النَّاءِ ، فهو من باب
التَّقْدَرِ والتَّحَنُّمِ ، وهو قول ابن هِشَامٍ ، واحتجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَثَ ، وأنشد قول
رُؤْبَةَ : لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ ، وفي بيت رُؤْبَةَ هذا شاهدٌ وردَّ
على ابن جني حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أن جَدَفَ بالفاء لا يجمع على
أَجْدَافَ ، واحتج بهذا لمذهبه في أن النَّاءَ هي الأصل ، وقول رُؤْبَةَ (١) ردُّ
عليه ، والذي نذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف ، لأنه من الْجَدَفِ
وهو الْقَطْعُ ، ومنه جَدَفَ السَّفِينَةُ ، وفي حديث عمر في وصف الجن : شرابهم
الْجَدَفُ وهي الرِّعْوَةُ ، لأنها تُجَدَفُ مِنَ الْمَاءِ ، وقيل : هي نبات يقطع ويؤكل .
وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جَدَفٌ ، والجَدَفُ : القَمَرُ من هذا ، فله مادة
وأصل في الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هي الأصل والنَّاءُ داخلة عليها . (٢)

مول مجاورته في حراء :

وقوله : يُجَاوِرُ في حراء إلى آخر الكلام . الجوار بالكسر في معنى المجاورة

(١) هو جزء من بيت من أرجوزة يعاتب بها رؤبة أباه العجاج . وقيله .
لا تَعْجَلْنَ الحَفَّ ذَا الْإِتْلَافِ وَالذَّهْرُ إِن الدَّهْرُ ذُو اذْدِلَافِ
بِالْمَرْ ذُو عَصْفٍ وَذُو انْصِرَافٍ لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ
تَعَفَوْ عَلَى مُجْرُثُومَةِ الْعَوَافِ تَضْرِبُهَا الْأَمْطَارُ وَالسَّوَافِ
انظر ص ١٠٠ من ديوان رؤبة ط ليبسيه ببرلين

(٢) الجدف بالذال والذال : القبر ، وكذلك الجدث . وفي القاموس عن
الجدف أنه نبات بالينين يعني آكله عن شرب الماء عليه . وهو أيضا مرمى به الشراب
من زيد أوقذى . وكل ما هو بالذال من هذا يقال بالذال أيضا .

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بحراء اعتكافاً ، لأن حراء ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناداه حراء : إلی إلی یارسول الله (١) .

كيفية الوحي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في الحديث : فأناى وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبت من نومي ، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً ، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة ، عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما بدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة وتوسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهي أسطورة .

ورققاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعِبَؤُها ثَقِيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى
في حديث الإِشراء من مقالة العلماء ما يؤكّد هذا ويصحّحه ، قد ثبت بالطرق
الصّحاح عن عامر الشّعبى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به -
إِسْرَافِيلُ، فكان يترأى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ (١) .
ثم وكل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزولُ الوحي عليه - صلى الله -
عليه وسلم - في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كفى حديث ابن إسحاق، وكما قالت
عائشة أيضاً: أول ما بدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصادقة (٢) .
وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ .
فقال له ابنه : ﴿ أفعل ما تؤمر ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان
يأتيهم فى المنام ، كما يأتيهم فى اليقظة .

ومنها : أن يُنفثَ فى رُوعه الكلام نفثاً ، كما قال عليه السلام : إن رُوح
القدس نفث فى رُوعى أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ،

(١) هذا مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا فى حديث - رواه الشيخان والترمذى . وقد روى البخارى حديث .
الوحي فى كتاب التعبير من صحيحه وفى التفسير ، وفى بدء الوحي ، واختار ما فى .
التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفى زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر .
ويقول النووى عن حديث الرؤيا الذى روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن
عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبى - ص ، أو من صحابى ،
ص ٥٨١ ج ٨ فتح البارى .

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ^(١). وقال مجاهد، وأكثَرُ المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشورى : ٥١ . قال هو أن يَنْفُثَ في رُوعِهِ بالوحي .

ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الجَرَسِ^(٢) ، وهو أشدُّه عاياه ، وقيل : إن ذلك لَيْسَتْ جَمِيعُ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألْقَنَ لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملكُ رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة دحية^(٣) بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجه عن جابر ، والطبراني من حديث أبي أمامة . والرووع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكسر الباء وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الخندق . نزل دمه شق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التي سيأتى ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص ، بصورة رجل غير دحية ، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفي آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه .

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط بجماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظراً لهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينفشر منها الأول والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إمام في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإماماً في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملائة الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت بردها بين مُنْدُوَيَّ^(٢) وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الملائة الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ ! فقلت : الوضوء عند الكريهات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميداً ، ومات حميداً ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث^(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) تُنْدَوِي بضم فسكون ، فضم فوار مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحمه الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : هذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طريقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلب =

نزل إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل^(١) فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنّة ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلة بدعة كاشفة لقناع اللبس ، فانتظر هنالك .

من تفسير حميد الرومي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بنمط^(٢) من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال بعض التفسيرين في قوله : (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي : وهو المعتمد . وهو معارض الأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسفظ . وهذا من مراسلات عبيد بن عمير .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أُمِّيٌّ ، فلا اقرأ الكتب ، قالها ^(١) ثلاثاً
ف قيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ،
ولا بمعرفتك ، واسكن اقرأ مفتتحاً باسم ^(٢) ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك
وكأنزع عنك علقَ الدم ، ومعمَزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل
إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علمَ
بالقلم علمَ الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل
كتاب ، وأصحاب قلم ، ففعلوا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيُّهم تلقيناً من جبريل
نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

مول بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقة : وجوب استفتاح القراءة بيسم الله
الرحمن الرحيم ^(٣) ، غير أنه أمرٌ مُبْهِمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبى الاسود عن عروة : كيف
أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الأخفش دخول
الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك
وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى : ناوياً بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح
أولاً بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها
بعض آية من سورة النمل ، ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله مجريها) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخاري من مصحف الحسن البصري، فشدوذ، فهي على هذا من القرآن، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعي أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبي حنيفة، وهو قول بين التوبة لن أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبّحت الجبال، فقالت قريش: سحر محمد الجبال (١) ذكره النقاش، وإن صح ما ذكره، فلامعني ما سبّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسبّح مع داود، كما قال الله تعالى: (إنا سخرنا الجبال معه يُسبّحن بالعشي والإشراق) ص: ١٨ وقال: (إنه من مسلمين، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠.

وفي الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها: أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية. على أقوال العلماء سلفا وخلفا؟ هذا وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «كانت قراءته مدا مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم».

(١) كيف عرفت قريش أنه تسبيح للجبال؟ والله يقول: «ولكن لا تفقهون تسبيحهم»، فكيف يفقه عتاة الشرك؟

أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير
الذى كان زيّهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير
والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عتبة ، وسير سليمان بن المعتز زيادة ، وهو
أن جبريل أتاه بدر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدُر والياقوت ، فأجلسه عليه ..
غير أن موسى بن عتبة قال : ببساط ، ولم يقل : دُر نوك ، وقال في سير ابن المعتز :
إن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير به ، فمسح
جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفغ ذكره ، وضع عنه وزره ،
ويصحح ما رواه ابن المعتز أن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)
الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

القط :

وقوله في الحديث : فغَطَّنِي (٤) ، ويروى : فَسَأَنِي ، ويروى : سَأَنِي ،
وأحسبه أيضا يروى : فَدَعَتْنِي (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو الخلق والغم ، ومن
الدَّعَتِ حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى قال : فَدَعَتُهُ ، حتى
وجدت برد لسانه على يدي ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : (رَبِّ هَبْ لِي مُدْكَ)

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .
(٢) فى النهاية لابن الأثير : ستر له خمل وجمعه : درانك ، ويقال :
درموك أيضا ، وفى القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال
والطنفسة كالدرنك كزبرج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟
(٤) غَطَّنِي : ضمى وعصرنى ، والغت : حبس النفس .
(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعك فى التراب ، ودفعه دفعا غنيا وتقال
بالدال أيضا والسَّابُ : العصر فى الخلق ، والسأت : الخلق .

لا ينبغي لأحد من بعدى) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَيَّوِيَّة ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شَرِيحُ القاضي من هذا : ألا يُضْرَب الصَّحفي على القرآن

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة — أوكلة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لي ، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فردده خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً — وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة . وفي حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان في صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتموني وإبليس فأهويت يدي ، فازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين — الإبهام والتي تليها — ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم — ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثاً كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمدًا - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان ^(١) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتَلَى بها أولاً ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آتَى هو وأصحابه ، شدةً من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش ألاَّ يبيعوا منهم ، ولا يتركوا ميرةً تصل إليهم ، وشدةً أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدةً أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً ، يريد : أى شئ أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفياً ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى ^(٢) .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والاخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحْمَل قوله أولاً : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام ، ويؤيده أن فى رواية أبى الأسود فى مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفى رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفى مرسل الزهرى فى دلائل البهيق : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صَافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فُتِرَ عنه الوحي ، كان يأتي شواهيق الجبال بهم بأن يأتي نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرْبَانِي . ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيدٍ : زيد غلامٍ ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبادةً عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قل في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

مول معنى إل وخرافة الرهبان :

وأما إلٌ بالتشديد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ) التوبة : ١٠ فحَذَارٌ

(١) البساط أو السر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسناً الصنعة ، ثم توسع فيه .

حَذَارُ مَنْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ : هُوَ اسْمُ (١) اللَّهِ ، فَتُسَمَّى اللَّهُ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسُهُ أَلَا تَرَى أَنْ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةٌ ، وَ«إِلَّ» نَكْرَةٌ ، وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ نَكْرَةً ، وَإِنَّمَا الْأَلُّ كُلُّ مَا لَهُ حُرْمَةٌ وَحَقٌّ ، فَمِمَّا لَهُ حَقٌّ وَيَجِبُ تَعْظِيمُهُ : الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ وَالْجَوَارُ وَالْعَهْدُ ، وَهُوَ مِنَ الْأَلْتِ : إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي الشَّيْءِ وَحَافِظْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَضْيَعِهِ ، وَمِنْهُ : الْأَلُّ فِي السَّيْرِ وَهُوَ الْجِدُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَمَيْتِ [يَصِفُ رَجُلًا] .

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مُجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ إِلَيْهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ (٢)

يُرِيدُ : اجْتَهَدْتَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَلُّ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ ، فَالْإِلُّ بِالْكَسْرِ : الْأَسْمُ كَالَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الذَّبْحِ ، فَهُوَ إِذَا شَيْءٌ الْحَافِظُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُ الصَّدِّيقِ : [عَنْ كَلَامِ مُسَيِّلَةٍ] : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ وَلَا بَرٍّ ، أَيْ : لَمْ يَصْدُرْ عَنْ رَبُوبِيَّةٍ ، لِأَنَّ الرَّبُوبِيَّةَ حَقُّهَا وَاجِبٌ مُعْظَمٌ ، وَكَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَاتَّفَقَ فِي اسْمِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِعَنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا ، فَإِنَّ الْجَبْرَ هُوَ إِصْلَاحُ مَا وَهَى ، وَجَبْرِيلَ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ ، وَفِي الْوَحْيِ إِصْلَاحُ مَا فَسَدَ ، وَجَبَرَ مَا وَهَى مِنَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِمَكَّةَ وَلَا بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ بِهِ انْطَلَقَتْ تَسْتَلُّ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ كَعَدَّاسٍ وَاسْتُطْوِرَ الرَّاهِبُ (٣) ، فَقَالَ لَهَا : قَدْ وَسَّ قَدْ وَسَّ ! أَنَّى لِهَذَا الْأَسْمُ أَنْ

(١) لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَحْذَرُ مِنْ هَذَا ، فَهُوَ لَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى ، وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فِي بَعْضِ مَعَاجِمِ اللُّغَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِلَيْهَا ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ هَكَذَا :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مَظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلْسِنُهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

(٣) تَكَلَّمْتُ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلُ ، وَعَدَّاسٌ - كَمَا قِيلَ - نَصْرَانِيٌّ مِنْ نِيْنَوَى وَانْظُرْ

يُذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سِيرِ التَّيْمِيِّ لما ذكرناه قبل ، وفي كتاب المَعِيطِي عن أَشْهَب قال : سئل مالك عن التَّسْمِيِّ بِجَبْرِيل أو من يُسَمَّى به ولدَه ، فذكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى .
الناموس : صاحب سِرِّ المَلِكِ ، قال بعضهم : هو صاحب سِرِّ الخير ، والجاسوس : هو صاحب سر الشر (١) ، وقد فسرهُ أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يزيد إن عَرَضْتَ ومُنْذِرًا عَمَّهُما والمُسْتَشِيرَ المُنَامِسَا (٢)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن ورقة كان قد تنصَّر ، والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبيُّ يأتيه جبريلُ ، إنما يقولون فيه : إن أُنْقُوْمًا (٣) من الأفانيم الثلاثة اللاهُوتية حل بناسوت المسيح ، واتَّحدَ به على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول ، وهو أُنْقُوْمُ الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد ، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله ، المدعين الحال ، عدل عن ذكر

(١) جزم البخارى في أحاديث الانبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن دريد : صاحب الوحى ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والخشني يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكثير كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهما ، والمستسر ، بدلا من د عمهما والمستشز ، ومعنى المُنَامِس : الداخل في الناموس .

(٣) الأُنْقُوْم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ،
 لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد عليه السلام ^(١) وقد قدمنا حديث الترمذى
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر
 الحديث .

حول هاء السكت والفعل نذكر :

وقول ورقة : **أُتِكَذِبْنَهُ** ، وَلَتُوذِبْنَهُ ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة
 لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : **إِنْ أُدْرِكَ** ذلك اليوم أنصرك
 نصراً مؤزراً ، وقال فى الحديث : **إِنْ يُدْرِكُنِي** يومك وهو القياس ، لأن
 ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى يُدْرِكُهُ من يأتى بعده ، كما جاء فى
 الحديث : أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ، ورواية ابن إسحاق أيضا
 لها وجه ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسَمَى رؤيته إدراكا ، وفى التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجن الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا
 أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد
 رضا رحمه الله فى الوحي المسمى - لأن الشبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما
 السلام أتم ؛ لأن كلامهما أوفى شريعة تامة مستقلة فى عباداتها ومعاملاتها وسياستها
 وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناسخا لبعض
 الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبى الذى يأتى بعده بالشرع الكامل
 العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر فى فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهلى
 من أن ورقة كان على اعتقاد النصرانى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد
 الأنبياء ، فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل فى التبديل
 ولم يأخذ عن بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأزر وهو القوة والمون .

تُصرح : أو مُحرَجى ؟ :

فصل : وفى حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مُخْرِجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مُخرَجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجُوى فَأُدْغِمَتِ الواوُ فى الياء (١) وهو خبر ابتداء مقدَّم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهر الجاز تخفيفُ الياء ، ويكون الاسمُ الظاهرُ فاعلا لا مبتدأ ، كما تقول : أضرَبَ قومُكَ ، أخرجَ إخوتُكَ فَتَفَرَّدَ ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حَسَنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الأفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسمُ المبتدأ من المضمَرات نحو : أخرجَ أنت ، وأقامَ هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إذا كان مُضمَراً لم يكن منفصلاً لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أو مخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أُدْغِمَتِ فى ياء المتكلم ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وأمخرجى مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فأين تذهبون ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أصالتها نحو : أولم يسيرا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجَه من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

وكذلك لا تقول : أذاهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أُخْرِجِيَّ هم ، تريد : مخرجون ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

مول اليافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . فقد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يَفْعُول مَهْمُوز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَرَبَ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَفَرٌ . ولو كان يافوخ قَاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يجز همزة في الواحد . ولا في الجمع ^(١) وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شُرَحْبِيل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقي عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفحول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أَفْخَخَهُ : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يفخ ؛ ووم الجوهرى في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بنشاة تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخارى وغيره في التابعين ، ووثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم . وتصدقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك ، فقالت : يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقَصَصَا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلقُ هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فائتبت ، حتى تسمع ما يقول لك . ثم اتيتني ، فأخبرتني ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أنبشِر ، ثم أنبشِر فأننا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم ، وأنتك على مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذاك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ النفسَ في الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني ، يعني : ورقة ، وفي رواية .

= أخرج هذا الحديث البيهقي ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أنه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل : اقرأ . والمعجب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هي به أخرى وسألت عداساً بمكة ، وسافرت إلى بحيري - كما روى التيمي - وهو توفيق يعتمد به .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة : أما عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ لورقة جَنَّةً أو جَنَّتَيْنِ ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد غِبَسَتْ على نفسى :

فصل : وفي الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلي (٢) إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شئء عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلي أن هذا محال فى مبدأ الأمر ؛ لأن العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدري أنظم هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قصيد به قصد الشعر ، كذلك لما استمر الوحي واقتربت به القرأن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القطعى ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . والمؤمنون) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورأسله) فإيمانه بالله وبملائكته . إيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل فى قوله : لقد خشيت على نفسى ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرو ، فإنه بشر يخشى من القتل

(١) ورواه الحاكم فى مستدركه . وهذه روایات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، قال الحاكم :

كان واحدا عصره ، وشيخ المحدثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يُهَوَّن عليه الصبرُ في ذات الله كلَّ خشية، ويحلب إلى قلبه كلَّ شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها^(١).

(١) في فتح الباري: «اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً. أولها: الجنون، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة. جاء مصرحاً به في عدة طرق، وأبطله أبو بكر بن العربي، وحق له أن يبطل، لكن حملة الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له: أن الذي جاءه ملك، وأنه من عند الله تعالى. ثانيها: الهاجس وهو باطل أيضاً، لأنه لا يستقر، وهذا استقر، وحصلت بينهما المراجعة، ثالثها: الموت من شدة الرعب، رابعها: المرض، وقد جزم به ابن أبي جرة. خامسها: دوام المرض، سادسها: العجز عن حمل أعباء النبوة، سابعها: العجز عن النظر إلى الملك من الرعب، ثامنها: عدم الصبر على أذى قومه، تاسعها: أن يقتلوه، عاشرها: مفارقة الوطن، حادي عشرها: تكذيبهم إياه، ثاني عشرها: تعييرهم إياه، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب: الثالث واللذان بعده، وما عداها معترض والله الموفق، ص ٢٧ ط الحلبي.

هذا، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المصابيح عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ص، لأربعين سنة، فكسبت بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات، وهو ابن ثلاث وستين سنة. «متفق عليه».

وعنه: قال: أقام رسول الله ص، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً. وثماني سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرة، وتوفي وهو ابن خمس وستين «متفق عليه»، والاولى أضبط.

«بدء الوحي»

وعن عائشة رضي الله عنها: قالت: أول ما بدى به رسول الله ص، من

==الوحي : الرقيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو العبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو في غار حراء ، فجااهه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت : يا بن عم . اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذى أنزل الله على موسى . ياليتنى فيها جذعا . ياليتنى أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - ص - : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزعا . ثم لم يمض سبب ورقة أن توفى ، وفتر الوحي « متفق عليه »

وزاد البخارى في حديث منقطع : « حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهرى راوى الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من روس شواهد الجبال ، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، البخارى .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي ==

== سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فجثت منه رعبا ، حتى كهرت إلى الأرض ، فجثت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حى الوحى وتتابع ومتفق عليه .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أباسلة بن عبد الرحمن عن أول منازل من القرآن ، قال : يا أيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلة : سألت جابرا عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحدثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئا ، فرفعت رأسى فرأيت شيئا ، فأثيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ما بارد . فنزلت : (يا أيها المدثر قم فأأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : ومتفق عليه ورواه الترمذى والنسائى .

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الاواخر من رمضان فحسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعو إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

ولهذا تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في الیقظة ، ووجد في الخارج ، طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

وما أنا بقارىء ، ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك فى : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . وغطى ، ثبت لفظ اللفظ ثلاثا . فى رواية البخارى للحديث فى بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية فى بدء الوحى .

و بلغ منى الجهد ، تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ اللفظ منى غاية وسعى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . وزملونى ، غطونى بالشيا ب ولفونى بها ، الروح ، الفزع ، كلا ، نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

ولا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والكشميين . يخزئك بالنون ، تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل الكل ، : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

وتكسب المعدم ، بفتح التاء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه وتقرى الضيف : تهيم له طعامه وتنزله وتهين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة وورقة ابن نوفل ، وصفه الراوى فى رواية أخرى : وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية . ماشاء الله أن يكتب . وفى رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربى ، وجمع بين الروايات بانه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لان حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة فى بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقلت : « يا بن عم ، وقع فى مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل لأنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى « من ابن أخيك » ، وقيل : قالت هذا ، لان عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ عبد مناف ، وهو الأب الرابع للذى فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لان والده عبدالله فى عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحثية فى درجة لإخوته ، أو قالته على سبيل التوفير لسنة « جذعا ، شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا » لم ينشب ، لم يلبث . وهذا أصبح لما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى فى السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : فى الرابعة ، وزعم الواقدى أنه قتل ببلاد لحم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« فتر الوحى ، احتبس » يتردى ، يسقط « شواهن الجبال ، أى : طولها ، وهو العالى الممتنع » الرُّجُز ، الأوتان .

« صلصلة ، صوت وأصلها وقوع الحديد بعضها على بعض ، والصلصلة أشد من الصليل » يفصم عنى ، ينفك وينجلى « بتفصد ، يسيل تشبها فى كثرته بالفصد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور فى سننه . ولكن ورد فى الصحيحين أيضا فى حديث جابر أن يأبىها المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى . ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَافِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ - ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى أَتَجْمَعُونَ ﴾ الأنفال : ٤١ . وذلك مُلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشركون ببدر يوم الجمعة . صبيحة سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ تَقَامَّ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ ، وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَّلَهُ . عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسَخَطِهِمْ ، وَالنَّبُوَّةِ أَنْقَالَ وَمُؤْنَةً ، لَا يَحْمِلُهَا ، وَلَا يَسْتَطِيعُ بِهَا

إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من
الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يَلْقَى
من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمِنْتُ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَصَدَقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَوَاظَرْتُهُ
عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَصَدَقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ ، نَخَفَ
اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ
وَتَكْذِيبٍ لَهُ ، فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ ، إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا ، تُثَبِّتُهُ ،
وَتَخَفُّفُهُ عَلَيْهِ ، وَتَصَدُّقُهُ وَتَهْوُنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ
فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

قال ابن هشام : الْقَصَبُ ههنا : الْوُأُؤُ الْجَوِّفُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي مَنْ أُنِيقَ بِهِ ، أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنِيَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : أَقْرَى خَدِيجَةَ السَّلَامَ مِنْ رِبِّهَا ، فَقَالَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاء جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرّمك فترتك ، وما أبغضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندى من مرّجعتك إلى ، خير لك مما تجملت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يتمه وعيّلته وضلّاته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبى الصلتِ الثقفى :

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهْمِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفُها : ساجية ، وسجا طرفُها .

قال جرير بن الحطاف :

ولقد رميتك — حين رُحْن — بأعين

يقتُلان من خَلَل الثُّور سَواجي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيتي يا أوى الضربك إذا شتاً ومُستنجحٌ بالي الدَّريسين عائلُ

وجعه : عالة وتُئيل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعول العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذْنِي أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقَل المُعْي . يقول الرجل : قد عانى هذا الأمر : أى .

أثقلني وأعيانني ، قال الفرزدق :

تَرَى الْعَرَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ما الأُمُرُ فِي الْخُلْدَانِ عَالَا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جَبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحاشًا فظًّا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النُّبُوَّةِ حَدِّثْ ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النُّبُوَّةِ سِرًّا إلى مَنْ

يطمئن إليه من أهله .

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المكرومة ، المرفوعة المظهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم ^(١) .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لا سند له . والصحيح وحده ما هو ما ورد في القرآن : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . . . ولما أنزلناه في ليلة القدر ، . . . ولما أنزلناه في ليلة مباركة ، وآيات القرآن في وضوح جميل جليل يفقهها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام وسفسطته . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه . وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخرجها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتي : قيل : إنها في الوتر من العشر الاواخر من رمضان البخاري ، في السبع

مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافا إلى رمضان ، واختار الكتاب والمؤثقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخارى والنسوى^(١) على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

==الأواخر من رمضان ومتفق عليه، في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أوفى سابعة، أو في خامسة البخارى، في الليلة الحادية والعشرين من رمضان البخارى، في الليلة الثالثة والعشرين مسلم، في الليلة السابعة والعشرين مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى، في التاسعة أو السابعة أو الخامسة البخارى، بل ما من ليلة من ليالى رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة، ذكر منها في فتح البارى ما لم يذكر غيره، وقد ذكرها الشوكانى باختصار في نيل الأوطار، فكانت خمسة وأربعين قولاً، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهاني من الحنفية، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة، وقمت في زمنه صلى الله عليه وسلم، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة، ومنها أنها ممكنة في جميع السنة، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف، ومنها أنها في ليلة معينة مهمة، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أبي رزين، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان، أو النصف من رمضان، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ > ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وحير ما يقول البغوى : وأهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالى شهر رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى للصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، تفسير الخازن والبغوى لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوى ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفسکر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها هم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : وما لا يكون العمل إلا فيه كله : الحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر الحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب .

مب الرسول « ص » وطه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **لُتَكَذَّبَنَّ** ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : **وَلَتُؤْذِنَنَّ** ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : **وَلَتُخْرِجَنَّ** ، فقال : **أَوْ تُخْرِجِيَّ** هم ؟ ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس ، وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : **أَوْ تُخْرِجِيَّ** هم ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تُرَدَّ إلى الكلام المتقدم ، وتُشعر المخاطَب بأن الاستفهام على جهة الإنكار ،
أو التفجع لكلامه أو التألم منه .

ذكر عبد الله بن حسن :

فصل : وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ،
وقوله : حدثني أمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها .
الحديث ^(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن
أبي طالب ، وأُمُّه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنَةَ ، واسمها : آمنة ،
وسكينة لقب لها التي كانت ذات دُعَابَةٍ وَمَزْجٍ ، وفي سكينة وأمها الرباب
يقول الحسين بن علي — رضى الله عن جميعهم :

كأن الليلَ موصولٌ بلَيْلٍ إذا زارت سُكَيْنَةُ والرباب ^(٢)

أى : زادت قومها ، وهم : بنو عَلَيمِ بن جَنَابٍ من كَلْبٍ ، ثم من بني

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) من قصيدة تنسب إلى الحسين في سكينة ابنته وأمها الرباب زوجته ، منها :

لعمرك إنني لأحب داراً تضيفها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل بعد مالى وليس اللأئمة فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياقي ، أو يغيبني التراب

وهي في الأغاني ، ومقاتل الطالبين ، وفي نسب قريش ، انظر ص ٥٩ نسب

قريش ط ١ ،

كَغُفِ بْنِ عَلْنَمٍ^(١) ، ويعرف بنو كعب بن عَلْنَمِ بْنِ زَيْدٍ غَيْرَ مَصْرُوفٍ ؛
لأنه اسم أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس ،
وهم : محمد ويحيى وإدريس^(٢) مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد ، ومات
مسموماً في دُلَاعَةٍ^(٣) أَكَلَهَا ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فَضَّلَ به عليّ ابني صاحبُ
البعير أن زوجته كانت عوناً له على تبليغ أمر الله ، وأن زوجي كانت عوناً
لي على المعصية^(٤) .

محدث عبد الله بن جعفر وغيره عن ضريحه :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببیت من قَصَبٍ ، لاصْخَبِ

(١) والرباب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر
ابن كعب بن علیم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي جعفر المنصور
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوهما
موسى ، فاخفى بالبصرة ، فمثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل
بفخ في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام
بالديلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قریش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَل^(١) ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غِرْتُ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها بيت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكر من عجوزٍ حمراء الشَّدَقِينَ هَلَكْتُ في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أبدلني الله خيراً منها ؛ آمنت بي حين كذبتني الناس ، وواسدني بما لها حين حرمتني للناس ، ورزقت الولد منها ، وحرمتها من غيرها ، وروى يونس عن عبد الواحد ابن أمين الخزومي ، قال : حدثنا أبو تيمية قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً أو لحماً ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عظاماً منها ، فنأوله الرسول بيده ؛ فقال : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة : لم غِمِرْتُ^(٢) بذلك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مغضباً : إن خديجة أوصتني بها ، فقارت عائشة ، وقالت : لكانه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مغضباً ، فلبث ما شاء الله ثم رجع ، فإذا أم رومان قالت يا رسول الله : مالك ولعائشة؟! إنها حَدَثَةٌ ، وإنك أحق من تجاوز عنها ، فأخذ يَشْدُقُ عائشة ، وقال : ألسن القائلة : كأنما ليس على الأرض امرأة إلا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وأحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذي . . ويقول ابن الأثير : . لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - ١ مواهب .

(٢) الغمر بالتحريك : زئخ اللحم ، وما يعلق باليد من دمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،
وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن نمير في آخرين ، وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض . وهذا أثبت عندي بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة - رضي الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وما نزع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه : قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤٍ مُجَبَّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبَّت الثوب إذا خرقت ، فيكون من القلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجلب وهو القطع أي : قطع داخله ^(١) ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبه وهو تغير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتخصّيت أظفاري ، وتسكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيتٍ ، وأدنى أهل الجنة منزلةً من يُعطى مسيرة ألف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصخب وهو رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال في كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشِّرَتْ ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصب ، أى : لم تنصب فيه ، ولم تصخب . أى : إنما أعطيته زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدري ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد بمعضده ، وأما الخطابي ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : (غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ . وقلوه : ببيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلماً على عُرْي كساه الله من خُلل الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمإ سقاه الله من الرحيق ^(١) » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من بنى لله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساه الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ^(١) لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ . وَلَكِنْ قَابِلُ الْبَنِيَانِ بِالْبَنِيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكُسُوءَةِ بِالْكُسُوءَةِ . وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِثَالَةُ ، لِأَنَّ ذَاتَ الْمُنْبِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءُ ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، فَمِنْ هَاهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِإِفْظِ الْبَيْتِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسٍ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) : (وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ) ^(٢) .

== الجنة ، وَأَيُّهَا مُسْلِمُ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جَوْعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّهَا مُسْلِمٌ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ ، وَيَقُولُ الْمُنْذَرِيُّ عَنْهُ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي خَالِدٍ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّلَانِيِّ ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى مُوقُوفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ وَأَشْبَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُوقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ .

(١) الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاحِدٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَفِيهِ : « يَبْنِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

(٢) يَقُولُ الَّذِينَ يُؤَوَّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا نِسْبَةُ الْكَيْدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالنَّفْسِيَانِ إِلَى اللَّهِ مَا يَأْتِي : « هَذَا كُلُّهُ لِأَنَّمَا يُحْسِنُ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ ، وَيُحْسِنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِدَاءً ، فَيَقَالُ : لِأَنَّهُ يَمْكُرُ وَيَكِيدُ وَيَخَادِعُ وَيُنْسِي ، وَلَوْ كَانَ حَقِيقَةً لَصَلَحَ لِإِطْلَاقِهِ مُفْرَدًا عَنْ مُقَابَلِهِ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : يَسْمَعُ وَيَرَى وَيَعْلَمُ وَيَقْدِرُ ، وَيَزِدُّ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا طَيِّبًا فِي الصَّوَابِ الْمُرْسَلَةِ ، فَيَقُولُ : « الصَّوَابُ أَنْ مَعَانِيهَا - أَيْ الْكَيْدُ وَخِلَافُهُ - تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ . . . فَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَتَضَمِّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله.

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود ، فإن الخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخذعه بحق وعدل ، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً ، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً ، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف ، وابن أبي الحقيق ، وأبى رافع وغيرهم من كان يعادى رسول الله ﷺ ، فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . . وجزاء المسمى بمثل إساءته جائز في جميع الملل مستحسن في جميع العقول ؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخواته ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق ، ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى : المرید أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم ، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخادع والمستهزئ بما ورد في الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة ، فلا يتمتع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجاز متنفذ .

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتریه المعطلة والجهمية ولا يخجل على آياته أصم أعمى ، ويغمر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعملنا البيان يستحيل أن نحكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضللنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمي به نفسه ، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق ، وأنه ليس كمثل شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَنَمَوْا ، لم تخوِجه إلى أن يَصْخَبَ كما يصخب البُعْل إذا تمصَّت عليه حَمِيلَتُهُ ، ولا أن يَنْصَبَ ، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسَتْهُ من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بما لها من كل كَدَّةٍ ونَصَبٍ ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لِمَعَالِهَا وصورته .

وأما قوله : من قَصَبَ، ولم يقل : من لَوَّأَ ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَةِ المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسْوَانِ . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزاً للقَصَبِ . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى ، وتقدمت أُمِّيَّةٌ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
فاتمضت البلاغة أن يعبر بالعبارة المشاكلة لعملها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله
الموازنة بين فريجة وعائشة :

فصل : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخديجة : هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك. الحديث^(١) يُذكر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: «أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» .

سُئِلَ: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل^(١)، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخذت أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني^(٢) فلا أعديل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقرار حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقرار أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمّله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فحمله وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٣) إلاّ مريم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقليل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله - ص - قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذها، متفق عليه.

(٣) في حديث متفق عليه عن عائشة: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.

إن ابني هذا سيد^(١)، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول: من قال: سادت أخواتها وأُمُّها، لأنهن مُتَن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكن في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين، فكان رُؤُوه في صحيفتها وميزانها، وقد روى البزار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة: هي خير بناتي؛ لأنها أصيبت بي، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، وهذا حسن، والله أعلم. ومن سُودِدها أيضاً أن المهدي المُبَشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيَّتها، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة^(٢)، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ فأكثر، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كَذَّب بالدَّجَال فقد كفر، ومن كَذَّب بالمَهْدِيِّ فقد كفر^(٣)، وقال: في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب^(٤).

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكرة قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ونحن المسلمون لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه»

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد، وقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان «فصل في أمر الفاطمي»، (٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السهيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن

محمد وقال: وحسبك هذا غلوا. على أن أبابكر الإسكافي عندهم منهم وضاع.

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْتَل ، ومنه يَأْتِي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمعة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خبر يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خبر يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْتَل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرِّضَاغ والرِّضَاعَة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاهنا التأنيت من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذَة ، وأن الرِّضَاعَة تقع على الرِّضْعَة الواحدة ، والرِّضَاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقِسْ على هذا : تَمْرَة وتَمْرًا ، ولَقَاءَة ولَقَى ، وَضَرْبَة وَضَرْبًا ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سَلِمَ الثَّقَلَان من جَوْر وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه ، فإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيغمره فضله، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ، لا حَيْفَ ولا ظمَ، ولا تفاوت ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به سلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلامُ من سَلِمَ منه، والسلامُ مَنْ سَلِمَ من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه: (كوني برداً وسلاماً) وإلى قوله: (سلام هي) ولا يقال في الحائط: سالم من النعمى، ولا في الحجر أنه سالم من الزكام، أو من الشعال إنما يقال: سالم فيمن تجوز عليه الآفة، ويتوقعها ثم يسلم منها، والقُدُّوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص، ومن هذه صفته لا يقال: سَلِمَ، ولا يَدَسَمُ بِسالم، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم، والذي ذكرناه أولُ: هو معنى قول أكثر السالف والسلامة: خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام^(١):

فترة الومى :

فصل : وذكر فترة الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسْنَدَةِ أنها كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرويا الصادقة ستة أشهر، فمن عدَّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام : سلامته بما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل : السلامة، وعند الراغب في مفرداته : ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد - (٢٨ م - الروض الأثف ج ٢)

ابن عباس ، وَمَنْ عَدَّهَا مِنْ حِينَ حَمَى الْوَحْيَ وَتَتَابَعَ ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِر .
كَانَتْ عَشْرَ سَنِينَ . وَوَجْهُ آخِرٍ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ :
وَكُلُّ إِسْرَافِيلَ بَنِيَّةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ سَنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالْقُرْآنِ
جَبْرِيلُ ^(١) وَقَدْ قَدَمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، وَرَوَاهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ ،
وَإِذَا صَحَّ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شرح شعر الهذلي والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قولَ أبي خِرَاشٍ خُوَيْلِدِ بْنِ مُرَّةٍ الْهَذَلِيِّ
إِلَى بَيْتِهِ يَاوِي الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلِ
الضَّرِيكَ : الضَّعِيفُ الْمَضْطَّرُ ^(٢) وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي
ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ لِيَسْمَعَ نُبَاحَ كَلْبٍ ^(٣) وَالدَّرِيسُ : الثَّوْبُ الْخَلَّاقُ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي : (هَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السَّهْلِيُّ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ
لَا يَثْبُتُ ، وَقَدْ عَارَضَهُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا .
ص ٣١ ج ١ الْحَلَبِيُّ وَقَالَ مَغْلَطًا : وَيَخْشَى فِيهِ - أَيْ فِي كَلَامِ السَّهْلِيِّ - مَا فِي تَفْسِيرِ
ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَمَعَانِي الزَّجَاجِ : خَمْسَةُ
عَشْرَ ، وَفِي تَفْسِيرِ مِقَاتِلَ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ .
لَا مَا ذَكَرَهُ السَّهْلِيُّ ، وَجَنَحَ لَصَحَّتِهِ ، ص ٢٣٦ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ح ١

(٢) الضَّرِيكَ أَيْضًا : الْفَرَسُ الذَّكَرُ وَالْإِخْتِاقُ وَالزَّمَنُ - بِكسر الميم - وَالضَّرِيرَةُ .

(٣) عَبَّرَ عَنْهَا الْخَشْيُ بِتَعْبِيرٍ أَوْضَحَ فَقَالَ : هُوَ الْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ بِاللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ
نُبَاحَ الْكَلْبِ ، لِتَسْمَعَهُ الْكَلَابُ فَتُجَاوِبَهُ ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ ، فَيَقْصِدُهَا .

وَيَقُولُ الْخَشْيُ عَنْ ثَنِيَّةِ الدَّرِيسِ : وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِزَارَ ، وَالرِّدَاءَ ، وَهُوَ
أَقْلَ مَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ مِنَ الثَّيَابِ ، ص ٧٧ .

تَرَى الْعُرَّاجِحَاجِجَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْخَدَّائِنِ عَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع
الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد
يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام^(٢) .
وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحي عنه ، وخرج
البخارى من طريق جندب بن سفيان^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،
فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،
فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(٤) .

(١) غر : زبها هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والججاجج : جمع
ججاجج وججاجح : السيد ، وأيضا : الفسل من الرجال ، ومن جمعه : ججاجيج ،
وججاججة .

(٢) مدح الفرزدق سعيدا بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية
رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن
الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لصفن من
بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشني ص ٧٨
(٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .

(٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن
جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

تَمَّ بِمَحْمَدٍ اللَّهِ
الْجُزْءُ الثَّانِي وَبِلَيْهِ الْجُزْءُ الثَّالِثُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

ملحوظات

تسكلم السهيلي عن بئار مكة في ص ١٢٢ - ٢٠ وما بعدها ، وقد زاد
البلاذري في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلي ، ففما يتعلق بالمجول زاد
بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفة المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقدر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر النذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ - ١٠ ورد في السطر الحادي عشر نصف بيت من الشعر
اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :
رَبَاءُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقَلْبِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ السَّبِيلَ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبل : المطر هذا وقد نددت عن
العين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٦	أهـات الرسول ءص؄ ءس١	٢٨	البيت ءس١
٧	أمر جرم وءفن زمزم ءس١	٢٩	قصى وزواجه وتولى أمر البيت ءس١
٧	مولء النبى ءص١	٣١	ولاية الفو؁ لإجازة الحج ءس١
٩	زمزم	٣١	عدوان والإفاضة ءس١
١٠	استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفى جرم ءس١	٣٢	قصى وخزاعة وولاية البيت
١١	شعر الحار؁ بن مضاض ءس١	٣٣	نشأة قصى
١٢	شعر عمرو بن الحار؁ ءس١	٣٤	الفو؁ بن مر وصفة
١٣	حول زمزم	٣٤	لم سمى قصى قصياف ءس١
١٣	لم نزل؁ هاجر وإسماعيل مكة	٣٧	بنو سعد وزيد مناة
١٥	قطورا وأجرم والسبيء	٣٨	اشتقاق المزدلفة
١٦	جباد وقميقعان	٣٩	ذو الإصبع وآل ظرب
١٧	جرم تسرق مال الكعبة	٤١	أبو سيارة
١٨	بين جرم وخزاعة	٤٢	حول لاهم ءن . ل . ءس١
١٩	غربة الحار؁ بن مضاض	٤٣	لـهـنـك ءس١ ءن . ل .
٢٠	ءن شرح شعر ابن مضاض	٤٤	أمر عامر بن ظرب
٢١	واسط وعامر وجرم	٤٥	غلب قصى على أمر مكة
٢٢	مكة وأسافها	٥٠	الرفادة ءس١
٢٤	ما وجد مكتوبا فى الأحجار	٥١	الحكم بالآمارات
٢٧	استبءاء قوم من خزاعة بولاية	٥٢	يعمر الشءاخ

(١) ءس١ رمز عن السيرة؄ وءن . ل . رمز عن النحو واللغة؄ وءس١ رمز

عن الشرح؄ أما الروض فبدون رمز .

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت (١)	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أجيحة
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح		و. ن. ل.
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	شعر الصلتان
٥٩	حوتكة وأسلم		أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٦١	الاختلاف بعد قصي وحلف	٩٠	و. ن. ل.
	المطيبيين (س)	٩١	جمع يراد به المفرد (و. ن. ل.)
٦٣	حلف الفضول (س)	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٥	هاشم ونسله (س)		و. ن. ل.
٦٦	شعر مطرود في بكاء بني عبد مناف (س)	٩٣	شعر مطرود من عبد المطلب (س)
٦٧	حلف المطيبيين	٩٥	حفر زمزم (س)
٦٨	السناد والإقواء	١٠٠	بنار قریش (س)
٧٠	حلف الفضول	١٠٣	ويل الشجى من في الخلى (و. ن. ل.)
٧١	حرب الفجار	١٠٤	شرح شعر مطرود
٧٣	القتول ونبيه بن الحجاج	١٠٦	نصر ياف ومائة وممر (و. ن. ل.)
٧٥	الحلف وابن جدعان	١٠٧	قلبي وسلس (و. ن. ل.)
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ (س)	١٠٩	حديث زمزم
٧٦	صكّه عُثْمَى « ن. ل. »	١١٠	الاستسقاء (س)
٧٧	طعام ابن جدعان (س)	١١٢	أسماء زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة		تأويل العلامات التي رآها
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١١٣	عبد المطلب
٨٣	عن أولاد عبد مناف	١١٦	من صفات زمزم
٨٤	طعام هاشم	١١٩	نبح الماء من بين أصابعه (س)
٨٤	ابن الزبير يمدح بني عبد مناف	١٢٠	اشتقاق مفازة (و. ن. ل.)

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع (ن . ل)	١٦٦	التماس الأجر على الرضاع
١٢٣	بشار قريش بمكة	١٦٧	لم كانت قريش تلتئم المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق « س »	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة « س »
١٣١	نذر عبد المطلب ذبح ولده « س »	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	عبد الله « س »	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها « س »	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختير طست من ذهب
١٣٩	تزيوج عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليلة للنبي « س »
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رآته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول « س »	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع « س »
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة « س »
١٤٥	قصة حليلة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفاية العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم محتونا	١٨٤	حوت آمنة وزياته لها حول
١٥١	تسميته (ص)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبويه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه « س »
١٥٧	تعويذ عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية « س »
١٥٨	متى ولد وأين ولد النبي « س »	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم « س »
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه « س »	١٩١	قصيدة أميمة وأروى « س »
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم « س »
١٦٢	قصية أو قصية والثيام	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي « س »
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السقاية « س »
١٦٤	يغذيه أو يغذيه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٩٦	الرسول «س» في كفاية		هذه الشجرة لإلاني
	أبي طالب «س»	٢٣٧	تحقيق معنى الوسط
١٩٧	شرح شعر رثاء عبد المطلب	٢٣٨	من الذي زوج خديجة؟
٢٠٢	أبو جهنم	٢٤١	أولاده «س»
٢٠٣	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٤١	تنبؤ ورقة «س»
٢٠٤	تهام وشأم «ن. ل.»	٢٤٢	أولاده من خديجة
٢٠٦	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٤٤	بين خديجة وبحيرى ونسبها
٢٠٩	من شرح شعر حذيفة	٢٤٥	من تزوجتهم خديجة قبل الرسول «س»
٢١٠	رأى النخاعة في زيد أفضل لإخوته	٢٤٦	مارية وإبراهيم
٢١١	من شرح شعر مطرود	٢٤٨	ترجمة ورقة
٢١٢	من شعر مهمل عن زواج ابنته	٢٥٢	مثنى يقصد به المفرد «ن. ل.»
٢١٤	النظف	٢٥٥	النور والضياء «ن. ل.»
٢١٥	اللهي العائف	٢٥٦	نون الوقاية في إن أو خواتها «ن. ل.»
٢١٦	قصة بحيرى «س»	٢٥٦	حول تقدم صلة المصدر عليه «ن. ل.»
٢٢٠	شرح قصة بحيرى في الروض	٢٥٧	متى يجوز تقديم معمول المصدر «ن. ل.»
٢٢١	من صفات خاتم النبوة	٢٥٩	بنيان الكعبة في السيرة
٢٢٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٦٤	بنيان الكعبة في الروض
٢٢٦	نقد رواية الترمذى	٢٦٦	تجديد ابن الزبير لبنائها
٢٢٨	حفظ النبي «س» في صفه	٢٦٨	أساطير حول بناء الكعبة
٢٢٩	حرب الفجار «س»	٢٧٣	العهد الذى أخذ على ذرية آدم «ش»
٢٣١	حديث تزوج خديجة «س»	٢٧٦	حول بناء المسجد الحرام
١٢٣	قصة الفجار في الروض	٢٧٧	كنز الكعبة والنجار القبطى
٢٢٤	منع تنوين العلم	٢٧٨	الحياة والديانة
٢٣٥	من تفسير شعر البراءض	٢٧٨	تفسير: لم ترع
٢٣٥	آخر أمر الفجار	٢٧٩	حول حديث أبي لهب
٢٣٦	شرح قول الراهب: ما نزل تحت	٢٨٠	الحجر الذى كان مكتوبا عليه

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٢٨١	الحجر الاسود وقواعد البيت	٣١٠	انقطاع الكهانة
٢٨٢	شعر الزبير في بناء الكعبة	٣١١	قصة صاف بن صياد
٢٨٣	حديث الخمس في السيرة	٣١٢	حديث الغيطة الكاهنة
٢٨٧	حديث الخمس في الروض		وفي الروض
٢٨٩	يوم جيلة وعدس والحلة والطللس	٣١٣	كاهن ثقيف ولهب
٢٩٠	اللقى يروى	٣١٦	أيش والاحاثم ون.ل.
٢٩٠	رجز المرأة الطائفة	٣١٧	حتى جنب
٢٩١	قرزل وطفيل	٣١٨	حول حديث عمرو سواد بن قارب
٢٩٢	الهامة . شعر لجرير	٣٢٣	سواد ودوس عند وفاة
٢٩٣	ما نزل من القرآن في شأن الخمس		الرسول وص،
٢٩٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٣٢٤	كاهنة قريش
٢٩٤	موقف قريش في الحج في	٣٢٦	لإذار يهود بالرسول ص «س»
	جاهليتها «س.ش»	٣٢٨	ابن البيان
٢٩٥	الإخبار بمبعث نبي «س»	٣٢٩	حديث سلة وبني سعيد
٢٩٥	منع الجن من استراق السمع وص،	٣٣١	إسلام سعة الخير
٢٩٧	أول فرع للرمي بالنجوم «س»	٣٣٢	حديث إسلام سلمان «س»
٢٩٨	كيف يسترق الجن السمع وص،	٣٤٠	معنى إصباحان وشرح الروض
٢٩٩	حديث الغيطة الكاهنة في السيرة		لحديث سلمان
	والروض	٣٤١	أسماء النخلة
٢٩٩	حديث كاهن جنب «س»	٣٤٢	حكم الصدقة للنبي وص، ومصدر
٣٠١	فصل في الكهانة		مال سليمان
٣٠٢	رمي الشياطين	٣٤٤	أول من مات بعد الهجرة
٣٠٣	الجن الذين ذكروا في القرآن	٣٤٥	أسطورة نزول عيسى قبل البعثة
٣٠٥	ابن علاط والجن	٣٤٨	ورقة وعبيد الله بن جحش
٣٠٥	قصة نصر بن حجاج «س»		وعثمان بن الحويرث «س»
٣٠٧	أحاديث حول استماع الجن «س»	٣٤٩	زيد بن عمرو بن نفيل

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٣٥٥	حديث ورقة في الروض	٣٨٨	أول بدى به من النبوة
٣٥٦	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية	٣٩٠	مدلول تفعل ون. ل. ،
٣٥٨	معنى : ففتح الجرو	٣٩١	حول المجاورة في حراء
٣٥٨	من قصة ابن الحويرث	٣٩٢	كيفية الوحي
٣٥٩	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٩٦	من تفسير حديث الوحي
	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب	٣٩٧	معنى اقرأ باسم ربك
		٣٩٧	حول بسم الله
٣٦٣	زيد وصعصة والموءودة	٣٩٩	الغبط
٣٦٤	شرح شعر زيد	٤٠٠	العفريت الذى تفلت في الصلاة
٣٦٦	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٤٠١	ما أنا بقارىء
٣٦٧	من معاني شعر زيد	٤٠٢	روية جبريل ومعنى اسمه
٣٦٨	تفسير حنانيك وحول اسم الله ون. ل. ،	٤٠٢	معنى لئل وخراقة الرهبان
٣٦٩	حذف المنادى مع بقاء الياء ون. ل. ،	٤٠٤	معنى الناموس
٣٧٠	تصريف اطمانت وأشياء ون. ل. ،	٤٠٤	لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ؟
٣٧١	الدعموص والحزم في الشعر	٤٠٥	حول هاء السكت والفعل ترك ون. ل. ،
٣٧٢	لغويات ونحويات	٤٠٦	شرح أو مخرجى ؟ ون. ل. ،
٣٧٥	صفة الرسول وص. من الإنجيل	٤٠٧	يا فوخ ون. ل. ،
	د س ،	٤٠٧	الذهاب إلى ورقة
٣٧٦	بشارة لإنجيل يوحنا د س ،	٤٠٩	لقد خشيت على نفسى
٣٧٧	من صفات النبي عند الأجبار	٤١٠	المختار من أحاديث الوحي
	د س ،		وشرحها د س ،
٣٨٠	حديث الوحي د س ،	٤١٢	كيفية الوحي د س ،
٣٨٤	كتاب المبعث	٤١٢	مدة المجاورة في حراء د س ،
٣٨٥	إعراب لما آتيتكم (ن. ل.)	٤١٣	تفسير مفردات حديث الوحي
٣٧٨	النبوة وأولو العزم		د س ،

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن « س »	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة « س »	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي « س »	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة والضحي « س »	٤٢٧	حول المكر والنسيان « ش »
٤١٩	مق نزول القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة	٤٣٠	فضل فاطمة
	« ش »	٤٣١	الله السلام
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢١	حب الرسول « ص » ، وطنه	٤٣٤	شرح شعر للهدلى والفرزدق
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن		ملحوظات

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر إجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى اتصلت أسبابه المنيعة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من على به ، ولا أزعم أنى أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للأخ أحمد محمد بن أحمد شعبان صاحب المطبعة ، وإخوتى عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

